تاريخ الدعوة الإسماعيلية

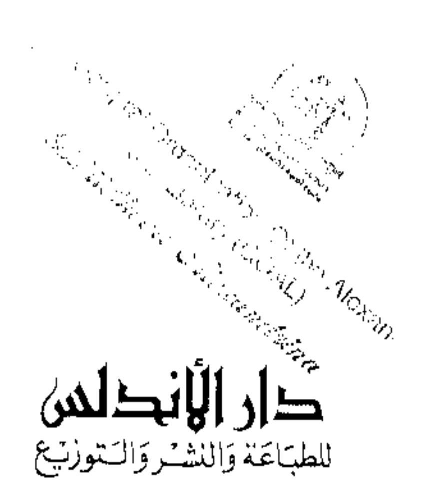
الدكتور مصطفى غالب

دار الأندلس



الدكتور مصطفى غالب

تاريخ الدعوة الإسماعيلية



دار الأندلس
للطباعة والنشر والتوزيع

دار الأندلس - بيروت، لبنان
هاتف: ٣١٧١٦٢ - ٣١٦٤٠١ - ص.ب: ٤٥٥٣ ١١ - تلكس ٢٣٦٨٣

مقدمة

الطبعة الثانية

عجلة الزمن تدور باستمرار وبدون توقف ، فتطوي بدورانها ما لا يواكب سيرها التصاعدي ، الناهد الى التجديد والابتكار ، والخلق والابداع . فالتأخر عن مواكبة التطور الحضاري ، والانبعاث العلمي ، ونمو الفكر الحر الطليق ، يحول دون تحقيق الاماني التي تعتلج في النفوس الهادفة الى الرشف من منهل العلم والمعرفة .

وانطلاقاً من هذا المبدأ القائم على التجديد والتطور والابتكار ، وعملاً بما قاله عماد الدين : (اني رأيت انه لا يكتب انسان كتاباً في يومه الا قال في غده : لو غير هذا لكان احسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان افضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل استيلاء النقص على جملة البشر) . حشدنا جهودنا وامكانياتنا العلمية ، حتى تأتي الطبعة الثانية مستوفية للغرض المطلوب . فعكفنا على دراسة طائفة من المخطوطات التي تبحث في تاريخ الدعوة الاسماعيلية وعقائدها ، وفك ما غمض من رموزها .

والجدير بالملاحظة ان الدراسات الاسماعيلية في عصرنا الحاضر قد تطورت تطوراً ملحوظاً ، فظهرت الى عالم الوجود ابحاث جديدة مبنية على اساس علمي مكين ، ومستقاة من مصادر تاريخية حديثة ، ومن مخطوطات علمية قيمة ظلت ردحاً من الزمن تعيش في ظل التقية والكتمان .

ولقد القت تلك الدراسات شعاعاً من نور على الحركة الاسماعيلية التي ظلت تعمل بالستر والتخفي زهاء قرن من الزمن حتى ظهور الائمة المستورين في سلميه ، والقرامطة في البحرين .

والحركة الاسماعيلية كما يستدل من تاريخها الطويل ، كانت في بادىء الأمر تدل على إحدى الفرق الشيعية المعتدلة . ثم صارت تهدف الى تكوين مجتمع اسماعيلي قوي عماده التقية والتخفي ، ونظامه يقوم على الاخاء والمودة ، وربط الفرد بالمجتمع بوشائج قوية من المحبة والاخلاص ، والايمان العميق .

ولقد قام الاسماعيليون بدور خطير في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في بلدان مختلفة من العالم الاسلامي . فأسسوا أكثر من دولة لهم في البلدان الاسلامية ، فكانت لهم دولة في المغرب أسسها الامام عبيدالله المهدي سنة ٢٩٦ هـ. وامتدت الى صقلية وجنوب ايطاليا ، وكان لهم دولة في اليمن على يد (ابن حوشب) سنة ٢٧٠ هـ. وكان لهم دولة في مصر على يد القائد (جوهر الصقلي سنة ٣٥٨ هـ. وأسسوا دولة (الموت النزارية) في بلاد فارس على يد (الحسن بن الصباح) سنة ٤٨٣ هـ. وكان لهم دولة في البحرين على يد (الحسين الاهوازي ، وحمدان بن الاشعث ، وابي سعيد الجنابي ، وزكرويه بن مهرويه) سنة ٢٧٠ هـ. وكانت لهم قلاعهم وحصونهم المستقلة المنيعة في بلاد الشام .

ومن الطبيعي ان يكون لهذه الدول أثر فعال في مجرى الحوادث في العصور الوسطى ، حيث اندلعت بينهم وبين الدول المجاورة لهم وحتى البعيدة عنهم حروب عنيفة قاسية امتدت وتشعبت حتى شملت العالم الاسلامي كله .

وكانت للاسماعيلية عقيدة دينية خاصة دانوا الله بها ، وعملوا على نشرها في العالم بالدعاية المنظمة تنظيماً عجيباً ، مما أدى إلى تقويض أركان الدولة العباسية والمجتمع العباسي القائم على أساس التعاليم السطحية الجامدة التي لا أثر فيها للانطلاق والتحرر والعلم والفلسفة .

ومرد ذلك النجاح المدهش الذي حققته الحركة الاسماعيلية إلى المنظمات السرية التي بذروا بذورها ، وإلى الايمان العميق الذي كان يهيب بالاتباع لتضحية أنفسهم في سبيل المصلحة العامة ، وتنفيذاً لأوامر رؤسائهم الروحيين الذين كانوا يثقون بهم ثقة عمياء مطلقة ، ويؤمنون بهم الايمان الذي لا يتزعزع .

ولما شعرت الخلافة العباسية التي كانت تجوز مرحلة اضطراب وضعف ، ويتعاقب في خلافتها عدة من الخلفاء الضعاف ، أقول شعرت بخطر الحركة الاسماعيلية الداهم فوكلت رؤساء الدين وأصحاب المقالات الدينية بالطعن بمبادىء هذه الحركة والافتراء عليها بالأكاذيب ، ولينعتوا مذهبها ونظامها بالاباحية والزندقة والالحاد والخروج عن الدين الاسلامي الحنيف ، ويطعنوا أيضاً بنسب أئمة هذه الحركة ويحرضوا عليهم أصحاب الجهل وأهل التعصب . فاضطر الاسماعيلية أن يخفوا دعوتهم ، وأن ينشروها بطرق خفية شأن كل دين أو فكر اجتماعي ممنوع مضطهد . وبنفس الوقت هب علماء الاسماعيلية لدفع الاتهامات التي ألصقت بهم ، وردوا على مخالفيهم ، فكان

النقاش بين الاسماعيلية وأعدائهم سبباً في ثروة فكرية شغلت الأوساط العلمية زمناً طويلاً .

هذا من جهة ، ومن جهة ثانية رأى دعـــاة الاسماعيلية الأول أمثال ميمون القداح وولده عبدالله ، وأبي الفضل الجدني ، والحسين الأهوازي ، وحمدان بن الأشعث ، وأبي سعيد الجنابي ، وزكرويه بن مهرويه ، وابن حوشب ، وابي عبدالله الشيعي ، وغيرهم من الحجج والابواب ، بعد ان درسوا شؤون الدولة العباسية درساً دقيقاً وافياً ، أنه لا بد للقضاء عليها وعلى نظامها الاجتماعي المبني على توحيد مصالح أصحاب الأراضي والثروة من وضع مخطط سري للدعوة يهدف إلى بذر بذور الاشتراكية بين جميع الامم والطبقات والأديان ، المؤلفة منها الدولة العباسية ، وكذلك لا بد من جمع كلمة المستائين من حكم الخلفاء ، وصهرهم في بوتقة الحركة الاسماعيلية .

وبالفعل نجحوا نجاحاً كبيراً لم يسبقهم اليه غيرهم من أصحاب المذاهب والدعوات السياسية والاجتماعية . وباعتقادي أنه لن يقوم في المستقبل حزب أو مذهب أو حركة تضم تحت لوائهـا ممثلي جميع الامم وجميـع الاحزاب السياسية والاجتماعية من أصحاب اليمين إلى أصحاب اليسار ، وممثلي جميع المذاهب والاديان ، من أهل السنة والشيعيين المعتدلين .

صحيح أن كلمة (اسماعيلية) كانت في بادىء الأمر تدل على إحدى الفرق الشيعية المعتدلة ، ولكنها صارت مع تطور الزمن حركة عقلية تدل على أصحاب مذاهب دينية مختلفة ، وأحزاب سياسية واجتماعية متعددة وآراء فلسفية وعلمية متنوعة .

ويستدل من المصادر التاريخية على أن هـــذه الحركة نشأت نشأتها الأولى سنة ١٢٨ هـ . في العراق وفارس كحركة دينية أوجدها الامام جعفر الصادق (ص) ولكن علماء الدعوة يذكرون بان دعوتهم قديمة

قدم هـــذا الوجود ، ولديهم ما يثبت هـذا القول علمياً وعقائدياً ، وهناك قسم آخر منهم يذهب الى القول بأن الدعوة الاسماعيلية بدأت منذ عهد اسماعيل بن ابراهيم الخليل ، ويستدلون على ذلك بنظريــات فلسفية وعقائدية .

وبالرغم من اننا نملك اكثر من مصدر يؤيد هذه الأقوال ، إلا أننا نذهب مع أكثر الباحثين والمؤرخين ، فنبدأ ببحث هذه الدعوة منذ عهد الامام اسماعيل بن جعفر الصادق وما بعده فنقول :

كان الامام جعفر الصادق قـد نص على أن يتولى الامامة من بعده ولده الأكبر اسماعيل ، ولكن قيل ان اسماعيل توفي في حياة أبيه . وبذلك انتقلت الامامة إلى ابنه محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، لأن الامامة حسب المفهوم الشيعي لا تكون إلا في الاعقاب ، ولا تنتقل من أخ إلى أخيه ، ولا يمكن للنص أن يرجع القهقرى ، فلا بد من أن تنتقل الامامة من أب إلى ابن ، وذلك تأويلا للآيـــة القرآنية الكريمة (وجعلها كلمة باقية في عقبه) بأن معنى الكلمة هي الامامة وأنها لا بد ان تكون في الأعقاب دون غيرهم . وهناك أحاديث كثيرة يرويهـــا الاسماعيلية تتعلق بهذا الموضوع ويستدلون بها على حق اسماعيل الشرعي بالامامة بعد أبيه ، سنستعرضها حينما نتكلم عن اسماعيل بن جعفر الصادق في غير هذا المكان .

وبما ان اسماعيل هو صاحب الحق الشرعي في الامامة بعد أن نص ابوه على ذلك ، فلا بد إذن أن تتسلسل الامامة في ابنه محمد بن اسماعيل ، هذا من ناحية ومن ناحية ثانية كان محمد بن اسماعيل أكبر سناً من عمه موسى الكاظم ، فبناء على التقليـد الشيعي القـديم الذي يوجب تسلسل

الامامة في أكبر أهل البيت سناً ، كان محمد بن اسماعيل إذن أحق من عمه موسى الكاظم بالامامة .

ولكن أغلب مؤرخي الاسماعيلية يقولون ان قصة وفاة اسماعيل بن جعفر في حياة أبيه كانت قصة أراد بهـا الامام جعفر الصادق التمويه والتغطية على الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور الذي كان يطارد أئمـة الشيعة في كل مكان وتحت كل شمس . فخاف جعفر الصادق على ابنــه وخليفته اسماعيل ، فادعى موته ، وأتى بشهود كتبوا المحضر إلى الخليفة العباسي الذي أظهر سروراً وارتياحاً لوفاة اسماعيل الذي كان إليه أمر امامة الشيعة . ثم شوهد اسماعيل بعد ذلك في البصرة وفي بعض البلدان الفارسية . وعلى هذا الأساس لم تسقط الامامة عن اسماعيل بالموت قبل أبيه لأنه مات بعد أبيه .

غير ان مؤرخي الشيعة والسنة يذهبون في اسماعيل مذهباً مختلفاً كل الاختلاف عمـا يقوله الاسماعيلية ، فيقولون أن اسماعيل لم يكن يصلح للامامة ، كونه كان يشرب الخمر ، وأنه كان من أصدقاء أبي الخطاب الملحد الذي تبرأ منه الامام الصادق ، وان الصادق أظهر فرحة لموت ابنه اسماعيل . وعلى هذه الصورة اضطربت الروايات ، واختلفت الأقاويل في أمر اسماعيل ، فأصبح أكثر الباحثين لا يدرون حقيقة أمره ، ولا سيما أنه الامام الذي تنسب إليه الحركة الاسماعيلية التي قامت بدور هام في تاريخ العالم الاسلامي منذ ظهورها .

ومن الثابت تاريخياً ان محمد بن اسماعيل بعد ان تسلم الامامة بعد أبيه ، قد اشتد عليه الضغط العباسي فخرج من المــدينة إلى الكوفة مصحوباً بأخيه علي وحدوده وأبوابه ، وظل فيها مدة من الزمن متستراً عن العيون ، حتى ولد له ولد أسماه عبدالله . ومن الكوفة سار إلى

الري واستتر عند أحد دعاته السريين المسمى اسحق بن عباس . وكان ابن عباس هـــذا يشغل منصب حاكم الري من قبل الرشيد العباسي . وبعد مدة من الزمن قال له اسحق : يا مولاي قد علمت اليوم انهم بثوا العيون في كل مكان واني اصبحت اخشى عليك منهم ، فان رأيت ان تخرج الى الجبل وتعتصم بقلعة نهاوند عند خادمك الداعي منصور بن حوشب فان ذلك انسب ، وعلى كل حال الأمر لك يا مولاي . فعمل باشارته ، وبعد ذهابه قبض العباسيون على اسحق وعذبوه عذاباً شديداً وقيل انه مات تحت السياط دون ان يدل على مكان الامام ، ولما لم يعرف هرون الرشيد عن امر الامام شيئاً ، أرسل قائده محمداً الخراساني ومعه جيش كبير من الكرد والاتراك للتفتيش عنه ثم القبض عليه ، فلما وصل الى نهاوند دخل مسجدها ، فرأى الامام محمداً بن اسماعيل مسنداً ظهره الى المحراب وبين يديه رجلان يعلمها اصول الدين ، فلم يتمالك القائد نفسه حينما رأى عظمته وجلال هيبته من ان ينحني امامه ويقبل يديه ثم اشار اليه بضرورة سفره من نهاوند لأن الرشيد يريد ان يقبض عليه اذا ما ظل فيها ، فخرج منها تحت جنح الظلام مستتراً إلى بلدة سابور ، ومنها الى فرغانة ، وبعد ذلك الى عسكر مكرم ، وهناك عـلى مشهد من دعاته نص على امامة ولده عبدالله ولقبه بأحمد الوفي ، وبعد ذلك بزمن قليل توفي الى رحمة الله سنة ١٦٩ هـ.

واستلم الامامة من بعده ولده عبدالله ، وازداد في التستر والخفاء ، وخرج سراً من عسكر مكرم الى زمهر ومنها الى الديلم وهناك تزوج بامرأة من الأسرة العلوية يسمى والدها الأمير علي الهمداني فرزق منها ولداً أسماه أحمد ولقبه محمد التقي .

هذه لمحة خاطفة قدمناها عن هذه الفترة التاريخية من حيـاة اربعة من الأئمة المستورين ، على أن نستعرض فيا بعد تاريخ حياة كل امـام على انفراد .

ولا بد لنا ونحن نقترب من نهاية هذه المقدمة من أن نأتي على ذكر ما قيل بان الحركة الاسماعيلية هي التي صدعت المجتمع الاسلامي وهزت دعائمه الى الأعماق ، واصابته في روحه وخلاله ، وأدت بمضي الزمن الى تفككه واضمحلاله ، وانتشاره الى دويلات ومجتمعات ضعيفة ، متنابذة استطاع الغرب ان يخضعها تباعاً الى نفوذه ، واستعماره ، وان هـذه الحركة هي التي عجلت بالقضاء على هذا المجتمع وهذا السلطان ، ونقلته من عهد الى عهد ومن طور الى طور .

ان هذا القول الذي جاء به مجدداً السيد عارف تامر في مقدمة كتاب (عبقرية الفاطميين[1]) فيـه كثير من التجني والافتراء والتناقض . فالحركة الاسماعيلية كما هو معروف لدى الباحثين المنصفين ، من غربيين وشرقيين ، وحتى باعتراف المتعصبين من خصوم هذه الحركة ، كانت تهدف الى إعادة بناء المجتمع الاسلامي في العصر العباسي على أسس علميـة اشتراكية منبثقة من صميم الدين الاسلامي الحنيف ، على انقاض مجتمع فاسد يسوده الفقر المدقع ، والنظام الاقطاعي القائم على أساس الظلـم والاستعباد ، والتعصب والتفرقة . فهل يعتبر بنظر الاستاذ عارف تامر تطهير مثل هذا المجتمع الفاسد مما آل اليه ، تفككاً واضمحلالاً ؟ وتسهيلاً لاخضاعه للاستعمار ؟ ان هذا القول لا يصدر عن انسان يملك ذرة من قواه العقلية ، إذ كيف يجيز لنفسه ان يقول في غير هذا المكان وبنفس

(١) عبقرية الفاطميين : ص ١٨ .

المقدمة المنوه عنها : (ويرجع نجاح الدعوة الاسماعيلية في بدء ظهورها الى عوامل مختلفة منها ضعف العالم الاسلامي عامة والدولة العباسية خاصة وتخاذل الطوائف الشيعية الأخرى ... ثم الصبر والهدوء والكتمان والصدق والثقة بالنفس .. وقد كانت تشتمل على برنامج سياسي واجتماعي منظم يقوم على العقل والتسامح والمساواة الاجتماعية والاقتصادية .. الخ[1] .)

ولو أردنا ان نورد كل ما قاله عارف تامر في كتاباته عن الاسماعيلية والتي يظهر فيها التناقض جلياً واضحاً لاستغرق ذلك صفحات وصفحات .. ونحن نستغرب كيف يتجرأ انسان يدعي انه في طليعة الاسماعيلية ، فيطعن اهله وعشيرته من الظهر ، عندما يلصق فيهم هذه التهمة الخطيرة البشعة . وخلاصتها ان الاسماعيلية هم الذين تعاونوا مع الاستعمار وسهلوا له مهمة السيطرة على البلدان الاسلامية ، بعد أن قاموا بتفكيك المجتمع الاسلامي .

ولا بد لنا ونحن نستعرض بعض ما كتبه عارف تامر من أن نشير إلى الكتابين اللذين أصدرهما مؤخراً وهما : (الامامة في الاسلام والقرامطة) لما أورد فيهما من الأراجيف والخرافات المضحكة ، مع علمنا الأكيد بأنه هو نفسه يعرف حقيقة تلك الأراجيف والأساطير التي لا تتفق مع المنطق والتاريخ ، وتتناقض أشد التناقض ، ولكنه جاء بهما لينال ما يرضي شهوته ، ويشبع نهمه ، معتمداً في ذلك على المبـــدأ الذي يقول : (خالف تعرف) .

ولقد شحن هذين الكتابين بكل ما هو غريب ومخالف لجميع من سبقه من الكتاب والمؤرخين . وان كنا نعجب لمن يختلق مثل هـــذه الروايات ، ويفتعل النصوص ، ويحرف الوثائق ، نقول والألم يعصر قلوبنا ،

(١) المصدر نفسه : ص ١٦ – ١٧ .

ويحز في أعماقنا ، أن الغاية لدى هذا الانسان تبرر الواسطة ، حتى ولو كانت الواسطة تقويض دعائم الدين ، وطعنه في الصميم ، والاجهـاز على آخر رمق من الضمير الانساني . علماً بأنه لو أردنا الرجوع إلى أي كتاب من الكتب التي حققها أو ألفها عارف تامر ، لنجد نقيض ما قال في الآخر . فهو يأتي بالفكرة أو المصدر أو الرأي في هذا الكتاب ، في حين أنه يخالفه أشد المخالفة وينقضه أبشع النقض في كتاب آخر ، ذلك لأن كل كتاب سار فيه حسب الهوى الجارف . ولو شئنا أن نضرب الأمثال ، لطال بنا السير ، ولخرجنا عن دائرة هذه المقدمة .

وفي نهاية المطاف نرى أن ننوه في هذه الطبعة الجديدة من كتاب تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، كما سبق ونوهنا في كثير من كتاباتنا اننا ننشد من وراء ما نكتب الحقيقة ، والحقيقة وحدها هي التي ننهد إلى كشفها وإظهارها إلى عالم الوجود والتداول ، سواء رضي زيد أو سخط عمرو . وإذا كانت لنا ثمة آراء أو تعليقات ، فهي نتيجة البحث والنقد الحر الشريف البناء ، فنحن لم نتأثر بأيـة نزعة مذهبية أو طائفيـة . والله نسأل أن يسدد خطى العاملين لما فيه خير العروبة والاسلام .

سلمية في ١٠ / ٥ / ١٩٦٥ مصطفى غالب

مقدمة

الطبعة الأولى

إذا ما أردنا تعريف الاسماعيلية بإيجاز وتقديمها باختصار ووصفها بمختلف الأوصاف فلا نقول عنها الا أنها العقيدة الفلسفية التي تتطور مع الزمن وتتكيف معه أو بلغة أصح هي انطلاق الفكر الوثاب في هـذا العالم اللامتناهي أو وثوب الروح نحو مثلها الأعلى. فهي والحالة هذه بحر عميق من العلوم وقبس مضيء من النور، وشعاع مشع ينير ظلمات عالم الكون والفساد، فمن هذا البحر اغترفنا قطرة، ومن هذا الشعاع النوراني أخذنا قبساً فجئنا نقدمه للعالم بهذا الكتاب الوجيز ليكون سبيلاً لكل من يرغب الاطلاع على الحقيقة المثلى والهدف المنشود.

لقد ادعى أكثر العلماء الذين بحثوا في تاريخ الدعوة الاسماعيلية بأن انتشارها كان بعد انتقال الامام جعفر الصادق (ع) سنة ١٤٨ هجرية عندما انقسمت شيعته إلى فرق عديدة اكبرها وأشهرها فرقتان: الفرقة الأولى وقد جعلت الامامة في موسى الكاظم بن جعفر الصادق والأئمة من نسله حتى الامام الثاني عشر الحسن العسكري الذي اشتهر بغيبته بالسرداب

بسامرا سنة ٢٦٠ هـ ، وتعرف هذه الفرقة بالشيعة الاثني عشرية ، أما الفرقة الثانية فقد جعلت الامامة في اسماعيل بن الامام جعفر الصادق ثم في ابنه محمد بن اسماعيل وولده من بعده فعرفت بالاسماعيلية وهي موضوع بحثنا ، وقد اختلف المؤرخون في معرفة تاريخ بدء الدعوة الاسماعيلية وانقسموا إلى فرق وأحزاب أخذ كل منهم برأي ، وأيّدَ كل فريق منهم آراءه بزاعم وأقوال ادعى صحتها وصدقها إلا أن بعض المستشرقين الذين نقبوا وبحثوا في تاريخ الدعوة وقد تمكنوا من الحصول على بعض المعلومات القيمة ، والتي كان لها أثر كبير في إظهار الدعوة الاسماعيلية بظهرها الحقيقي لا سيا بعد أن حاول اكثر المؤلفين المأجورين وصمها بشتى الاشاعات واتهامها بمختلف التهم ، وخاصة في العصور العباسية وما بعدها .

وبفضل تلك الدراسات التاريخية الهامة التي قامت بها فئة من المستشرقين الثقات الضليعين في علوم الاسماعيلية وعلى رأسهم أو بالأحرى في مقدمتهم العلامة والمستشرق الروسي الكبير البروفسور (ايفانوف) عضو جمعية الدراسات الاسلامية في (بومباي) والبروفسور ماسينيون المستشرق الفرنسي الشهير والدكتور شتروطمان الألماني عميد معهد الدراسات الشرقية بجامعة هامبورغ ومسيو هنري كوربان استاذ الفلسفة الاسلامية في جامعة طهران والمستشرق الانكليزي برنارد لويس وغيرهم .

وحتى سنة ١٩٢٢ ميلادية كانت المكتبات في جميع انحاء العالم فقيرة بالكتب الاسماعيلية إلى أن قام المستشرق الألماني (براون) بانشاء مكتبة اسماعيلية ضخمة غايتها اظهار الآثار العلمية لطائفة كانت في مقدمة الطوائف الاسلامية من الناحية الفكرية والفلسفية والعلمية ، ولم يقتصر نشاط اولئك المستشرقين عند حدود التأليف والنشر بل تعداه الى

الدعاية المنظمة سواء في المجلات العلمية الكبرى (مجلة المتحف الاسيوية) التي كانت تصدرها اكاديمية العلوم الروسية في مدينة (بطرسبورغ) ويشرف على تحريرها (ايفانوف) وبعض المستشرقين الروس أمثال (سامينوف) وغيره ممن دبجوا المقالات الطوال عن العقيدة الاسماعيلية. ففي سنة ١٩١٨ كتب المستشرق سامينوف مقاله الأول عن الدعوة الاسماعيلية وقد جمعه بنفسه ونشره في مجلته كما نقل إلى اللغة الانكليزية عدداً ضخماً من الكتب الاسماعيلية المؤلفة باللغتين (الكجرادية والأوردية).

والفيلسوف الوحيد الذي كتب عن الاسماعيلية وترجمت كتبه إلى لغات عديدة هو (ميان بهائي ولي عبد الحسن) وهو من مدينة (احمد آباد) ولقد أحدثت تلك الدراسات الهامة ثورة فكرية وانقلاباً عكسياً في العالم الاسلامي حيث قام عدد من الاساتذة المصريين بنشر الآثار الاسماعيلية في العهود الفاطمية ، فأخرجوا إلى حيز الوجود عدداً لا بأس به من الكتب القيمة وأظهروا للعالم أجمع آثار هذه الفرقة ، كما اتفقوا جميعاً على أن الاسماعيلية طائفة قد تجنى عليها التاريخ . وقد قال جمال الدين الافغاني عندما سئل عن العقيدة الاسماعيلية وفلسفتها : لولا الفلسفة الاسماعيلية لما عرف الشرق الفلسفة إذ أن الفلاسفة الاسماعيليين لا يقلون نضجاً وعبقرية عن فلاسفة الغرب [١] .

ونعود الآن لنذكر بعض تجني التاريخ وما ارتكبه بعض المؤرخين تلبية لرغبة الخلفاء العباسيين الذين كان قد تعذر عليهم إيقاف تيار الدعوة الاسماعيلية الذي كاد أن يجرفهم ودولتهم فشعروا بأنهم إن لم يبذلوا جهوداً جبارة لإيقاف ذلك التيار الجارف فسيقضي عليهم وستهوي دولتهم إلى

(١) مجلة العروة الوثقى .

الحضيض ، لذلك أعلنوها حرباً شعواء على الاسماعيلية ولم يجدوا طريقاً للقضاء عليها إلا وسلكوها باذلين في سبيل ذلك الاموال الطائلة حيث خصصوا أكثرها للكتاب والمؤرخين الذين أخذوا على عاتقهم تشويه التاريخ الاسماعيلي عن طريق الطعن في نسب الأئمة الاسماعيلية والقدح بعقائدهم ورميها بسهام من الالحاد والزندقة والفجور .

ولقد أحدثت تلك المؤلفات رد فعل في جميع الأوساط قوّت شوكة الاسماعيليين وثبتت أقدامهم وعظم مركزهم فدوّخوا الملوك وفتحوا الحصون والقلاع وتعمقوا في العلوم فنبغ منهم فلاسفة وشعراء وأدباء وحكماء ومؤرخين كان لهم شأن عظيم في عالم التأليف حيث نهضت على كواهلهم شتى العلوم في الاسلام .

ولقد تعمق دعاة الاسماعيلية في دراسة علوم ما وراء الطبيعة (١) فحلقوا فيها إلى القمة وتوصلوا إلى معرفة جوهر النفس فبحثوا عن مبدئها قبل تعلقها بالجسد وعن معادها بعد فراق الجسد وعن كيفية ثواب المحسنين في عالم الأرواح وعن جزاء المسيئين في دار الآخرة ، وبحثوا أيضاً في مراتب الموجودات وقابلوها فلسفياً مع مراتب الدعوة والدين فخرجوا منها بقاعدة ثابتة على الشكل التالي :

١ – العقل الأول يساوي الناطق يساوي رتبة التنزيل .
٢ – العقل الثاني = الأساس = رتبة التأويل
٣ – العقل الثالث = الامام = رتبة الأمر
٤ – العقل الرابع = الباب = رتبة فصل الخطاب

(١) أمثال ابن حوشب ، والكرماني ، وناصر خسرو ، وابن سينا ، والفارابي ، والنخشبي ، واخوان الصفا ، والرازي ، والسجستاني وغيرهم .

٥ – العقل الخامس = الحجـة = رتبة الحكم فيما كان حقاً أو باطلاً
٦ – العقل السادس = داعي البلاغ = رتبة الاحتجاج وتعريف المعاد
٧ – العقل السابع = الداعي المطلق = تعريف الحدود العلوية والعبادة الباطنية
٨ – العقل الثامن = الداعي المحدود = تعريف الحدود السفلية والعبادة الظاهرة
٩ – العقل التاسع = المأذون المطلق = رتبة أخذ العهد والميثاق
١٠ – العقل العاشر = المأذون المحدود = المكاسر أو المكالب ليجذب الأنفس المستجيبة .

كما أنهم وجهوا اهتمامهم في الطبيعة ومنها علم العدد فقسموه على أربع مراتب الآحاد والعشرات والمئات والألوف وقالوا بأن هذا التقسيم ليس أمراً ضرورياً لازماً لطبيعة العدد مثل كونه أزواجاً وأفراداً وصحيحاً وكسوراً بعضها تحت بعض لكنه أمر وضعي لتكون الامور العددية مطابقة لمراتب الأمور الطبيعية وذلك أن الامور الطبيعية أكثرها جعلهـا الباري مربعات مثل الطبائع الأربعة : الحرارة والرطوبة واليبوسة ، ومثل الأركان الأربعة التي هي الدم والبلغم والمرّتان المرة الصفراء والمرة السوداء ، ومثل الأزمان الاربعة التي هي الربيع والصيف والخريف والشتاء ، ومثل الجهات الأربع والرياح الأربعة الصبا والدبور والجنوب والشمال ، والاوتاد الاربعة الطالع والضارب ووتد السماء ووتد الأرض ، والمكونات الأربعة التي هي المعادن والنبات والحيوان والانسان ، وعلى هذا المثال وجدت اكثر الامور الطبيعية مربعات ، وإنما صارت هذه الامور الطبيعية مربعات بعناية الباري جل ثناؤه واقتضاء حكمته لتكون مراتب الامور الطبيعية مطابقة للامور الروحانية التي هي فوق الامور الطبيعية وهي التي ليست بأجسام وذلك ان الأشياء التي فوق الطبيعة على أربع مراتب : أولها الباري جل جلاله ثم دونه العقل الكلي الفعال ثم دونه النفس الكلية ثم دونه الهيولى الاولى وكل

هذه ليست باجسام[١] وان نسبة الباري من الموجودات كنسبة الواحد من العدد ونسبة العقل فيها كنسبة الاثنين من العدد ونسبة النفس من الموجودات كنسبة الثلاثة من العدد ونسبة الهيولى الاولى كنسبة الأربعة. واعلم بان العدد كله آحاده وعشراته ومئاته وألوفه أو ما زاد بالغاً ما بلغ فأصلها كلها من الواحد الى الاربعة (١، ٢، ٣، ٤) ومنها ينشأ وهي أصل فيها كلها، فاذا أضيف واحد إلى أربعة كانت خمسة وان أضيف اثنان الى اربعة كانت ستة وان أضيف ثلاثة الى أربعة كانت سبعة وعلى هذا المثال سائر الاعداد من العشرات والمئات والألوف وما زاد بالغاً ما بلغ.

إذن فالواحد علة العدد كما ان الباري علة الموجودات وموجدها ومرتبها ومتقنها ومكملها كما ان الواحد موحد في جميع الاعداد ومحيط بها، كذلك ان الباري شاهد على كل شيء موجود ومحيط به، وكما ان كل واحد يعطي اسمه لكل عدد ومقدار، كذلك الباري أعطى الوجود لكل موجود وكما ان من تكرار الواحد نشوء العـــدد وتزايده كذلك من فيض الباري ووجوده نشأت الخلائق وتمامها وكمالها، وكما أن الاثنين هو أول عدد نشأ من تكرار الواحد كذلك العقل هـــو أول موجود فاض من وجود الباري وكما ان الثلاثة ترتبت بعد الاثنين كذلك النفس ترتبت بعد العقل. اذن فالعقل هو اول موجود أوجـده الباري تعالى وأبدعه من نور وحدانيته جوهر بسيط من غير واسطة ثم أوجد النفس الكلية بواسطة العقل الفعال ثم أوجد الهيولى وذلك ان العقل قد فاض من الباري وهو باق تام كامل، والنفس جوهرة روحانية فاضت من

---

(١) رسائل اخوان الصفا جـ ١ ص (٢٧ – ٢٨).

العقل وهي باقية تامة غـــير كاملة والهيولى الاول جوهر روحاني فاض من النفس وهو باق غير تام ولا كامل .

وقد نظمت الدعوة تنظيما دقيقاً فقسم عميد الدعوة الذي هو الامام الدعاة الى أقسام عديــــدة كل قسم حسب مقدرته ، وضمن اختصاصه ، واتخذ شكل التقسيم شكلا هندسياً هرمياً وكان بتنظيماته وفروعه مشابهاً لتقسيمات السنة الى فصول وأشهر ، وأيام وساعات .

فالامام هو بمركز السنة والاثني عشر شهراً مثل الدعاة الذين هم في اثني عشر جزيرة التي هي العرب ، الترك ، البربر ، الزنج ، الحبشة ،خزر ، الصين ، فارس ، الروم ، الهند ، السند ، الصقالبة . وهم رؤساء الدعوة فيها ولكل واحد من هؤلاء ثلاثون داعياً في قطره ولكل داع من هؤلاء اربعة وعشرون داعياً مأذوناً ومكاسراً .

ولقد قوي سلطان الاسماعيلية وأصبح لهم ملك واسع الارجاء عندما أسسوا دولتهم في المغرب ونقلوها الى مصر ، فأسس الأئمـــة دور العلم وشحنوها بالكتب العديدة لمختلف العلوم والفنون واذاعوا عقائدهم عـلى جمهور المستجيبين في مجالس الدعوة ، وجعلوا من قصورهم مكاناً خاصاً للدعوة عرف (بالمحول) .

ولقد تقدمت الثقافة تقدماً باهراً وخاصة الثقافة التي تتصل بالدعوة ونبغ شعراء ، وازدهرت العلوم الاسماعيلية في القرن الرابع الهجري فحث الامـــام العلماء على الاستزادة من العلم وكانت مكتبات الدعوة زاخرة بنفائس الكتب التي كان يشرف عليها الامام بنفسه ويشجع العلماء ليحببوا العلم الى الناس ، ولقــد عني الاسماعيليون بالتنظيمات الادارية ورتبوها ترتيباً دقيقاً .

ووجهوا عنايتهم إلى الطبقة العاملة ، فشجعوا الاتحاد بين الصناع وأهل

الحرف وأوجدوا نظام النقابات وسنوا قوانين إذا ما أردنا تحليلها فنقول عنها بأنها الاشتراكية العادلة المتوسطة ، فنتج عن ذلك أن عدداً كبيراً من النـاس أخذوا يشتغلون لتقوية الدعوة الاسماعيلية والدعاية لها في السر والعلانية .

ولقد تعرضت الدعوة الاسماعيلية في تاريخهـا الطويل لكثير من النكبات والاضطهادات ويحدثنا ابن الأثير(١) عن قتل الاسماعيلية بما وراء النهر فيقول في سنة ٤٣٦ هجرية أوقع (بغراخان) صاحب مـا وراء النهر بجمع كثير من الاسماعيلية وكان سبب ذلك أن نفراً منهم قصدوا ما وراء النهر ودعوا إلى طاعة المستنصر بالله الفاطمي صاحب مصر فتبعهم جمـع كثير واظهروا مذاهب أنكرها أهل تلك البلاد وسمع ملكها (بغراخان) خبرهم وأراد الايقاع بهم فخاف أن يسلم منه بعض من أهل تلك البـلاد فأظهر لبعضهم أنه يميل إليهم ويريد الدخول في مذهبهم وأعلمهم ذلك وأحضرهم مجالسه ولم يزل حتى علم جميع من اجابهم إلى مقالتهم فحينئذ قتل بحضرته منهم وكتب إلى سائر البلاد بقتل من فيها ففعل بهم ما أمر وسلمت تلك البلاد منهم .

ووضع السيف في الاسماعيلية(٢) بحلب سنة ٥٠٧ أو ٥٠٨ هجرية كما وضع فيهم في دمشق سنة ٥٢٢ هجرية وكذلك كان حالهم في الباب من أعمال حلب . قال ابن جبير : قد أخذت أهل البلاد الحمية فتجمعوا من كل صوب عليهم ووضعوا السيوف فيهم فاستأصلوهم عن آخرهم .

وفي سنة ٦٥٧ هجرية أغار (سموط بن هولاكو التتري) على بلاد الشام فخرب كل شيء ودمرت جيوشه سلمية تدميراً كاملاً وقـد التحم

(١) ابن الأثير ج ٩ ص ١٨٠ .
(٢) خطط الشام ج ١ ص ٢٩٩ و ج ٢ ص ٣ .

القتال في سهولها اكثر من مرة بين الغزاة والاسماعيليين واحتلت القلاع والمدن الاسماعيلية بكاملها واندثرت حضارتها التي تكونت في عهد الامام الاسماعيلي (الوفي أحمد) وبقيت خراباً حتى أمها الاسماعيليون وأشادوها خلال القرن الثالث عشر الهجري[١] .

وخلاصة القول لقد أظهر الاسماعيليون في شتى العصور ومختلف البلدان انهم يستحقون بجدارة أن يكونوا أحفاداً لأولئك الأبطال الذين سطروا في تاريخ الكفاح والمدنية والعلم آيات ناصعة زاخرة بالبذل والعطاء وكرم الخلق والحب والطاعة العمياء لامام زمانهم وناموس وجودهم المعصوم .

وإن أمة هكذا شأنها جديرة بأن تتبوأ مكانتها تحت الشمس وأن تحيا حياة هنيئة عزيزة الجانب موفورة الكرامة .

أما الاسماعيلية في سورية وهي اللغز الذي صعب حله والباب الذي لم يعثر على مفتاحه فقد كانت ما بين عام ١٨١١ م حتى ١٩٥٠ م تتخبط تخبطاً فوضويا وتتعرض إلى مـــا يسمونه عهد الانقراض وكانت التفرقة مسيطرة على مجتمعهم حتى كادت أن تقودهم إلى العواقب الوخيمة لولا أن اتصلوا بالامام الحاضر الموجود سلطان محمد شاه علي ففتح لهم آفاقاً جديدة وسار فيهم خطوات سريعة نحو الرقي والمدنية . وزودهم بتعاليم كان لها الأثر الفعـال في دعم نهضتهم الحديثة وتقوية مركزهم حتى أنه قال لهم اثناء زيارته لسورية (إذا عملتم بهذه التعليمات ستصبحون عمـا قريب أعزاء أقوياء كهذا الجبل) .

ولا بد لنا من القول أن النهضة الاسماعيلية الحديثة قد شقت طريقها

(١) هذا ما جاء في كتاب الفلك الدوار ص (٢٢٤) ونحن نعتقد بأن الاسماعيليين في سلمية لم يصبهم شيء من قبل هولاكو بدليل أن وزيره الخاص ومستشاره كان (الداعي الكبير نصير الدين الطوسي) وقد عقد مع الاسماعيلية معاهدات سلمية كانت ذات تأثير على مجرى العلاقات الودية ، ولا ندري من أين أتى شيخنا الكبير عبد الله بهذه المعلومات المشكوك بصحتها ،

نحو العلاء بعد أن خلعت عنها ثوب الكسل والتواكل وضربت بالتقاليد البالية التي حدت من حيويتها ونشاطها وجعلتهـا تتأخر عن باقي الامم مدة من الزمن .

وكتابي هذا بحد ذاته يشكل مجموعة من الابحاث التاريخية الاسماعيلية ، ويتضمن أبحاث ومواضيع جلها في الدعوة الاسماعيلية وتطوراتها منذ أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر . وغايتي من تأليف هذا الكتاب أمران :

١ – خدمة العلم والحقيقة وتعريف القراء بالاسماعيليين . وما هي كنوز دعوتهم المغلقة ؟ وما هي معتقداتهم الدينية ؟

٢ – حاجة النشء الاسماعيلي للاطلاع على تراثهم المجيــد ليتنبهوا من رقدتهم الطويلة ، وقد آن لهم ان يتحدوا ويتضامنوا ليتوصلوا إلى ما فيه الخير والفلاح والسؤدد للوطن وللعروبة جمعاء .

وبعــد فهذا هو كتاب الدعوة الاسماعيلية أقدمه للقارىء الكريم كخطوة أولى من الخطوات التي عزمنا أن نجتازها في المستقبل ، وانني على استعداد لتقبل كل نقــد وتلميح ، كما أنه يسرني أن أرفع جزيل الشكر لجميع من شجعوني وآزروني في عملي هذا وسهلوا لي مهمتي الشاقة حتى جاء عملي كما ترى .

وأخص بالذكر منهم سيدي الوالد (مكي) الطائفـة الاسماعيلية في سوريا الذي نفح فيَّ العقيدة الاسماعيلية وحبب إليَّ هذه الدراسات مذ كنت صغيراً ، ووارث الدعوة الاسماعيلية في سوريا الامير سليمان العلي حفيد باني سلمية الحديثة ، وأعضاء المجلس الاسماعيلي الاعلى ، لتسهيلهم مهمتي ووضع جميع الامكانيات والوثائق تحت تصرفي ، والاديب الصديق اسماعيل الامير سليمان لتوجيهاته وملاحظاته القيمة ، والشيخ سليمان الشيخ

ابراهيم من قرية (بري الشرقي) الذي وضع بين يدي جميع ما يملكه من مخطوطات نفيسة كانت أكبر عون لي في أبحاثي ، فإليهم جميعاً تقديري واحترامي ، وكل ما أرجوه هو أن أكون قد وفيته حقه من الخدمة العلمية ، وأحمد الله ان وفقني لهذا وان يهديني دائماً وأبداً لما فيه الخير والفلاح انه على كل شيء قدير ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل النبيين وآخر المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين .

سلمية في ٢٠ حزيران ١٩٥٣

مصطفى غالب

الفصل الاول

الدعوة الاسماعيلية وتنظيماتها السرية

من المشاكل المستعصية التي يصعب على المؤرخ والباحث حلها وسبر أغوارها وهو يستعرض تاريخ الدعوات الباطنية السرية وتنظيماتها ، حرص تلك الدعوات الشديد على كتمان وثائقهم ومصادرهم التي تنير الطريق لاستجلاء كنهها وكشف حقيقتها وما غمض من رموزها ومصطلحاتها . لذا جاءت الدراسات والابحاث حول هذه المشكلة العويصة ناقصة مبتورة ، ومبنية في اكثر الأحيان على الاستنتاجات والتخمينات الخيالية التي لا تستند الى الواقع بشيء . وما اكثر مـــا يعتمد هؤلاء على المصادر التي كتبها اعداء تلك الفرق ، وعلى الافتراءات التي لفقها الخصوم في العصور الغـــابرة ، حيث عمـــدوا الى تصنيف الروايات المشحونة بما يمليه التعصب والتزمت ، بقصد ابعاد الناس عن الانخراط في صفوف تلك المنظمات السرية الباطنية التي هزت أسس المجتمع الاسلامي في القرون الوسطى .

وبالرغم من كل هذه الملابسات فقد ظهر في هذا العصر علماء منصفين من غربيين وشرقيين كرسوا جميع امكانياتهم العلمية للتنقيب والبحث عن

الحقيقة ، وما عتم أن أمسكوا في أول الخيط الذي يقودهم إلى كنوز وأسرار تلك الدعوات التي أحدثت انقلاباً فكرياً واجتماعياً وسياسياً في مختلف أنحاء العالم الاسلامي . وفي طليعة هؤلاء العلماء المستشرق الروسي الكبير البرفسور (فلاديمير ايفانوف) الذي نشر أكثر من مـائة مؤلف عدا عن المقالات والابحاث الكثيرة التي كتبها في اكبر المجلات العلميـة ، فرسمت هـذه الدراسات والابحاث خطوطاً عريضة واضحة لتنظيات وتاريخ ومعتقدات الدعوة الاسماعيلية السرية في اكثر مراحلها . مما كان له التقدير والاعجاب لدى الاوساط العلمية العالمية .

ونحن الذين أخذنا على عاتقنا منذ أمد بعيد التنقيب والبحث حول تاريخ هـذه الدعوة وتطورها العلمي والفكري والعقائدي ، نكشف عن أسرار أهم تنظيات الدعوة الاسماعيلية واخطرها في جميع المراحل التي مرت فيها هذه الدعوة منذ عهد اسماعيل بن جعفر الصادق وحتى عصرنا الحاضر ، والمعلومات التي نقدمها للمهتمين بالدراسات الاسلامية ، مستقاة من الوثائق والمصادر الاسماعيلية السرية ، وقد توخينا في نقلها الأمانة والصدق والبحث العلمي الصحيح ، بعيداً .. بعيداً .. عن التعصب والمحاباة ..

اعتمد الأئمة الاسماعيلية في تنظيم دعوتهم على دعـاة محنكون علماء وفلاسفة ، ذوي مواهب خارقة ، استطاعوا بهم أن ينشروا الدعوة والفكرة الاسماعيلية في جميع أنحاء العالم الاسلامي .

ولا غرو فقد كان اولئك الدعاة اساتذة تخطيط هذا الفن في العالم ، فجعلوا تنظيات الدعوة من صميم العقيدة وفلسفتها التي تقوم على نظريات رياضية فلسفية فلكية مستقاة من نظم الكون والمخلوقـات التي تحيط بالانسان ، فتوصلوا إلى جعل الدعاة الذين هم عصب الدعوة الحساس

وشريانهـــا الحيوي من حدود الدين ، وأسبغوا عليهم هالة من القدسية والتعظيم .

وبالحقيقة لم توجه أية دولة من الدول ، أو فرقة من الفرق ، اهتماماً خاصاً بالدعاية وتنظيمها ، كما اهتمت بها الاسماعلية ، فجعلت منها الوسيلة الرئيسية لتحقيق نجاح الحركة في دور الستر والتخفي ، ودور الظهور والبناء معاً . ولقـد أحدث التخطيط الدعاوي المنظم تنظيماً عجيباً لم يسبقهم اليه أحد في العالم ، وابتكرت الأساليب المبنية على أسس مكينة مستوحاة من عقيدتها الصميمة .

وإذا قورنت أحدث التنظيات العصرية الحديثة مع تنظيات الحركة الاسماعيلية وأجهزتها الدعائية ، لتبين لنا ان الاسماعيليين كان لهم القدح المعلى في هذا المضمار ، من حيث الدقة في التنظيم ، والاخلاص والتفاني في التنفيذ .

ولقد برعوا براعة لا توصف في تنظيم أجهزة الدعاية — على قـلة الوسائل في ذلك العصر — واستطاعوا أن يشرفوا بسرعة فائقة على أقاصي بقاع البلدان الاسلامية ، ويتنسمون أخبار أتباعهم في الأبعاد المتناهية . وذلك بما نظموا من أساليب وأحدثوا من وسائل . وقـد كان للحمام الزاجل — الذي برع في استخدامه دعاة الاسماعيلية — أثره الفعال في تنظيم نقل الأخبار والمراسلات السرية الهامة .

وقد كان للتخطيط الدقيق الذي اعتمده الدعاة الأول في سلمية أكبر الأثر في إقامة الدولة الاسماعيلية في اليمن ، وفي المغرب ، ومن ثم في مصر .

والجدير بالاهتمام ان الامام الاسماعيلي — والذي يعتبر رئيساً للدعوة — جعل الدعاة من (حدود الدين) ، إمعاناً منه في اسباغ الفضائل عليهم ليتمكنوا من نشر الدعوة وتوجيه الاتباع والمريدين دونما أية معارضة

أو مخالفة . لأن مخالفتهم ومعارضتهم تعتبر بالنسبة للاسماعيلية مروقاً على الدين وخروجاً عن طاعة الامام نفسه ، لأنهم من صلب العقيدة وحدودها .

ولقد وفقت الحركة الاسماعيلية بين جهاز الدعاية الذي نظمته خير تنظيم ، وبين نظام الفلك ودورته ، فجعلت العالم – الذي كان معروفاً في عصرها – مثل السنة الزمنية ، فالسنة مقسمة الى اثني عشر شهراً واذن فيجب أن يقسم العالم إلى اثني عشر قسماً . وأطلق على كل قسم « جزيرة » وجعل الامام عميد الدعوة على كل جزيرة من هذه الجزر داعياً ، هو المسؤول الأول عن الدعوة فيها ، وأطلق عليه لقب « داعي دعاة الجزيرة » أو « حجة الجزيرة » .

وقالوا ان الدعوة لا يمكن استقامتها إلا باثني عشر داعياً يتولون ادارتها ، يقابلهم في عالم الفلك الواحد اثنا عشر برجاً هم : الحمل ، الثور ، الجوزاء ، السرطان ، الأسد ، السنبلة ، الميزان ، العقرب ، القوس ، الجدي ، الدلو ، الحوت . يطابقها في جسد الانسان اثني عشر ثقباً هي : العينان ، والاذنان ، والمنخران ، والثديان ، والسبيلان ، والفم ، والسرة . يقابلها في عالم الحجب اثنا عشر حجاباً هم : حجاب القدرة ، وحجاب العزة ، وحجاب العظمة ، وحجاب الهيبة ، وحجاب الجبروت ، وحجاب الرحمة ، وحجاب النبوة ، وحجاب الكربة ، وحجاب المنزلة ، وحجاب الرفعة ، وحجاب الشفاعة ، وحجاب السعادة . وقالوا ايضاً ان النبي قال : « طوبى لمن حفظ الرأس وما حوى ، والعقل وما وعى ، والقلب وما دعا ، وذكر القبر والبلى ، ولم يتأثر بالحياة الدنيا » . أي طوبى لمن حفظ رأس دعوة الحق والائمة من ولده ، ويقولون بأن الرسول اراد من قوله (العقل وما وعى) ، أي ان في العقل اثني عشر قطعة دليلاً على اثني عشر

داع الذين هم في جزائر الارض ، وهم في الدنيا مشهورون : العرب ، الترك ، البربر ، الزنج ، الحبشة ، خزر ، الصين ، فارس ، الروم ، الهند ، السند ، الصقالبة . ولما كانت الابراج ستة قبلية ، وستة شمالية ، كذلك اقتضى أن تكون الثقوب ستة في الجانب الايمن ، وستة في الجانب الأيسر ، يطابقها أن شهور السنة على نوعين : ستة شمالية ، وستة جنوبية ؛ فالستة الشمالية ، عدد أيامها ثلاثون يوماً ، ويسمون بالاشهر الكاملة ، والستة الجنوبية ، عدد أيامها تسعة وعشرون يوماً ، ويسمون بالاشهر الناقصة .

وباعتبار ان الشهر ثلاثون يوماً ، لذا كان لكل داعي جزيرة ثلاثون داعياً نقيباً لمساعدته في نشر الدعوة ، وهم قوّته التي يستعين بهـا في مقارعة الخصوم ، وهم عيونه التي بها يعرف أسرار الخاصة والعامة ، فهم بمثابة وزرائه ومستشاريه في كل ما يتعلق بجزيرته . ولما كان اليوم مقسم الى اربع وعشرين ساعة ، اثنتي عشرة ساعة بالليل ، واثنتي عشرة ساعة بالنهار ، لذا جعل الامام الاسماعيلي لكل داع نقيب أربعة وعشرين داعياً ، منهم اثني عشر داعياً ظاهراً كظهور الشمس بالنهار ، واثني عشر داعياً محجوباً مستتراً استتار الشمس بالليل . وبعملية حسابية نجد أن عدد الدعاة الذين بثهم الامام في العالم الذي كان معروفاً لديهم كان حوالي ٨٦٤٠ داعياً ، في وقت واحد ، وذلك بخلاف عدد آخر من الدعاة لا يشملهم هذا الاحصاء ، وهم الدعاة الذين يكونون دائماً في مركز الدعوة الرئيسي مع عميدهم الامام ، علماً بانه كان لكل فئة من هؤلاء الدعاة عمل خاص لا يتعداه حفظاً لنظام الدعوة وسريتها ، فدعاة النهار الاثني عشر في كل جزيرة كانوا يعرفون بالمكاسرين أو المكالبين وهم أصغر طبقة في درجات الدعاة ، وعلى عاتق المكالبين تقع مهمة مجادلة

العلماء والفقهاء أمام جماهير الناس ، وكأنهم تلاميذ يريدون الافـادة من أساتذتهم ، دون أن يخالج الشك العلماء والفقهاء او الجماهير المجتمعة للاخذ عن هـؤلاء العلماء أو الفقهاء ، بأن من يجادلونه ويناقشونه مناقشة علمية عنيفة أنه من الدعاة ، وفي أغلب الأحيان يظهر عجز العـالم عن الجواب ، الصحيح ، أو تبدو منه أخطاء فيسخر منـه الداعي المكالب ويتركه ، وهنا تظهر عبقرية الداعي المكالب فيسرع اليه الناس يلتمسون منه الجواب الشافي عن الاسئلة التي طرحها والموضوعات التي ناقش فيهـا العلماء ، ومن الظاهر ان الداعي المكالب كان يختار اختياراً خاصاً ، ولا يسمح له بالمكاسرة الا بعد امتحان عسير وتجارب كثيرة ، ونجد في بعض الكتب الاسماعيلية الشروط الواجب توفرها عند اختيار الداعي المكالب والخصال التي يجب أن يتحلى بها ، من ذلك أن يكون من نفس البيئة التي سيكاسر فيها ، ولد ونشأ بها ، حتى يكون معروفاً عند الجمهور ويجب أن يكون حسيباً ونسيباً بـين قومه ، فالحسب والنسب يكسبانه بعض الاحترام ، وان يكون معروفاً بالصدق والامانة والتقى والورع ، فهذه الصفات تزيده احترامـاً في قومه ، فاذا وثق داعي الجزيرة في شخص تتوفر فيه هـذه الشروط شرع في تعليمه العلوم الاسلامية حتى يتبحر فيها ، فاذا تم له ذلك ، أخذ يلقنه مسائل اختلاف المذاهب وآراء أهل الملل والنحل كلها من فرق اسلامية وغـير اسلامية ، ويظهر له مواطن الضعف في كل مذهب وفي كل رأي ، ثم يعلمه كيف يجادل في اختلاف هـذه الآراء ، وكيف يناقش أصحابها ، فاذا تم له ذلك يبدأ الداعي في تدريبه على تفهم نفسية كل جماعة من الجماعات ، وكيف يخاطب كل طائفة من الطوائف حتى يستميل الناس اليه ، فاذا أتقن كل هذه الأمور وتدرب عليها ، ونجح فيها النجاح الملحوظ سمح له الداعي أن يكاسر ويجادل

الفرق الأخرى دون أن يشعر أحداً بانه اسماعيلي المذهب بل يجب أن يكتم ذلك كتماناً شديداً ، ولذلك يجب أن يكون المكاسر ذكياً ذا فراسة حتى لا يخطىء في معرفة نفسية المجتمع أو تقدير الناس الذين يخاطبهم ، فاذا فرض ووجد المكاسر أمامه خصماً عنيداً اكثر منه علماً وتبحراً في مختلف الفنون ، وجب على المكاسر في هذه الحالة أن يلج في المسائل الفلسفية العميقة التي لا حد لها والتي لا يفهمها العامة ، ويدخل معه في مناقشات باطنية هي من أخص خواص الفلسفة الاسماعيلية التي لا يعرفها غير الدعاة . وبذلك ينجو المكاسر من الظهور بمظهر الضعف أمـــام العامة ، بل ربما عظم شأنه في أعينهم لأنه يتحدث عن أشياء لا يفهمونها ولا يعرفون كنهها ، هكذا كان شأن الداعي المـكاسر أو « الداعي المكالب » الذي كانت مرتبته أقل مراتب النظام الاسماعيلي للدعاية ، فاذا كان هذا هو شأن أصغر الدعاة استطعنا أن ندرك ما كان عليه أمر كبار الدعاة على اختلاف درجاتهم وتباين مراتبهم . وفي حالة توصل الداعي المكاسر إلى اقناع أحد المستجيبين ممن يرغبون الوصول إلى معرفة الحقيقة يأخذه إلى أحد الدعاة الذين هم أعلى منه مرتبة ، فيلاطفه ويفاتحه في لين ورفق دون أن يظهر له صفته المذهبية أو شيئاً من عقائده ، بل يكتفي باطلاعه على بعض المسائل المذهبية ويلمح له ببعض التأويلات الباطنية التي لا ضير في كشفها ، فاذا أصر المستجيب على الاستزادة من المعرفة أحاله الى الداعي المأذون وهو من دعاة الليل الذي يبدأ بأخذ العهود والمواثيق ، فاذا وثق باخلاص المستجيب بدأ يكاشفه ببعض الأسرار الخفية الـتي لا ينفر منها ، ويتدرج به حتى يطمئن الداعي المأذون الى اخلاصـــه ، ويطمئن المستجيب الى الداعي ويثق به ، عندئذ ينقله الى الداعي الذي هو أرقى منه رتبة ، وهكذا يتدرج المستجيب بين الدعاة حتى يسمح

له اخيراً بحضور مجالس داعي دعاة (الجزيرة) الذي له وحـدة الحق في ان يعلم الناس التأويلات الباطنية للدين والقرآن والحديث ، كما يعلم الدعاة فلسفة الدعوة المذهبية أي (علم الحقيقة) . صحيح كان داعي الدعاة يلقي المجالس والاحاديث على العامة الذين أخذت عليهم العهود والمواثيق دون أن يصلوا بعد الى درجة عالية في علوم الدعوة ، ولكن هذه المحاضرات كانت بعيدة عن الاسرار الاسماعيلية العليا .

على هذه الصورة الدقيقة نظم الاسماعيليون دعوتهم ودعاتهم ، وحددوا صلاحيات ومهمة كل واحد من هؤلاء الدعاة ، وامعنوا في تكريم الدعاة واسباغ المناقب والفضائل عليهم ، فجعلوهم من « حدود الـدين » الذين يجب ان يعرفهم ويتوالاهم جميع المؤمنين .

اما الدعاة الذين يكونون « القيادة العليا للدعوة » والذين يظلون بمعية الامام دائماً ، فالامام يختارهم بنفسه من أقوى وأعـلم دعاة الجزائر ، ويطلق على الداعي المختار لهذه المهمة « داعي الدعاة » ، واليـه حق الاشراف على الدعوة في جميع الجزائر ، ويكون الواسطة بين دعـاة الجزائر وبين الامام ، ويكون معروفاً بين الدعاة جميعاً وبـين حاشية الامام في أدوار الستر والظهور . وعلى عاتقه تقع مهمة عقـد مجالس الحكمة التأويلية على اختلاف درجاتها ، ومع مرتبة داعي الدعاة كانت هناك مرتبة رفيعة أخرى هي مرتبة (الحجة) ويسمى صاحبها « حجة الامام » وأحياناً كان الامام يولي المرتبتين لشخص واحـد ، وفي أغلب الأحيان وخاصة في الأدوار السرية كان يحمل كل مرتبة لشخص ، وفي هذه الحالة يستر اسم صاحب مرتبة الحجة فلا يعرفه الا الامام نفسه . وهناك من يزعم أن ولي عهد الامام يجب أن يحمل مرتبة الحجة فهذا الزعم لا تؤيده الوثائق ولا المصادر الاسماعيلية ، فمرتبة ولاية العهد نوع ومرتبة

الحجة نوع آخر ، فولاية العهد لن تعطى الا للابن الأكبر للامام الذي ينص عليه علناً أمام مجلس الدعاة ويجب ان يكون من عقب الامام . أما الحجة فينتقيه الامـــام من أصل الأربعة الحدود الحرم ، ولا يجوز مطلقاً اختياره الا منهم .

وهناك مرتبة سرية أخرى وهي مرتبة « باب الابواب » ولا يعرف شاغل هذه المرتبة الا الامام نفسه وولي عهده . وقد وصف احد الدعاة الاسماعيلية العلماء هذه المرتبة بقوله : « وحدّ الباب هو من الحدود الصفوة واللباب فهو أفضل الحدود وهو حد العصمة ولا ينتهي إلى ذلك إلا الآحـــاد والأفراد » ويقول آخر : « باب الأبواب هو باب صاحب الزمان الذي يؤتى منه إليه وحجته على الخلق وحامل علمـــه وصاحب دعوته » . فرتبة باب الأبواب أو « الباب » فقط من أرفع مراتب الدعوة وتلي مرتبة الامام الدينية مباشرة ، وهي مرتبة سرية للغاية ، ولقد قال عنها الفيلسوف الاسماعيلي الكبير أحمد حميد الدين الكرماني في كتابه راحـة العقل : « الباب وله مرتبة فصل الخطابة » . ويمكننا أن نرتب مراتب الدعوة الاساسية من الناحية الدعاوية على الشكل التالي :

١ – إمـــام وله رتبة الأمر .
٢ – باب وله رتبة فصل الخطاب .
٣ – حجة وله رتبة الحكم فيما كان حقاً أو باطلا .
٤ – داعي دعاة وله رتبة تعريف الحدود العلوية والعبادة الباطنة ورئيس الدعاة المباشر .
٥ – داعي البلاغ وله رتبة الاحتجاج وتعريف المعاد .
٦ – النقيب وله رتبة تعريف الحدود السفلية والعبادة الظاهرة .
٧ – المأذون وله رتبة آخذ العهد والميثاق .

٨ – داع محدود (أو محصور) وله رتبة جذب الأنفس المستجيبة .

٩ – جناح أيمن ملحق بصورة دائمة بالداعي النقيب ، فهو جناحه ويده اليمنى .

١٠ – جناح أيسر ملحق بصورة دائمة بالداعي النقيب فهو جناحه ويده اليسرى .

١١ – مكاسر (أو مكالب) له حق المجادلة ، وخاصة بين طبقات العامة .

١٢ – مستجيب أو رتبة يصل اليها من يؤخذ عليه العهد والميثاق .

على هذه الصورة رتب الامام رئيس الدعوة الاسماعيلية الحدود الجسمانية في النظام الاسماعيلي ، واجتهد الأئمة بأن لا يخلو بلد من دعاتهم ، وبفضل هذا التنظيم الدقيق انتشرت الحركة الاسماعيلية بشكل لم تعهده أيـــة دعوة في العالم .

ولا بد لنا من الاشارة بأن هناك بعض الاختلافات الشكلية في أسماء ورتب بعض الدعاة ، قد يجدها الباحث في بعض الكتب الاسماعيلية ، ولربما كان مرد هذا الاختلاف إلى ظروف وأسباب خاصة ، أو نتيجة لعدم تعمق المؤلف ووقوفه على التمييز بين كل داع وآخر . إلا أن كتب الحقيقة السرية التي ألفها كبار الدعاة والعلماء والفلاسفة تتفق مع التنظيمات التي ذكرناها أعلاه ، وإذا صدف ووجدت تنظيمات مخالفة لما أوردناه وذكرناه فهي لا شك وليدة تعليلات وتخمينات واستنتاجات لا تنسجم مع واقع الحقيقة ، لأن التنظيمات التي أوردناها آنفاً ظلت باقيــة ومعمول فيها حتى نهاية العهد الفاطمي في مصر .

ولـــا انتقلت الدعوة الاسماعيلية النزاريـــة إلى فارس ، أجرى الامـــام النزاري بعض التعديلات الجذرية التي تتناسب مـــع ظروفه وعصره ، ومع ذلك ظـــل القسم الخاص بالدعاية الدينية قريب الشبه

من النظام السابق ، ولو أن عـــدد الدعاة قد تقلص ونقص ، فالامام النزاري جعل رتبة (الشيخ) في دعوته بدلاً من رتبة (داعي الدعاة)، وعـــين له النواب في كل منطقة من المناطق الاسماعيلية ، وألحق بنائب الامام أو حجته أو (الشيخ) عدداً غير محدود من الدعاة الذين كانوا يدعون الناس للمذهب النزاري . أما القسم الثاني ، فهو خاص بالفدائية ،والجيش وهؤلاء كانوا يتبعون مباشرة لمركز الامامة أو لنائب الامام في منطقته ، ويتلقون الأوامر والمهمات السرية منه مباشرة . وكانت الفدائية على ثلاث درجات :

١ ــ الرفاق أو المقدمون ، وهم قادة الجيش ، والفدائيــة ، ولهم حق الاشراف على التدريب والسهر على تنفيذ المهمات العسكرية .

٢ ــ مرقبة الفدائيين الذين ينتقون من العناصر المخلصة المعروفة بالتضحية والاقدام والشجاعة النادرة ، والجرأة الخارقة ، فيكلفون بالتضحيات الجسدية وبتنفيذ أوامر الامام أو نائبه .

٣ ــ المستجيبون ، وهم الذين يقضون دور التـدريب والتعليم ، وهؤلاء يدخلون مدارس الفدائية وهم في سن مبكرة ويتلقون التدريب والتعليم في المدارس الخاصة بهم ، على أيدي كبار المقدمين ، ويسهر على تدريبهم وتعليمهم الامام نفسه ، أو نائبه « الشيخ » .

ولقد عمل بموجب هذه الانظمة جميع الاسماعيلية النزارية في جميع المناطق ، فطبقت شهرة الفدائية وأعمالهم الخارقة الآفاق . أما الاسماعيلية المستعلية فيجعلون في كل بلد من البلدان التي فيها جماعة منهم ، رجلاً من رجال الدين الذين تخرجوا من (الجامعة السيفية) بمدينة سورت في الهند ، ويسمونه (العامل) وهو المكلف بجمع أموال الخمس و (السلة أو الاعشرة)

ويقدمها للداعي المطلق بمناسبة عيد الفطر وغيره ، ويقوم على شؤونهم الدينية من تنظيم عقود الزواج والطلاق ، وغير ذلك ..

أما تنظيمات الاسماعيلية النزارية الدينية في عصرنا الحاضر ، فهي لا تتفق بأي حال من الأحوال والتنظيمات التي كانت معروفة في العصور السابقة ، لأن تلك التنظيمات القديمة لم تعد تتلاءم والعصر الحديث ، بدليل انه قد أصبح للقضايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التأثير الاكبر . ونلاحظ الآن ان الدعاية الدينية ، وهي الأهم ، في المعتقدات الاسماعيلية مفقودة تماماً ، ولم يعد لها أي وجود . كما وان المثقفين ثقافة دينية عالية ليس لهم وجود في صفوف الاسماعيلية النزارية ، بالنظر لانعدام المدارس الدينية الخاصة ، والمدرسين الاكفاء الذين كانوا يعقدون المجالس الخاصة ، والندوات لاعطاء المستجيبين العلوم الاسماعيلية . كما وان الوظائف أصبحت وقفاً على رجال الاقتصاد ، وعلى الظروف والمناسبات ، فلا تراعى مطلقاً الكفاءات العلمية ، أو الثقافية . والوظائف المعروفة الآن هي :

الهيئة الدينية :

١ — سيف الدعوة — أو وزير الدعوة — أو وارث : وهي رتبة فخرية شرفية تعطى عادة لكبار زعماء الطائفة . وهناك رتب شرفية أخرى مثل : اتمادي ، رأي ، علي جاه ، كونت .

مكي : يشرف على تعيين موظفي المساجد ، ويراقب جباية الأموال وجمعها ويترأس المصلين ، وفي أغلب الاحيان يكون صاحب هذه الرتبة لا يتمتع بأي ثقافة دينية ، ولا تراعى في تعيينه أية ناحية من النواحي المعروفة في العهود السابقة . وله في كل مسجد من مساجد الاسماعيلية أي في كل (جمعة خانا) وكيلا له .

٣ – كامريا – أو كامادیا – ومهمته المحافظـــة على خزينة الدعوة والاعتناء بالشؤون المالية فقط .

٤ – ناظر مراقبة سير أمور الدعوة من الناحية المالية والاجتماعية والدينية .

٥ – واعظ : مهمته وعظ الأتباع ، وحضور المآتم لتلاوة آيات القرآن ولا يتمتع بأي ثقافة دينية .

المجلس الاسماعيلي الاعلى :

مهمة هذا المجلس الاشراف على شؤون الاسماعيلية من جميع النواحي ويعين من قبل الامام ، ويتألف من : الرئيس ، أمين سر ، وعـــدد من الأعضاء قد يصل في بعض الأحيان الى العشرة .

اللجنة الثقافية :

ومهمة هذه اللجنة الاشراف على الأمور الثقافية والمدارس وانتخاب البعثات العلمية . وفي الأقطار الاسماعيلية كالهند ، وافريقيا ، والباكستان ، عدة منظمات أخرى ، كالجمعيات الخيرية ، والنسائية ، والصحية ، والرياضية ، وروابط الطلبة . الخ ... ما هنالك من تنظيمات عصرية تتناسب مـــع المناطق والبلدان التي يقطنها الاسماعيلية . وقد كان لهذه التنظيمات التي أوجدها آغاخان الثالث أثرها الفعـــال في نهضة الاسماعيلية في مختلف المجالات ، وفي بعض البلدان بلغت الذروة .

الفصل الثاني

عقائــــد الاسماعيلية

لنفرض أن الحركة الاسماعيلية كائناً حياً يتمتع بالحسية المطلقــة ، والادراك الكامل للواقـــع في مختلف نواحيه ، فلا بد أن ينمو هذا الكائن الحي ويستمد أسباب نموه ، اما من ذاته ، بما يفجر من طاقات روحانية في عالم النفس ، واما اكتساباً مما يحيط به من مؤثرات في عالم المادة . لهذا رافقت الحركة الاسماعيلية في مسيرتها ، مسيرة الزمن ، وآخت في حياتها وحدة الحياة . فكانت مزدوجة في تقمصها دور المعلم الذي يشق طريق السعادة للبشرية ، ودور المجرب الذي يتكشف أسرار ما غلق على النفس ، ويستخلص من تجاربه عصارة الحياة ليحقن بهـا قوة زخمة تدفعه خطوات أسرع نحو التقدم والسمو من أجل الكمال . ومن هنا كانت الحركة الاسماعيلية قديمة في جدتها ، عتيقة في حداثتها ، فاكتسبت في ذلك مناعة ضد الهرم ، ولبست من نصاعة جوهرها ثوباً لا يشيخ ، ولا تعبث به عناكب البلى .

وانطلاقاً من هذه الحقيقة السرمدية الواضحة ، نستطيع أن نبين أن

الحركة الاسماعيلية تعتمد على عقيدة شاملة لكامل أمور الحياة ومتفرعاتها. وهذه العقيدة تترتب في حقائق أزلية ثابتة، رافقت الكون منذ البدء، وستستمر إلى ما لا نهاية. ومن معتقدات متطورة جديدة تتلاءم مع مقتضيات الحياة نفسها، ومتطلبات الزمن المتجدد. غير ان هـذه المعتقدات الجديدة المتطورة تبقى في تلازم متين مـع صلب العقيدة الجامعة الاولى، ومتماسكة مع لحمتها، كي تزيد في اتقادها، وتمعن في اشعاعها، فتضمن لها استمراراً أزلياً.

فالعقيدة الأساسية الجامعة للاسماعيلية تترسخ في حقائق ثابتة هي:

١ — العبادة العلمية (أي علـم الظاهر) : وهو ما يتصل بفرائض الدين وأركانه.

٢ — العبادة العلمية (أي علم الباطن) : من تأويل، ومثل عليا للتنظيمات الاجتماعية، ومثل عليا للادارة السياسية. وكل هذه النقاط تعتبر من صميم العقائد، تتداخل مع بعضها تداخلا كلياً، وتعتمد كل واحدة على الأخرى، فهم يقولون بالباطن والظاهر معاً، وذهبوا إلى تكفير من اعتقد بالباطن دون الظاهر، أو بالظاهر دون الباطن. وفي ذلك يقول الداعي المؤيد في الدين:

« من عمل بالباطن والظاهر معاً فهو منا، ومن عمل بأحدهما دون الآخر، فالكلب خير منـه وليس منا ». ومن أصول ومرتكزات العقيدة الاسماعيلية ضرورة وجود الامام المعصوم، المنصوص عليه، من نسل علي بن أبي طالب، والنص على الامام يجب أن يكون من الامام الذي سبقه، بحيث تتسلسل الامامة في الاعقاب، أي أن ينص الأب على امامة ابنه الأكبر. ولا تزال الامامة المحور الذي تدور عليه كل العقائد

الاسماعيلية وفلسفتها ، لأن الامامة ركن أساسي لجميع أركان الدين فدعائم الدين هي : الطهارة ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والجهاد ، والولاية. والولاية هي أفضل هذه الدعائم ، فان أطاع المؤمن الله وأقر برسالة الرسول الكريم ، وقام بأركان الدين كلها ثم عصى الامام ، أو كذب به ، فهو آثم في معصيته ، وغير مقبولة منه طاعة الله وطاعة الرسول. وتدور حول هذه النقطة أكثر أبحاث علماء الاسماعيلية الذين يعتبرون الامام كالهرم ، رأس الهرم الامام بكل ما حاز من فضائل ومثل ، والقاعدة : هم الاتباع ، ومن الطبيعي أن تتطلع القاعدة الى القدوة في اتخاذها الكمال ، فتلتقي نظرتهم عند رأس الهرم ، واعتبروا الامام كالبحر الخضم تصب فيه كافة العيون والسواقي والانهار ، فهي منه ، أي منه انبثقت ، واليه معادها. أو كالمولد الكهربائي الذي يشع نوره في المصابيح ، وتفقد هذه المصابيح قدرتها على الاشعاع عندما يمتنع المولد عن مدها بالنور.

والاسماعيلية يعتبرون من حيث الظاهر ان الأئمة من البشر ، وأنهم خلقوا من الطين ، ويتعرضون للامراض والآفات والموت ، مثل غيرهم من بني آدم ، ولكن في التأويلات الباطنية يسبغون عليه (وجه الله) ، و (يد الله) ، و (جنب الله) ، وانه هو الذي يحاسب الناس يوم القيامة ، وهو الصراط المستقيم ، والذكر الحكيم ، الى غير ذلك من الصفات. وفي هذه الأقوال أدلة على كل صفة من هذه الصفات ، فمثلا : ان الانسان لا يعرف إلا بوجهه ، ولما كان الامام هو الذي يدل العالم على معرفة الله ، فبه إذن يعرف الله ، فهو وجه الله ، الذي يعرف به الله ، وان اليد هي التي يبطش بها الانسان ويدافع بها عن نفسه ، والامام هو الذي يدافع عن دين الله ، ويبطش بأعداء الله ، فهو على

هذه المثابة يد الله ، ومن جهة ثانية نرى الاسماعيلية يجردون الله من كل صفة ، وينزهونه التنزيه كله ، وينفون عنه جميع ما يليق بمبدعاته التي هي الاعيان الروحانية – ومخلوقاته التي هي الصور الجسمانية – هي الاسماء والصفات ، ويعتبرون نفي المعرفة ، هو حقيقة المعرفة ، وسلب الصفة هو نهاية الصفة .

وهكذا نرى ان الاسماعيليين اعطوا الامامة مركزاً سامياً مقدساً ، وجعلوا من الامام مثلهم الأعلى وجعلوه على رتب ودرجات ، وزودوه بصلاحيات واختصاصات واسعة . ويستدل من المصادر الاسماعيلية السرية أن مقامات الامامـــة ودرجاتها التي كانت معروفة في دور الستر والتقية هي :

١ – الامام المقيم : وتعتبر اعلى مراتب الامامة وأرفعها ، وهو الذي يقيم الرسول الناطق ويعلمه رسالة النطق .

٢ – الامام الأساس : هو القائم بأعمال الرسالة ، ومنه يتسلسل الأئمة المستقرون في الادوار الزمنية .

٣ – الامام المتم : هو الذي يتم الرسالة في نهاية الدور الذي يقوم به سبعة من الائمة ، فهو سابعهم ومتمماً لرسالة الدور .

٤ – الامام المستقر : صاحب الحق في توريث الامامة لولده ، بموجب النص على الامام الذي يأتي بعده ، وهو الأصل .

٥ – الامام المستودع : لا يستطيع توريث الامامة لأحد من ولده . يتسلم الامامة في الظروف والأدوار الاستثنائية .

٦ – الامام القائم بالقوة : ناقصاً في ذاته .

٧ – الامام القائم بالفعل : تام في ذاته وفعله .

وقد دعموا هذه المعتقدات بنظريات فلسفية وتأويلات باطنية ، اما

اكتساباً أو استنباطاً . فأصبحت الفلسفة بنظرهم وسيلة لتقييم العقيدة ، وطريقاً الى تكشف جوهر الخالق والدين . ونادوا بوجوب التأويل الباطن ، لأنه من عند الله ، خص به علياً بن أبي طالب ، كما خص الرسول بالتنزيل . واستدلوا على ذلك بقصة موسى مع الرجل الصالح المذكور في سورة الكهف . وعمدوا إلى احاطة علوم الباطن بالستر والكتمان ، وحظروا اظهارها إلا لمن يستحق ذلك فقط . واعتبروا التأويل الباطن نظرية دينية فلسفية ، تتلخص كما ذكرنا في أن الله سبحانه وتعالى جعل كل معاني الدين في المخلوقات التي تحيط بالانسان ، لذا يجب أن يستدل بما في الطبيعة ، وبما على وجه الأرض ، على ادراك حقيقة الدين ، وقالوا ان المخلوقات قسمان : قسم ظاهر للعيان ، وقسم باطن خفي ، فالظاهر يدل على الباطن وما ظهر من أمور الدين من العبادة العملية ، وما جاء في القرآن هي معاني يعرفها العامة ، ولكن لكل فريضة من فرائض الدين تأويلاً باطناً لا يعلمه الا الأئمة وكبار حججهم ودعاتهم وحدودهم .

ولهم أدلة عقلية على وجوب التأويل استقوها من القرآن الكريم ، فذهبوا إلى أن مثالة الدين تؤخذ من خلقة السموات والأرض ، وتركيب الأفلاك ، وجميع ما يتأمل مما خلقه الله ، فقد ركزت في المخلوقات كل معاني الدين الذي حمله القرآن الكريم ، فآيات القرآن اذا في حاجة إلى من يستنبط كنوز هذه المعاني ، واستناداً لهذه الطريقة ، أوجدوا نظرية المثل والممثول ، والباطن والظاهر ، وجعلوا الظاهر يدل على الباطن ، وسموا الباطن ممثولاً ، والظاهر مثلا ، وفي ذلك قال داعي الدعاة المؤيد في الدين هبة الله :

« خلق الله أمثالاً وممثولات ، فجسم الانسان مثل ، ونفسه ممثول .

والدنيا مثل والآخرة ممثول . وان هـذه الأعلام التي خلقها الله تعالى ، وجعل قوام الحياة بها ، من الشمس والقمر والنجوم لها ذوات قائمة يحل منها محل المثل ، وان قواها الباطنة التي تؤثر في المصنوعات هي ممثول تلك الأمثال[١] . وجاء في المجالس المستنصرية : « معشر المؤمنين ، ان الله تعالى ضرب لـكم الأمثال جملا وتفصيلا ، ولم يستح من صغر المثال اذا بين به ممثولا ، وجعل ظاهر القرآن على باطنه دليلا[٢] » . ويقول داعي الدعاة المؤيد في الدين :

أقصد حمى ممثوله دون المثل ذا ابر النحل ، وهذا كالعسل[٣]

واستناداً على نظرية المثل والممثول هذه يجب أن يكون في العـالم الأرضي ، عالم جسماني ظاهر يماثل العالم الروحاني الباطن ، فالامام هو مثل السابق ، وحجته مثل التالي ، وكل خصائص العقل الأول (السابق) جعلت للامـام . وقالوا : ان الله سبحانه وتعالى متعال عن المراتب كلها كالاً ونقصاناً ، ووحدة وكثرة ، وأول ما ترتب أولاً في الوجود وهو موجود وجد على طريق الابداع والاختراع لا على طريق الفيض كما يقول الفلاسفة ، وهذا الموجود الأول علة أولى يتعلق بها ويترتب عنها وجود ما سواها من الموجودات ومثله في هذا كمثل الواحد الذي هو في الاعداد التي ترتب عنه ، بمثابة العلة الأولى في وجودها . فان الاول ان لم يثبت وجوده لم يكن للثاني طريق الى الوجود ، والثاني ان لم يثبت وجوده لم يكن للثالث طريق إلى الوجود واذا لم يكن للثاني والثالث وجود الا بثبوت وجود ما يكون أولاهما وسببا

(١) المجالس المؤيدية ٥٢/٢ المجلس الثامن من المائة الثانية .
(٢) المجالس المستنصرية : ص ٩٨ - ٩٩ .
(٣) القصيدة الاولى من الديوان .

لوجودهما[١] . فمن وجود الثالث والرابع وغيرهما من الموجودات قيام الدليل على وجود أول لها ثابت ، وسبب لولاه لما وجد ما سواه ، فقد ثبت للموجودات بوجودها مبدأ أول ، عنه ترتبت في الوجود ، وذلك المبدأ الأول نسميه : العقل الأول ، والموجود الأول ؛ الذي وجوده لا بذاته بل بابداع المتعالي سبحانه اياه ، ولما كانت الموجودات موجودة ثابتة ، ثبت ان العلل ثابتة وانها لا تزال ترتفع عن الكثرة عند التوجه نحو الأول منها ، وتقل الى ان تنتهي الى شيء واحد ثابت هو علة تنتهي اليها العلل ، مثل التسعة من الأعداد ، التي وجودها يدل على وجود الثمانية ، ووجود الثمانية يدل على وجود السبعة ، فلا تزال ترتفع عن الكثرة تحليلا الى ما منه وجدت الى أن تنتهي الى واحد ثابت هو علة لجميعها ، وبه قوامها . فيكون ذلك الواحد المتقدم الرتبة وجوده لا بذاته ، بل هو في ذاته فعل عمن لا يستحق أن يقال انه فاعل،وهو مفعول لا من مادة ،وهو فاعل لا في مادة هي غيره . وانما قلنا انه فعل في ذاته لكونه أول موجود .

ولما كان الانسان الذي هو آخر الموجودات ، وهو النهاية الثانية لها منحلا إلى أشياء كثيرة مفعولة فيها هي كالمادة التي منها فعل وهي كلها دار الطبيعة ، والى أشياء كثيرة فاعلة صارت دار الطبيعة مادة لها تفعل فيها لاخراج ما من شأنه أن يوجد منها الى الوجود مثل الانسان وغيره ، وهي كلها قائمة بالفعل ، وهي الملائكة الموكلة بالعالم ، فالانسان فاعل في مواد هي غيره عند إيجاد الصورة الصناعية ، ومفعول من دار الطبيعة، وفعل للملائكة القائمة بالفعل، وفاعليته بكونه فعلا لغيره الذي قام بفعله، أعني ايجاده،ووجدنا دار الطبيعة والفاعلين فيها منحلة إلى أشياء ليست في الكثرة مثل دار الطبيعة ، بما تجمعه والفاعلين فيها ، بل أقل ، وهي الهيولى والصورة معاً ، وما

(١) راحة العقل : للكرماني ص ٥٩ .

صارت الهيولى والصورة مادة له في تكوين الافلاك والاستقصات من الملائكة أعني العنصر القائم بالفعل ، ودار الطبيعة والفاعلون فيها فاعلة للانسان وغيره من أنواع الموجودات ، ومفعوله مما منه وجدت ، أمـا دار الطبيعة فمن الهيولى والصورة ، وأما الفاعلون فمن فاعل مثلهم سابق عليهم ، وفعل للملك القائم بالفعل الذي هو سابق للجميع ، وفاعليتها بكونها فعلا للذي قام بفعله اياها ، ووجدنا الهيولى والصورة والفاعل فيهما متحللين الى شيء واحد منه وجودها بانتهاء التحليل الى أول الكثرة بالذوات التي ليس وراء أولها الذي هو اثنان الا الواحد ، وامتناع الأمر في انحلالها الى شيئين يجريان منهما مجرى الآباء والامهات والفاعلين فيها من الانسان والهيولى ، والفاعلين فيها من الآباء والامهات لاتصال الأمر فيه ان لو كان كذلك إلى ما لا يتناهى ، يكون سبباً للاوجودية الموجودات ، فقد ثبت بانتهاء التحليل إلى واحد به يتعلق وجود ما سواه ، ان هذا الواحد هو العلة الثابتة ، وهو فعل في ذاته ، وفاعل في ذاته ، ومفعول بذاته .
ثم نقول : لما كان كل قائم بالقوة ناقصاً ، وكان خروجه الى الفعل الذي هو درجة الكمال الا يكون إلا بالذي يستند اليه في ذلك ، فمن هو قائم بالفعل تام في ذاته وفعله ، وكانت أنفس البشر في دار الطبيعة قائمة بالقوة ناقصة ، فخروجها الى الفعل اذن لا يكون الا بالذي هو قائم بالفعل ، تام في ذاته وفعله .

ولما كان موجوداً من أنفس البشر من خرج الى الفعل مثل الأنبياء والأوصياء والأئمـة عليهم السلام وتابعيهم بنيهم الكماليين ، واستيفائهم السعادتين ومصيرهم مجمعاً للفضائل ، صفرا من الرذائل تاماً ، كان القائم بالفعل التام في ذاته وفعله الذي به كان كمالهم وارتقاؤهم إلى درجة القيام بالفعل وباستنادهم اليه كان وجودهم تامين ولولاه لما كان لهم خروج الى الفعل موجوداً [1] .

(١) راحة العقل : للكرماني ص (٦١ – ٦٢) .

وتحدث الفلاسفة الاسماعيليون عن وجود الله فاثبتوا ضرورة وجوده عن طريق ليسيته ، وضرورة استناد الموجودات واحتياجها الى موجد ، ونفوا عن الله تعالى الايسية كما نفوا عنه الليسية ، وقالوا : ان الله لا يمكن ان يكون ليساً ولا أيساً ، أي أنه لا يصح أن يكون الله غير موجود ، ولا أن يكون موجوداً من نوع الموجودات التي وجدت عنه ، ويطلق عليه اسم المبدع الأول ، والعقل الأول ، والمحرك الأول الذي لا يتحرك باعتباره مبدأ لحركة جميع المتحركات في عالمي العقل والجسم وعلة لوجود الموجودات الكائنة ، كالواحد الذي هو أول الأعداد . ويأتي بعده في ترتيب العقول : العقل الثاني ، الذي وجد عن العقل الأول عن طريق الانبعاث ، كما أن وجود العقل الأول عن الله عن طريق الابداع ، لذلك أطلق على العقل الثاني اسم المنبعث الاول ، كما أطلق على العقل الأول اسم المبدع الأول ، والمنبعث الأول . ويسمى في السنة الالهية : (القلم) . ويأتي بعد المنبعث الاول المنبعث الثاني ، وهو أول الموجودات القائمة بالقوة ، وهو الهيولى المسماة في السنة الالهية اللوح ، لكونه قابلاً للصور قائماً بالقبول ، كقبول اللوح من القلم صور التخطيط ، التي تعرف بالهيولى المقارن وجودها مع الصورة . ويوجد عن العقل الأول والمنبعث الأول عقول سبعة وجد كل منها عن الآخر صاعداً الى المنبعث الأول . كما ان كلا منها ساطع سار فيما وجد عن الاول من الهيولى والصورة التي منها وجود السماوات والارض وحركاتها ، ومن تمامية الدور بالسبعة بعد الناطق والاساس وقيام العاشر في مقام الناطق بالدعوة الى أمر جديد في دور آخر على وقوف الانبعاث عن وجود المثل عند انتهائه الى العاشر من العقول ، وقيام العاشر مقام الاول في تدبير أمر دار الجسم ، وكون أئمة كثيرة فيما بين الاتمام السبعة ، على أن بين العقول المنبعثة ملائكة

كثيرين بحسب كثرة الاكر في دار الجسم ، ومن كون مراتب الائمة شيئاً واحداً من الامامة والكمال ، على أن مراتب العقول شيء واحد في كونها برية من الاجسام والمواد . ولما كان محصول ضرب الواحد فيما عنه ذاته من الفردين اثنين، كان ذلك موجباً أن يكون الموجود عن الابداع الذي هو المبدع الاول بفعله في ذاته احاطة بها ونظرة اليها التي هي على نسبتين وكالين اثنين ، وهما المنبعثان الاولان أولا وثانياً : اللذان هما العقل الثاني القائم بالفعل ، والعقل القائم بالقوة الذي هو الهيولى والصورة ، كما ان الموجود عن الناطق اثنان الوحي القائم بالفعل مقامه والكتاب الذي هو امام قائم بالقوة ، وهو بمنزلة الهيولى والصورة التي هي مادة تتضمن كل شيء . ولما كان الطرف الاول من الاثنين أجل من الطرف الآخر بقربه مما عنه وجوده وبعد الطرف الآخر وان كانا في الوجود معاً ، كان ذلك موجباً أن يكون أحد الموجودين عن المبدع بقيامه بالفعل إحاطة بذاته ، واغتباطاً بها الذي هو العقل الثاني أجل وأشرف من الاخر الذي هو الهيولى القائمة بالقوة المفعول به . كما ان الوصي القائم مقام الناطق هو أشرف من الكتاب المعمول به ، ولما كان محصول ضرب اثنين في اثنين يساوي أربعة ، وكانت مع الحاصل في الوجود ستة من واحد واثنين وثلاثة وعشرة ، وكانت العشرة مكانها في العشرات كالواحد من الآحاد ، كان ذلك موجباً أن يكون ما وجد بالابداع والانبعاث من العقول الفاعلة في ذواتها بذواتها عشرة تم بها عالم الابداع والانبعاث الذي هو المبادىء الشريفة ، وقام العاشر منها لعالم الجسم مقام المبدع الاول في عالم الابداع الاول والانبعاث الاول ، كما ان الموجود في الدور من الحدود العشرة أولها الناطق والوصي وسبعة من الائمة الذين يتمون الأدوار الصغار ،

والعاشر هو الذي يقوم مقام الناطق في دوره ثم يظهر بأمر جديد في دور جديد.

وعلى هذه الصورة نستطيع أن نرتب العقول العشرة مع ما يقابلها من مراتب الدعوة الاسماعيلية ، ومراتب الموجودات ومطابقتها لها على الشكل التالي :

١ — العقل الاول أو المبدع الأول = الناطق .

٢ — العقل الثاني : (فلك الكواكب الاعلى الحاوي لكل ما في عالم الجسم الثاني الذي يأتي في الترتيب بعد عالم الجسم الاول وهو عالم الهيولى والصورة) = الأساس .

٣ — العقل الثالث : (فلك زحل) = المتم الاول = الامام .

٤ — العقل الرابع : (فلك المشتري) = المتم الثاني = الباب .

٥ — العقل الخامس : (فلك المريخ) = المتم الثالث = الحجة .

٦ — العقل السادس : (فلك الشمس) = المتم الرابع = داعي البلاغ .

٧ — العقل السابع : (فلك الزهرة) = المتم الخامس = الداعي المطلق .

٨ — العقل الثامن : (فلك عطارد) = المتم السادس = الداعي المحدود .

٩ — العقل التاسع : (فلك القمر) = المتم السابع = المأذون المطلق .

١٠ — العقل العاشر : (مأذون فلك القمر) = المتم الثامن = المأذون المحدود = المكاسر = المكالب .

كما وان الموجودات الروحية والمادية التي وجدت عنه تعالى بابداعه لها واختراعه اياها ، فقد رتبت على الشكل التالي :

١ — أول الموجودات ، هو المبدع الأول ، أو الموجود الأول ، الذي ليس وجوده بذاته ، والذي هو علة الموجودات تنتهي اليها هذه الموجودات . وهو عين الابداع وعين المبدع من ناحية ، وعين الوحدة وعين الواحد من ناحية أخرى .

٢ – ثاني الموجودات ، هو العقل الثاني ، أو المنبعث الأول ، العقل القائم بالفعل ، وهو في الكمال كالعقل الاول ، كما أنه لا جسم ولا في جسم .

٣ – وثالث الموجودات ، هو العقل القائم بالقوة أو المنبعث الثاني الأول وهو الهيولى والصورة ، وقد سمي بالمنبعث الثاني الأول لأنه ثاني في الرتبة بعد المنبعث الأول من ناحية ، ولأنه أصل لعالم الجسم فهو أول بالنسبة لما ينشأ عنه من الاجسام من ناحية أخرى .

٤ – وعن العقل الثاني القائم بالفعل يصدر الملائكة الموكلون بعـالم الطبيعة ، وهم كثيرون ، ووجود كل منهم عن الآخر .

٥ – وعن العقل القائم بالقوة الذي هو الهيولى والصورة يصدر عالم الطبيعة بأفلاكها وكواكبها .

وكذلك وجد في الجسد سبع قوى فعالة جسمانية وهي : الجاذبة ، والماسكة ، والهاضمة ، والدافعة ، والغازية ، والنامية ، والمصورة . وسبع قوى روحانية حساسة خفيفة لطيفة وهي : الباصرة ، والسامعة ، والذائقة ، والشامة ، واللامسة ، والناطقة ، والعاقلة ، ومن هذه القوى الحساسة خمسة منها تشبه الكواكب الخمسة الجارية في السماء : المريخ ، المشتري ، عطارد ، زهرة ، زحل . والقوى النـاطقة مناسبة للقمر ، والقوى العاقلة مناسبة للشمس .

وقالوا : ان للقوى الفاضلة التي هي : العاقلة ، والمفكرة ، والذاكرة ، والمتخيلة ، والمميزة ، والحافظة ، والناطقة ، في الدنيا نظير ، السبعة النطقاء ، ودعائم الاسلام السبعة التي هي : الصلاة ، والصوم ، والحج ، والزكاة ، والجهاد ، والولاية ، والطهارة . وقسموا هذه العلوم الى ثلاثة أقسام : رياضية ، طبيعية ، الهية . وقالوا : أن العـلوم الرياضية هي

دون فلك القمر ، والعلوم الطبيعية في الفلك التاسع الى فلك القمر ، أما العلوم الالهية فهي فوق الفلك التاسع ، مثل العقل ، والنفس ، والأمر ، والباري ، وقد أشرف على كل نوع من هذه العلوم عقول تسيرها وترعاها ، ففضلوها ورتبوها حسب أهميتها ، فجعلوا المرتبة الأولى للعلم الالهي ، وموضوعاته تبحث عن كنه الله تعالى ، وكنه النفس الناطقة العلامة بالقوة ، الفعالة بالذات ، معتمدين على قول الرسول : (من عرف نفسه فقد عرف ربه) . و (أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه) . ومن يتوصل الى معرفة نفسه أطلع على الخفايا والأسرار ، وأصبح اسمه لدى العامة (النقال) أي الذي ينقل النفوس من الظلمات الى النور ، ويخرج من الفجار أشخاصاً أخيارا ، ويجعل من الكافر الملحد ، مؤمناً وليا ، وهذا النقال لا يعرج على قرية خاوية الا وأحياها ولا أرضاً قاحلة الا وأخصبها ، يهيء الاسباب ، ويرفع الحجاب ، ويهون الأمور الصعاب ، ويحمل نوراً من أنوار الله يقذفه في قلب من يشاء من عباده واتباعه الصالحين ، ويرشدهم الى جوهر العقول ، وأسرار النفوس ، وأنوار الافكار ، وحكم الازهار ، ويطلعهم على السر المكنون ، والنور الشريف اللطيف ، وهو علم الربوبية ، والسر الأمري ، والرحمة الواسعة التي يخص بها من يشاء .

وقالوا : ان الانسان هو النفس قبل الجسم ، لأن نفسه لبست زمناً طويلا حتى عرفت وعقلت المعقولات ، أي عرفت أمام عصرها وزمانها ، ولما عرفته ارتقت الى عالمها النوراني ، عالم الملكوت الأعلى .

وقالوا : بأن الله أبدع من نوره الشعشعاني صورة أزلية كاملة دعاها العقل الكلي ، فكان حداً من حدوده أطلق عليه السابق لسبقه الحدود الروحانية الى معرفة الخالق وتوحيده ، فكان أولا لاحقاً ، ثانياً

موجوداً ، ثالثاً واحداً ، رابعاً تاماً ، خامساً كاملا ، سادساً أزلياً ، سابعاً عاقلا ، ثامناً عالماً ، تاسعاً قادراً ، عاشراً حيا ، وأطلق المبدع على هذا الملاك الأول والحد الأول ، اسم (القلم) وقال له : أقبـــل ، فأقبل ، وقال له : أدبر ، فأدبر ، فقال : بعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أعز منك ، بك أثيب ، وبك أعاقب ، وبك تبلغ النفوس المنازل العالية ، قد جعلتك وسيلتي لجميع عبادي ، من أطاعك فقد أطاعني ، ومن عصاك فقد عصاني ، وأفاض الله من نوره ومن العقل الكلي الفعال ، جوهراً آخر في كماله ، دونه في رتبته . فكان ملاكا ثانيا قابلا للصورة وعن الملائكة وعالم الطبيعة يصور الانسان بالنفس والجسم . فترجـــع نفس الانسان الى ما عنه وجدت وهو الملائكة ، ويرجع جسمه الى ما عنه وجد وهو الهيولى والصورة .

وتقابل مراتب الموجودات أو مراتب عالم الصنعة الالهية ، ومراتب عالم الصنعة النبوية أو عالم الدين كما يلي :

١ – الناطق وهو الأصل الذي يصدر عنه الدين بمـــا فيه من علم وعمل ، وبمن فيه من أئمة يدعون الى التحقق بكمال العـلم عن طريق العبادة العلمية الباطنية ، والى التحقيق بكمال العمل عن طريق العبادة العملية الظاهرة .

٢ – وعن الناطق الذي هو أصل عالم الدين من جهة التركيب ، وجد الامام القائم بالفعل وهو الاساس .

٣ – وعن الناطق أيضاً وجد الامام بالقوة وهو الكتاب .

٤ – وعن الامام القائم بالفعل الذي هو الاساس وجد الأئمة القائمون بحفظ الشريعة ، وهم كثيرون .

٥ – وعن الامام القائم بالقوة الذي هو الكتاب وجـــدت الشريعة

الجامعة للعبادتين الباطنة والظاهرة علماً وعملا ، وهي اشياء كثيرة.

٦ – وعن الائمة والشريعة يحصل كال النفس البشرية ، اذ بالشريعة يحصل كاله العملي الذي يأتي من العبادة الظاهرة ، ومن الائمـــة يحصل كاله العلمي الذي يأتي من العبادة الباطنة .

وعدا عن هـذه الآراء الفلسفية والنظريات العميقة أوجدوا نظريات الهياكل السبعة والادوار السبعة ، فقالوا عن الهياكل انهـا على نوعين : سبعة مؤتلفـــة ، وسبعة مختلفة . والنطقاء سبعة ، وأسسهم سبعة ، والائمـــة سبعة . فالنطقاء السبعة والاسس السبعة هم : آدم ، وأساسه شيث ، نوح وأساسه سام ، ابراهيم وأساسه اسماعيل ، موسى وأساسه هارون ، عيسى وأساسه شمعون الصفاء ، محمد ، وأساسه علي بن ابي طالب ، اسماعيل وأساسه قداح الحكمة .

والائمة السبعة هم : علي ، الحسين ، علي زين العابدين ، محمد الباقر ، جعفر الصادق ، اسماعيل ، محمد بن اسماعيل ، وطابقوا هذه النظريةعلى الاعداد ورتبوها كما يلي :

آدم : بمنزلة الآحاد ومنه السلالة .

نوح : بمنزلة العشرات وهو كالنطفة في الصورة الجسمانية .

ابراهيم: بمنزلة المئات وهو كالعلقة في الصورة الجسمانية .

موسى : بمنزلة الآلاف وهو كالعظام في الصورة الجسمانية .

عيسى : بمنزلة عشرات الالوف وهو كاللحم في الصورة الجسمانية .

محمـــد : بمنزلة مئات الألوف وهو كالصورة التامية .

القائم : بمنزلة آلاف الالوف وهو كالنفحة الاخيرة ، قائماً بالقبول ، أطلق عليه اسم اللوح المحفوظ ، فكان حداً ثانياً أبدعهما الله بالكلمة

القدسية (كن) فكان ، الكاف منها دليلاً على السابق ، والنون إشارة إلى تاليه .

ف (كن) كلمة كلام الله الساري وحياً بلا واسطة ، فكان حداً ثالثاً ، أطلق عليه اسم (الجد) ، آخذاً من قوله تعالى « وانه تعالى جدُّ ربنا » ونتج عن ذلك الحد الرابع الذي هو (الفتح) ، لانه فتح بالذكر ما صح بالفكر ، فتم بهذا الابداع الحد الخامس الذي أطلق عليه اسم (الخيال) لانه كان أول عارض تخيل بالفكر ، والنافخ الأول في نفخة البعث ، وبذلك قال أحد الدعاة :

غدا السابق السامي اليه وناله مع الجد والفتح والخيال الملاوم

واطلق على هذه الحدود الخمسة اسم الحدود العلوية الروحانية ، وقيل عن النبي (ص) أنه قال : تسلمت من خمس وسلمت الى خمس وبيني وبين ربي خمس ، وأنا وآل بيتي خمس .

فالخمسة حدود التي يعني رسول الله أنه تسلم منهم هم :

١ ــ آدم وحظه بحيرة الراهب

٢ ــ نوح وحظه خديجة بنت خويلد .

٣ ــ ابراهيم وحظه ميسرة

٤ ــ موسى وحظه عمر بن نافل

٥ ــ عيسى وحظه زيد .

أما الخمسة حدود التي سلم اليهم ملكة الدين هم : الاساس ، والوصي ، والامام ، والحجة ، والداعي . والخمسة التي بينه وبين ربه هم : العقل النفس ، الجد ، الفتح ، الخيال . يقابلهم في عالم الملائكة ، القلم ، اللوح ، ميكائيل ، اسرافيل ، جبرائيل . وقوله أنا وآل بيتي خمس ، يقصد : محمد ، علي ، فاطمة ، الحسن ، الحسين .

وقالوا : ان جميع الانبياء ، لم يأخذوا التأييد ، ولا اتصل بهم الوحي الا عن طريق الحدود الروحانية ، الغير متشخصة ، وقد فسر أحد الفلاسفة الاسماعيلية قوله تعالى : « ومـا كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولاً فيوحي باذنه ما يشاء » بأن القسم الأول من هذه الآية هو رتبة (الجد) الذي هو كلام الله وحياً ، وكلمة من وراء حجاب ، هي رتبة (الفتح) ، وكلمة ويرسل رسولاً هي : رتبة (الخيال) ، وأفضى السابق الى تاليه بالمادة الارادية ، والمشيئة المقتضية ، وأفضى التالي الى الجد ، وهو اسرافيل بما يجري في العالم الروحاني ، فأفضى به اسرافيل إلى الفتح وهو ميكائيل الذي أبلغه إلى الخيال جبرائيل ، فبلغه جبرائيل إلى الناطق الحي ، الذي يمثل في دوره ، السابق ، كما يمثل الحجة أي الاساس دور التالي ، ويمثل الداعي الجد ، والمأذون الفتح ، والمكاسر ، الخيال في كلا الدورين . فقول النبي : اني آخذ الوحي عن جبرائيل ، وجبرائيل يأخذه عن ميكائيل ، وميكائيل يأخذه عن اسرافيل ، واسرافيل يأخذه عن اللوح ، واللوح يأخذه عن القلم . أنه يعني بذلك اني آخذ الوحي عن الخيال ، الذي يأخذه عن الجد ، عن التالي الذي يأخذه عن السابق ، فيكون قد أخذ عن خمسة حدود علوية اتصل عنهم خمسة حدود أرضية هم : النطقاء عن السابق ، والاوصياء عن التالي ، والدعاة عن الجد ، والمأذونون عن الفتح ، والمكاسرون عن الخيال .

والمأذون ، والمكاسرون أقرب الحدود إلى المستجيبين ، ومرتبتهما كبيرة ، لا تتوافر إلا فيمن كان على علم تام بالعقائد ويعرف مواضع الضعف فيها ليتمكن من مجادلة أصحاب الفرق الاخرى وإظهار ما في معتقداتهم من أخطاء لترغيب المستجيبين ، وإذا ما طبقنا نظرية المثل

والمثول يكون في العالم الارضي حدود جسمانية تماثل الحدود العلوية وتتصف بصفتها وتسمى باسمائها ، لأن الله سبحانه وتعالى المنزه عن الاسماء والصفات ، أقام العالمين العلوي والسفلي بعشرة حدود كاملة ، خمسة حدود روحانية ، وخمسة حدود جسمانية ، فالحدود الجسمانية أو الارضية هم : النبي والوصي والامام والحجة والداعي ، يقابل كل منهم : السابق والتالي والجد والفتح والخيال ، وان العالم العلوي يمد العالم السفلي وعالم العرش يمد عالم الكرسي وعالم الكرسي يمد فلك زحل ، وفلك زحل يمد فلك الشمس ، وفلك الشمس يمد فلك الزهرة ، وفلك الزهرة يمد فلك عطارد ، وفلك عطارد يمد فلك القمر ، وفلك القمر يمد فلك الحرارة ، وفلك الحرارة يمد فلك الهواء ، وفلك الهواء يمد فلك الماء ، وفلك الماء يمد فلك التراب .

والوجود بحد ذاته تأسس من علتين : احداهما الأمر وهو علة العلل ، والثاني العقل الفعال وهو علة ومعلول ، والامر هو المادة الالهية التي تمد العلة الثانية ولا تستمد منها ، والأمر والباري كلمة واحدة تستمد منها كافة الحدود الروحانية ، وقد يظهر الامر في العالم السفلي متجسداً في صورة الحجاب البشري ، وقيامه بالمدة المقررة ، فاذا غاب الامام انتقل الامر إلى شخص آخر من ولده بموجب النص ، فهو إذن علة الوجود كما ان الواحد علة الاعداد ، ومنه تكونت كسورها وأعدادها ، والامر هادي بذاته ، لأنه يمد ولا يستمد ، بينما العقل يمد ويستمد ، فهو هادي بهدايته ، لان مادته من الآمر استمدها لانه علته ، والآمر ظهر في العالم السفلي في صورة الحجاب البشري ، والآمر هو الامام بالحقيقة لانه هادي بجوهره وهو الآمر ، والجسم البشري حجابه قد سمي باسمه .

وقالوا في التوحيد : ان كون المبدع سبحانه لا مثل له ، ليس يتعلق بتوحيد الموحدين ، ولا بتجريد المجردين ، فيخرج من أن يكون لا مثل له ، إذا لم يوحده الموحدون أو عن نعوت مبدعاته اذا لم يجرده المجردون ، بل هو تعالى — تكبر ووحد الموحد أو لم يوحد ، وجرد المجرد أو لم يجرد — لا مثل له ، إذ لو كان لكانا اثنين ، ولكانا من حيث كونهما اثنين يوجد في كل واحد منهما ما يباين به الآخر ، وبه تقع الاثنينية فيكون لكل واحد منهما جزءان بهما ، وجود ذاتهما : احدهما الذي أعطى كلا منهما ما اختص به وباين الآخر وهو بالالهية أحرى ، وهو تعالى من العلاء في ذروة لا يجوز أن يكون غير يسبقه أو يتأول عليه ، والذي يكون بهذه المثابة لا يكون له ضد ولا مثل .

وليس التوحيد تدقيق المعنى في الاخبار عن الله تعالى بأنه فرد ، فيكون المدقق موحداً ، ولا تخصيص الله تعالى بمعنى من المعاني فيثبت أنه بذلك المعنى فرد ، إذ عظمة كبريائه في حجاب من الامتناع عن أن تكون الحروف تترجم عنها بوجه من الوجوه ، وكيف تترجم الحروف عنها ولا تعلي لها مناراً في تأليف لبدل الا وماء قدرته يفيض ولا ينبىء منها نبأ لينطق بمعنى يدق أو يجل الا وعجزها يفرخ ويبيض ، وتعالى الاله المعبود عن قضايا العقليات ، وتقدس عن نعوت الطبيعيات ، وإنما هو (أي التوحيد) مصدر على التفضيل ، وله من معناه وجهان احدهما منسوب إلى ابداع المبدع تعالى وتقدس ، والآخر منسوب إلى فعل المؤمن الموحد ، فالذي هو منسوب الى ابداع المبدع تعالى وتقدس هو أن يقتضي موحداً ، وهو الفاعل للواحد ، وموحداً وهو المفعول للواحد ، وإذا كان التوحيد فعل الموحد بمعنى الفاعل للواحد فكان الواحد قد يقال على أوجه منها : ان يكون الواحد واحداً بتناهي ذاته الى جهات يفارق

غيره ، مثل أشخاص الاشياء المحسوسة ، وهو مستحق من هذه الجهة لان يقال انه واحد ، وتناهيه الى الجهات واستيعاب الحدود جملة يدل على أن هذا الواحد محدث ، ومنها ان يكون الواحد واحداً ، بمعنى ان يختص بمعنى لا يوجد في غيره ، مثل قوة حجر المغناطيس في حجر الحديد ، وهو مستحق من هذه الجهة ان يقال انه واحد ، واختصاصه بهذا المعنى من دون غيره يوجب ان يكون هذا الواحد محدثاً . ومنها ان يكون واحداً مطلقاً ، فالواحد المطلق ناطق عن ذاته بالازدواج الذي هو الوحدة وحاملها ، وجميع هذه الوجوه توجب ان يكون الواحد على الاطلاق محدثاً ، وإذا وجب ان يكون الواحد على الاطلاق محدثاً ، كان منه الايجاب بأن التوحيد هو فعل الواحد الناطق عن ذاته بحدثه لا يليق بمجد المبدع سبحانه وتعالى كبرياؤه ، اذ المبدع تقدس موحد بمعنى انه مبدع الواحد والاحد والله بريء من الصفات الواقعة تحت اختراعه ومتقدس عنها لا سيا انه تعالى فاعل على هذه الصفات وفاعل الاشياء كلها .

هذه هي الخطوط الرئيسية التي تتركز عليها عقائد الاسماعيلية ، والتي تستمد اصولها من جوهر الاسلام الصحيح ، وتلتقي في اهدافها العليا مع احكام الله في آياته البينات ، وتقر بوحدانية الخالق وتنزهه عن الصفات والاشياء ، مع الاستمساك بكافة الشرائع السماوية والاعتصام بآل البيت الائمة الاطهار .

الأئمة الاسماعيليون منذ بدء الخليقة

قلنا بأن علماء الدعوة الاسماعيلية يذكرون في كتبهم السرية بأن دعوتهم قديمة قدم هذا الوجود ويستدلون على هذا القول علمياً وعقائدياً ، لذلك لا بد لنا ونحن نستعرض تاريخ الدعوة الاسماعيلية من ايراد بعض اقوالهم المتعلقة ببدء الخليقة والاتيان على ذكر الائمة منذ أقدم العصور حتى يأتي بحثنا مفيداً وتاماً .

تحدث اخوان الصفاء عن بدء الخليقة وعن الأمور الالهية الروحانية وحدوثها دفعة واحدة فقالوا : « أما الامور الالهية الروحانية فحدوثها دفعة واحدة مرتبة منظمة بلا زمان ولا مكان ولا هيولى ذات كيان بل بقوله (كن فيكون) ، والامور الروحانية الالهية هي :

العقل الفعال ، والنفس الكلية ، والهيولى الاولى ، والصور المجردة . والعقل هو نور الباري تعالى وفيضه الذي فاض أولا . والنفس هي نور العقل وفيضه الذي افاضه الباري منه ، والهيولى الاولى هي ظل النفس وفيئها ، والصور المجردة هي النقوش والاصباغ والاشكال التي عمتهـــا

النفس في الهيولى باذن الله تعالى وتأييده لها بالفعل . وهذه الامور كلها بلا زمان ولا مكان بل بقوله (كن فيكون) كما قال : وما أمرنا الا واحدة كلمح البصر . ثم ان الاركان الاربعة متقدمة الوجود على مولداتها بالايام والشهور والسنين كما ان الافلاك متقدمة الوجود على الاركان بالازمان والأدمار والقرانات ، وعالم الارواح متقـــدم الوجود على عالم الافلاك بالدهور الطوال التي لا نهاية لها ، والباري تعالى متقـــدم الوجود على الكل كتقدم الواحد على جميع الاعداد[1] » .

وقال أحد الدعاة :

لا نريد ان نتكلم عن بدء الخليقة وابتداء دور الشر والتقية واحتجاب دور الكشف والمشيئة واظهار الرسل للبرية وهم الاشخاص من البشريـة والصورة الآدمية ، لما أراد الله تعالى أن يخلق آدم على صورة الرحمـن وهي الصورة الدينية والخلقة القدسية ، فعند ذلك أمر جبرائيل فأخـذ قبضة من طين الايمان ، وعجنها بحقـائق البيان ، ومدها كصورة الرحمن ، واكمل بها حلة الدين القويم ، وجعلها طريقاً مستقيماً وحكمة للعالمين وهي صورة آدم الأول منتهى دور المشيئة ، ومبتدأ دور التقية القائم بقوة الأب ، المؤيد بحكمة الرب ، وقد كان زمـان دور المشيئة والكشف للبرية سراً في الوجود وقطباً في العهود ، ونوراً ساطعاً بالبرهان وجوهراً حاملاً للايمان ، وعزماً جارياً بباطن الامور في ملكوت المادة المطلق ، وجوهر الحجاب الاسبق ، وهو واجد الخلق وحجاب الحق ، فلما كثر بين العالمين الفساد ، وانحل في نفوسهم عقد الوداد ، وحادت عقولهم عن طريق الرشاد ، عندئذ بدت من النور الحقيقي إرادة معنوية

---

(١) رسائل اخوان الصفا ٣ – ٣٣١ .

ونظرة أزلية ، فأراد أن يحتجب عن أهل ذلك الزمان ويدور دوران القرآن ، ويبعث رسلاً بالاعذار والانذار ، ويظهر وجود الشرائع بعالم الكون والفساد ، ويستر وجود الحقائق عن عصبة الاضطهاد . فعند ذلك نظر ذلك الامام الحكيم ، والسيد الكريم ، والبناء العظيم ، والصراط المستقيم ، والحجة على أهل السموات والارض ، نظرة لطيفة فجمع بنفسه جميع الكائنات ، ولطائف الموجودات ، وسائر اسرار المغيبات ، وفك اسرار الوجود ، فتوجه نحو مدار (برج الحمل) تحت خط الاستواء ، عند شجرة طوبى ، في جوار العرش العظيم ، والنور القـديم ، حيث مدينة (بوسباط) .

وكان أهل تلك المدينة ، أهل معارف وايمان ، وحقائق وبيـان ، وسر واعلان ، فأقام الامام عندهم مدة مديدة ، وأياماً عديدة ، يعلمهم الحكمة والبيان ، وأسرار الزمان ، وكان آدم في ذلك الوقت رجلاً من أهل الدعوة الحقيقية ، والملة الاسماعيلية ، ومن بعض المؤمنين المستمعين لحكمة ذلك الرب الشفيق ، والسر الدقيق ، فقربت نفسه بالمعـارف ، وتشيدت اركانها باللطائف ، عندئذ نظر اليه ، وأفاض النعمة عليـه ، وأرشده إلى معرفة الادوار ، وجعله حجاب الاستار ، وعلمه الاسمـاء الكليات ، ومعاني الجزئيات ، وعرفه على الملائكة القائمين بعلوم الافلاك وكلمهم بأوضح الخطاب ، فما أعطوا جواباً ، وقالوا : (سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم) فقال تعـالى : (يا آدم أنبئهم باسمائهم) . فلما أنبأهم بتلك المعاني الخفية ، والحكمة الدينية ، خروا اليه ساجدين ، ولأمره طائعين ، ولقوله تابعـين ، إلا ابليس ، فانه أبا أن يكون من الساجدين ، (وهو الحارث بن مره) وكان هذا الحارث حجة من حجج الامام ، ومطلع على الحقائق والبيـان ، فحسد

آدم على ما اعطاه ذلك الحكيم الاعظم ، والنور الأتم ، وقال : يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد ، وملك لا يبلى ، ومقام لا يرام ، ومقصد لا يتغير ، لأنه مبدأ النفوس ، والملك الحقيقي والنوراني ، ومحل سر صاحب دور الأدوار ، وعزة الجبار ، عند سدرة المنتهى في جوار العلي الاعلى ، عندئذ سمع وصغى آدم اليه ، وظن أنه شفيق عليه ، فقال له : يا آدم إشرح لي ما قاله لك الامام ؟ فباح له عند ذلك بما أوصاه اياه ولي الأمر ، وحكيم العصر .

ولما علم ذلك الامام طردهما من دعوته ، وسد عنهما باب رحمته ، حتى أعلن آدم توبته ، وصفاء نيته ، وإخلاص حقيقته ، فتاب عليه ، وقربه إليه ، وعلمه المعاني الالهية ، والحكم الربانية ، ونفخ فيه الروح الأبدية ، ورتب له حدوداً وحججاً ودعاة ، وعرّف عليه جميع أهل دعوته ، وجعله حجاباً له ، وباباً لا يدخل إليه إلا من أظهر الشريعة ، وستر الحقيقة ، وشيد له الأركان ، وعمر البنيان ، واستتر بآدم عليه السلام ، وكان قبل تسليمه اليه ، والنص عليه ، ان احضر ذلك الامام وهو (هنيد) ولده هابيل وسلم الأمر اليه ، وأمره أن يسلم لآدم ويقوم بجميع أعماله ، ويساعد على قيام الشريعة ، ثم أقبل على آدم وقال له : هذه وديعتي معك سلمها لولدي هذا متى استقرت أحوالك . عندئذ قبل كل منهما بما فوض اليه ، واستتر الامام ، وقام آدم بالشريعة ، وهابيل بالحقيقة ، حتى تتمة الدور وكال الأمر ، ورجوع السر إلى مستقره ، والحق إلى أهله [1] » .

وأتى اخوان الصفاء على ذكر بدء الخليقة بقولهم [2] :

---

(١) الحدوائد عزيز شاه ؛ ورقة (٣٦ – ٣٧) مخطوط بمكتبتي الخاصة .
(٢) جامعة الجامعة ؛ ورقة (٣٠ – ٣٢) نسخة خطية في مكتبتي الخاصة .

« لما خلق الله آدم اسكنه الجنة التي هي دار كرامته ، ومحل نعمته ، في جواره الامين ، وقراره المكين ، مقر عبادة المصطفين من الملائكة المقربين ، وعهد اليه أن لا يقرب شجرة عرفه بها ، ونهاه عن أكلها ، وأعلمه انها محذورة إلى وقت معلوم ، وان بها يكون العود الى البداية ، وانها لا تبدو ثمرتها ، ولا يحل أكلها ، إلا عند النهاية ، وانها بقية دور الكشف الأول ، فيكون أول مدة دور الستر الذي قدر الله سبحانه أن آدم أول المتخلفين فيه ، إن ثمر تلك الشجرة يكون مستوراً في أكامها ، مخبوءاً تحت ورقها ، مكناً في أغصانها ، مخفياً لا يكاد مخلوق في دور الستر يقف عليه ، ولا يصل اليه ، ولا يتناول شيئاً منه الا في الوقت الذي قدره ، والزمان الذي يسره ، إذا بدا دور السعادة بظهور النفس الزكية ، في يوم العرض الثاني ، وتجلت النفس الكلية لفعل القضاء ، فعند ذلك تبدو شجرة سدرة المنتهى ، وبها تكون النشأة الأخرى .

وعهد الله الى آدم وأطلعه على ذلك ، وأعلمه أنه لا يكون في وقته ، ولا يتهيأ له في زمانه ، وأباحه ما سوى ذلك من أكل الشجر ، والتناول من أصناف الثمر ، ما يكون غذاء له ، ولمن هو معلم له ، فلما زين الشيطان سوء عمله ، وحمله على ارتكاب ما نهى عنه ، وأخذ ما لا يحل له ، وتناول ما خطر عليه ، ولم يمكنه ذلك منه ، إلا بالحيلة عليه ، والملاطفة له ولزوجته ، وكان من حاله انه جاءه في صورة الناصح المشفق ، فطلب منه الفائدة بالسؤال والتذلل ، فقال له : قد أتاك الله من العلم والحكمة والمعرفة ، ما لم يؤته أحد قبلك ، وقد فضلك على ملائكته الذين أمرهم بالسجود لك ، والخضوع بين يديك ، وجعلك معلماً لهم ، تعلمهم اسماء ما يكون ، ولم يبق عليك الا معرفة شيء

واحد ، ولو عرفته لكنت من الملائكة العالين ، الذين لم يؤمروا بالسجود لك ، ولم يدخلوا في طاعتك ، ولهم المقامات العاليـــة ، والدرجات السامية عند الله سبحانه وتعالى . فقال آدم : وما هذا العلم الذي أخفاه الله عني ولم يطلعني عليه ، وقد علم اني محتاج اليه ، وغير مستغني عنه ؟ فقال له : هو علم القيامة ، وكون النشأة الأخيرة ، والبروز لفصـــل القضاء ، وكيفية الصور الروحانية المعراة من الاشخاص الهيولانيـة في دار البقـــاء . ولو علمت هذا أنت وزوجك لكنتما ملكـين ، وكنتما من الخالدين ، غير انهما لو كانا من أهل دور الكشف لكانت خلقتهما روحانية ، ولم تكن جسمانية إذ كان البقاء والخلود على الأفضل بالنفس أشبه من الجسم ، فعنـــد ذلك اشتاقت نفس آدم إلى ذلك ، وأراد الاطلاع عليه بالاظهار له من حد القوة الى حد الفعل ليرى كيف يكون دور الكشف ، وكيف يكون قبول أهل ذلك الزمان ، وإستجابتهم إليه ، وكيف تكون منزلة النفس الزكية في ذلك الوقت ، فأبـدى شيئاً مما نهي عنه لغير أهله ، واطلع عليـــه غير مستحقه ووضع منه شيئاً في غير موضعه ، فكانت بمنزلة الأكل الذي نهى عنه ، فلما بدا ذلك منه ، اضطربت عليه أحواله واستوحشت منه أعمـاله ، ونفرت منه الوحوش التي كانت قد أنست به ، وتباعدت عنه الطيور ، الـتي كانت قد ألفت صورته ، ونزع عنه لباسه ، وبدت سوأته ، وانكشفت عورته وظفر به عدوه ، وأقبل يفرق عنه جموعه ، وبعد أهـل الجنة عنه ، فعند ذلك ناداهما ربهما (ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ، وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ؟) قالا : ربنا ظلمنا أنفسنا فوضعنا ما نهينا عنه ، في غير موضعه ، ودفعناه إلى من لا يستحقه ، وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين . قال : (اهبطوا بعضكم لبعض

عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع إلى حين . فأهبط من دار الملائكة التي كان فيها ، وأخرج منها إذ كان أهل الجنة قد سئموا موضعه ، واستوحشوا من شخصه ، لما بدت سوأته ، وانكشفت عورته ، ورأوه بعين من جاءهم بما ينكرونه ولا يعرفونه ، فظفر به عدوه ، وخرج آدم وزوجته سائحين في الأرض لا يدريان أين يتوجهان في بلاد الله عز وجل وبهما من الندامة ما جاوز وصف الواصفين ، وكيف لا يكون ذلك ، وقد زالت الرئاسة عنهما وتدبير السياسة النبوية منهما ، فلما طالت المحنة بآدم استرجع القول ونادى ربه وتوسل اليه بالقائم في ذلك الوقت الذي تظهر فيه الحقائق ، وباصحاب المقامات العالية في ذلك الزمان الذين هم الكلمات التامات والآيات الباهرات ، وانه لم يتعمد ذلك ، وانما اشتاق الى تلك المنزلة الجليلة ، والدرجة الرفيعة بغير انكار ولا استكبار عن الاقرار بفضل صاحبها ، فعند ذلك تاب الله عليهما ويسر لهما المعيشة ، وبعث اليهما ملكاً من ملائكته فعلمهما ما يحتاجون اليه في الحياة الدنيا لقوام الاجسام في محل الكون والفساد ، وتلقى التأييد والوحي والالهام ، وأمر باقامة الشريعة والسجود والعمل بالحسنى ، وإظهار الصنائع ، وكثر أولاده ، وانتشر نسله ، واتسعت دعوته ، وعمرت داره ، وقر قراره ، وكان على ذلك مدة ما شاء الله سبحانه أن يبقى الى أن استكمل أجله ، فنقله إلى دار البقاء ، وأراه ما عجل فيه ليراه وهو في محل الأجسام ، فلم يخب سعيه ، ولا حبط عمله ، لما تاب وأناب » .

ولو أردنا الاتيان على ذكر كل ما قاله الدعاة والعلماء الاسماعيلية حول بدء الخليقة لاستغرق ذلك منا صفحات .. وصفحات .. لذلك نكتفي بما أوردناه ونقدم فيما يلي لمحة موجزة عن الائمة الاسماعيلية منذ هبوط آدم والأدوار والأكوار والفترات والقرانات كما جاءت في الوثائق السرية

الاسماعيلية ، وفي شجرات النسب المحفوظة لدى الاسماعيلية .

الدور الاول :

يبتديء هذا الدور منذ هبوط آدم ، ويستمر حتى ابتداء الطوفان ومدته الفان وثمانون عاماً وأربعة أشهر وخمسة عشر يوما . ويسمى (دور التكوين) ، وامام هذا الدور هو هُنيد الذي تعهد وأقام الناطق آدم . ولهذا الدور أساسان هما هابيل وشيث ، الأول قتل بيد أخيه « قابيل » فاستلم منصبه بعد وفاته « شيث » . وتدل المصادر التاريخية أن سبب تسمية آدم على قولين : أحدهما لأنه خلق من اديم الأرض وهو وجهها ، والثاني لأنه مشتق من أدمة وهي سمرة اللون ، وهو اسم عربي وليس بعجمي ، وكنيته أبو محمد اظهاراً لشرف نبينا محمد . وكان أمرداً وإنما نبت لحاً لولده من بعده ، وكان كثير الشعر في بدنه جعداً وأنزل الله عليه عشر صحائف في عشرين ورقة ، وقد علمه الله الاسماء كلها ، وكان يتكلم بألف لسان ، كذا نقله النسفي في بحر العلوم ، وكان لغته في الجنة العربية . فلما عصى واخرج من الجنة سلبه الله العربية فتكلم السريانية ، وولد له أربعون ولداً في عشرين بطناً ، ولما احتضر كانت مدة مرضه احدى وعشرين ، وتوفي وغسله شيث وصلى عليه ودفن في جبل أبو قبيس في غار ، فظل حتى استخرجه نوح يوم الطوفان وحمله معه في تابوت في السفينة فلما خرج منها رده إلى مكانه ، وقيل دفن في بيت المقدس ، وقيل في مشارق الفردوس عند قرية كانت أول قرية في الأرض . وعاشت حواء بعده سنة واحدة . ولم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده أربعون الفاً وقيل الفي الف ، وعاش تسعماية وثلاثون سنة . وتقول بعض المصادر الاسماعيلية ان هناك ما يقارب ستون إماماً كانوا قبل آدم وآخرهم هنيد . ويعتبر لمك بن متوشلخ متم هذا الدور .

العدد	الامام المستقر	الفترة من سنة	الفترة الى سنة	الامام المقيم	أساس الدور	متمم الدور	ناطق الدور	الامام المستودع	ملاحظات
١	أنوش بن شيث	٤٣٥	١٣٨٥	هُنيد	هابيل ١٣٠ ــ ٢٢٥		آدم عاش ٩٣٠ سنة	حنوك	الارقام التاريخية المذكورة اعتبرناها من هبوط آدم حتى الطوفان .
٢	قينان بن أنوش	٦٢٥	١٠٣٥					عيراد	
٣	مهلائيل بن قينان	٧٩٥	١٦٩٠		شيث ٢٣٠ـ١١٤٤			محويائيل	
٤	اليارد بن مهلائيل	٩٦٠	١٩٢٢					متوشائيل	
٥	اخنوخ بن اليارد	١١٢٢	١٤٨٧					هرمس	
٦	متوشلخ بن اخنوخ	١٢٨٧	٢٢٤٢					يوبال	
٧	لملك بن متوشلخ	١٤٥٤	٢٣٤٦			لمك بن متوشلخ			

الدور الثاني :

يبدأ هذا الدور من طوفان نوح حتى ولادة ابراهيم وقيل ان مدته ٧٤٢ سنة و٧ أشهر وخمسة عشر يوماً ، وقيل تسعمائة واثنتان وسبعون سنة وستة أشهر وخمسة عشر يوماً ، وقيل الف عام . وقد نسخ ناطق الدور نوح ما جاء به آدم من الأمر ، ونصب نوح قبلته إلى المغرب وصلى إليها ، ثم أشرق من نوره في أساسه سام ، وتنقل حتى ظهور صاحب الدور الثالث ابراهيم . وأساس هذا الدور هو سام الذي عاش من العمر ٦٠٠ عاماً . ويعتبر ناحور هو الامام المتم للدور الثاني . ويذكر التاريخ أن نوحاً ولد سنة ١٦٤٢ من ولادة آدم ، وعندما بلغ من العمر ٦٠٠ عاماً جرى الطوفان الذي ابتدأ في العاشر من شهر رجب سنة ٢٢٤٢ من هبوط آدم ، ودام الطوفان ستة أشهر وانتهى في العاشر من شهر محرم سنة ٢٢٤٣ . وقيل ان نوح كان دقيق الوجه في رأسه طول ، عظيم العينين ، غليظ العضدين ، كثير لحم الفخذين ، ضخم السرة ، طويل اللحية والقامة ، وهو أول نبي نباه الله بعد ادريس وأول نذير لأهل الأرض من الشرك ، وهو من أولي العزم ، وهو أول نبي عذبت أمته بدعوته ، وهو أول من قرر المواقيت للصلاة ، قال وهب كان عمره الف سنة لأنه بعث إلى قومه وهو ابن خمسين سنة ولبث يدعوهم إلى أن مات تسعمائة وخمسين سنة . وقال شداد ان عمره الف وأربعمائة وثمانون سنة ، وقد اختلف في مكان قبره فقيل بمسجد الكوفة وقيل بالجبل الاحمر وقيل بذيل جبل لبنان بمدينة الكرك ، وقد أجمع العلماء على أن الله تعالى جعل جميع خلقه بعد الطوفان من صلبه .

العدد	الامام المستقر	الفترة من سنة	الفترة الى سنة	الامام المقيم	أساس الدور	متمم الدور	ناطق الدور	الامام المستودع	ملاحظات
١	أرفخشد بن سام	٢٢٤٤	٤٦٥	هود	سام		نوح	لاود	يعتبر تاحور الامام المتمم للدور الثاني وهو سابع
٢	شالخ بن ارفخشد	٢٧٦	٥٦٧					ارم	أئمة هذا الدور ومن عقبه
٣	عابر بن شالخ	٤٦٦	٩٣٠					يقطان	أئمة الدور الثالث .
٤	فالغ بن عابر	٥٤٠	٨٧٩					عبيل	عاش ارفخشد ٤٦٥ سنة « شالخ ٤٦٠ سنة
٥	ارغو بن فالغ	٦٧٠	١٠٠٩					عوص	« عابر ٤٦٤ سنة
٦	شاروخ بن ارغو	٨٠٢	١١٣٢					يشجب	« فالغ ٣٣٩ سنة « شاروخ ٣٣٠ سنة
٧	تاحور بن شاروخ	٩٣٢	١١٤٠			تاحور ابن شاروخ		اسحق	« تاحور ٢٠٨ سنوات

الدور الثالث :

يبتدىء هذا الدور من ولادة ابراهيم الخليل حتى ظهور موسى ومدته ألف ومائة وخمسون عاماً وقيل سبعة أشهر وثمانية أيام . وهو دور ابراهيم وصنوه النمرود بن كنعان . واسم ابراهيم سرياني ومعناه بالعربية ابٌ رحيم وهو نبي الله وخليله وجعله الله من أولي العزم وهو أبو الأنبياء وتاج الأصفياء . وأنزل عليه عشرين صحيفة وهو أول من أضاف الضيف وأول من اختتن واستنجى بالماء واستاك واستنشق بالماء ، وأول من صافح وعانق ، وهو أول من شاب وكان مولده بالسوس من أرض الاهواز في زمن النمرود ، وقيل أنه كان يشب في كل يوم ما يشب غيره في شهر ، وقيل انه تكلم وهو ابن سنة . وهو أول من اتخذ السراويل لستر عورته ، وأول من هاجر من وطنه إلى طاعة الله وعاش مائتي سنة ودفن في مزرعة حبرون وكان اشتراها وفيها قبر زوجته سارة . ولده الأكبر اسماعيل ، والدته هاجر ، وقد عاش ١٣٧ سنة ودفن في بيت الله الحرام ، وولده الثاني اسحق، والدته سارة وقد استوطن بين الشام والقدس، وعاش ٢٨٠ عاماً ودفن في بيت المقدس .

نسخ ابراهيم ناطق الدور الثالث شريعة نوح ونصب قبلته إلى البيت وانتقل النور الى أساسه اسماعيل ، وتم هذا الدور (آد) الامام السابع .

العدد	الامام المستقر	الفترة من سنة	الفترة الى سنة	الامام المقيم	اساس الدور	متم الدور	الناطق	الامام المستودع	ملاحظات
١	قيدار بن اسماعيل	١٥٠	٢٣٠	تارح	اسماعيل ٨٦ – ٢٢٧		ابراهيم ١٠٨١ – ١٢٥٦	يعقوب بن اسحق	يعتبر اسماعيل أول من تسمى بهذا الاسم من بني آدم أرسله الله الى اخواله من جرهم واليه انتقل النور وهو الذبيح على الصحيح، قيل عاش مائة وسبعة وثلاثون سنة وقبره ما بين الميزاب والحجر
٢	سلامان بن قيدار	١٨٠	٢٦٠					يوسف بن يعقوب	
٣	نبت بن سلامان	٢١٠	٣٠٥					افرايم بن يوسف	
٤	الهميسع بن نبت	٢٩٠	٣٧٠					رازح بن عيص	
٥	يقدم بن الهميسع	٣٤٠	٤٠٥					ايوب بن موص	
٦	آدد بن يقدم	٣٨٠	٤٧٠					يونان بن أيوب	
٧	آد بن آدد	٤٢٥	٥١٠			آد بن آدد		شعيب بن صيفون	

الدور الرابـع :

مدة هذا الدور ألف ومائة وست وثلاثون سنة وسبعة أشهر وثمانية وعشرون يوماً ، وأساس هذا الدور هو هارون ، وقد توفي بحياة أبيه فصار كفيلا لأولاده يوشع بن النون الذي أصبح أساساً ثانياً مستودعاً ، وأولاده من بعده أئمة استيداع . وناطق هـذا الدور هو موسى الذي نسخ شريعة ابراهيم ، وتوجه إلى المغرب اقتداء بأبيه نوح . وانتقل الأمر إلى أساسه المستودع يوشع بن النون .

العدد	الامام المستقر	الامام المقيم	اساس الدور	متم الدور	الناطق	الامام المستودع	ملاحظات
١	عدنان بن آد	آد بن ادد	هرون ٤٤٢		موسى ٤٢٥—٥٤٥	ايليا بن بسباس	هناك من يزعم ان متم هذا الدور هو الامام المستودع زكريا وهذا مخالف للنظام الاسماعيلي العام . اذ لا يمكن ان يكون المتم الا الامام المستقر . وهو خزيمة ابن مدركة . لم نتمكن من العثور على تاريخ الفترة بالضبط .
٢	معد بن عدنان		يوشع بن النون ٤٣٦ – ٢٨			اليسع بن أخطف	
٣	نزار بن معد					صموئيل الرائي	
٤	مضر بن نزار					داؤد بن بسي	
٥	الياس بن مضر					سليمان بن داؤود	
٦	مدركه بن الياس					عمران بن ماثان	
٧	خزيمة بن مدركة			خزيمة بن مدركة		زكريا بن برخيا	

الدور الخامس :

مدة هذا الدور خمسمائة وسبعون سنة وسبعة عشر يوماً وقيل ستمائة سنة ، ومثل عيسى ناطق هذا الدور كمثل آدم انتقل النور منـــه إلى وصيه شمعون الصفاء ، وقد بلغ هذا الدور حد الكمال والتام فاقتضى أن يكون من أربعة عشر إماماً مستقراً يقابلهم سبعة أئمة مستودعين ، أي أن كل امام مستودع كان معاصراً لامامين مستقرين ، وكان لمتم الدور عمران (أبو طالب) قوة مرتبة الألف . وأن أساس الدور شمعون الصفا أو سمعان بن يونان أو بطرس الراهب هو مربي ناطـــق الدور عيسى ، وكان دعـاة الامام المستودع السابع بحيرا الراهب في الجزيرة العربية هم : عمرو بن نفيل ، وورقة بن نوفل ، وزيد بن عمران .

وقيل ان بحيرا الراهب قد سلم الامام المستقر وراثة الانبياء المستودعين للمقيم أبو طالب عندما جاء إليه من الجزيرة العربية إلى دير بصرى الشام مع النبي محمد (ص) .

العدد	الامام المستقر	الامام المقيم	أساس الدور	متم الدور	ناطق الدور	الامام المستودع	ملاحظـــات
١	كنانة بن خزيمة	خزيعة			عيسى		
٢	النضر بن كنانــة		شمعون الصفا				
٣	مــالك بن النضر					مرقص او عبد المسيح	
٤	فهر بن مـــالك						
٥	غـــالب بن فهر					فيلبس	
٦	لؤي بن غـالب						
٧	كعب بن لؤي					اسطفانس	
٨	مرة بن كعب					هرقل	
٩	كلاب بن مرة						
١٠	قصي بن كلاب					أرميا	
١١	عبد مناف بن قصي						
١٢	هاشم بن عبد مناف					مروة الراهب	
١٣	عبد المطلب بن هاشم						
١٤	عمران (ابو طالب)			عمران (ابوطالب)		جرجس-بحيرا	

على هذه الصورة رتب دعاة الاسماعيلية الفترات والقرانات التي تبدأ بهبوط آدم وتنتهي بظهور النبي محمد عليه الصلاة والسلام ، والفترة حسب التعبير الاسماعيلي هي المدة بين الناطق والناطق وربما كانت ألف وخمسمائة عام . فالمفروض أن تقسم هذة الفترة على الائمة السبعة والمتمين ، فإذا أعطينا كل واحد من هؤلاء الأئمة السبعة مائة عام كان المجموع سبعمائة عام ، أي أقـــل من المدة المطلوبة ، وإذا جعلنا عدد الائمة أكثر من سبعة تجاوزنا النظام والأصول ، وهذا لا يجوز مطلقاً ، فعند ذلك تقع الفترة حتماً ، وهي مشتقة من الفتور ، أو الملل ، او الاعياء . والفترة التي تقع بين الأدوار يلحق النفوس الجزئية الاعياء من العـــالم الجسماني فتعجز عن قبول التأييد . ومتى انقضت الفترة يزول الاعياء ، وتظهر النفوس زكية ، فتقبل التأييد ، وفي هذه الحالة يتسلم الأمر اللواحق وبعض الأجنحة . والامامة لا تنقطع لأنها الحجة على الخلق ، ولا تنتهي عند فساد أهـــل العصر ، ولكن يكون سكون الامام وانفراده مثل الانقطاع ، وفي عهد محمد (ص) زالت الفترات .

أخبـــار

الأئمة الاسماعيليين الاطهار

من عهد الامام علي بن ابي طالب حتى عصرنا الحاضر

الامام علي بن أبي طالب

أول ما تفتحت عينا الامام علي على نور النبوة وخلق الرسالة فاغتذى من قبسها المنير ما سدد سبيله وهدى قلبه وأنار فكره الثاقب ، وتفتحت عيناه أيضاً على نور الامامة ينبعث من جانب والده (أبي طالب) مربي (محمد) فأثار جانب نفسه المتعطشة إلى المجـــد والحق والايمان والصدق والتفاني .

ولد الامام علي بن أبي طالب سنة ٦٠٤ ميلادية الموافق ليوم الجمعة الثالث عشر من رجب سنة ٣٠ من عـــام الفيل . وكانت ولادته في وسط الكعبة الشريفة ، والده هو الامام أبو طالب ووالدته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف . قال الشيخ المفيد : لم يولد قبله ولا بعـــده مولود في بيت الله تعالى سواه . وقيل ان أمه سمته حيدره باسم أبيهـا أسد (الحيدره هو الأسد) . ثم غيره أبوه فسماه علياً ، وبه عرف واشتهر وكان أصغر أبناء أبيه . توفي والده وله من العمر ست سنوات فعاش في بيت ابن عمه محمد (ص) . ولقد كان في العاشرة عندما هب لنصرة الرسول

يوم أحاط به الفرسان القريشيون ينذرونه ويهددونه . فقال الامام علي : « والله لن يصلوا اليك حتى اوسّد في التراب دفينـاً » . كان الامـــام علي طفلاً مبكر النماء سابقاً لأنداده في الفهم والقدرة ونشأ رجلاً مكين البنيان في الشباب والكهولة حافظاً لتكوينه القوي حتى ناهز الستين .

تزوج السيدة فاطمة بنت النبي سنة ٦٢٣ [١] ميلادية فانجب منهـــا الحسن والحسين ومحسناً وبنتين هما زينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى ، ولم يتزوج في حياتهـــا ، أما بعد موتها تزوج أكثر من اثنتي عشرة امرأة . وكان مجموع أبنائه أربعة عشر ذكراً وسبع عشرة أنثى نذكر منهم : محمد الأكبر المعروف بابن الحنفية أمه خولة بنت قيس بن جعفر الحنفي ، والعباس الاكبر ، وعبد الله ، وعثمان الاكبر ، وجعفر الاكبر أمهم أم البنين بنت المحل بن الديات بن حرام الكلابي . وقتل هؤلاء الاربعة مع الحسين بالطّف [٢] وعمر الاصغر أمه الصهباء أم حبيبة ، وعبد الرحمن وعبيد الله أمها ليلى بنت مسعود بن خالد التميمي ، ويحيى ومحمد وعون أمهم اسماء بنت عميس الخثعمية [٣] ، فهؤلاء هم الذكور ، منهم من مات في صباه ومنهم من قتل ولا عقب له ؛ ولم يعقب سوى خمسة هم : الحسين والحسن ومحمـد ابن الحنفية والعباس وعمر وسائرهم لم يعقب [٤].كان الامام علي فارساً لا يشق له غبار ، يرفع الفارس فيجلد به الأرض . ولم يبارز أحـــداً إلا وقتله ولم يصارع أحـداً إلا وصرعه ، كان يصيح الصيحة فتنخلع لهولها

---

(١) جاء في كتاب اسعاف الراغبين ص (٦١) ان الامام تزوج فاطمة وهو يناهز إحدى وعشرين سنة وخمسة اشهر وهي تناهز خمسة عشر سنة وخمسة اشهر .

(٢) ابن الأثير ج ٣ ص ٢١٠ — الطف: ارض بضاحية الكوفة في طريق البرية (معجم البلدان لياقوت) .

(٣) ابن الاثير ج ٤ ص ٤٧ .

(٤) اتعاظ الحنفا ص ٦ — ٧ ابن الاثير ج ٢ ص ٢٠١ .

قلوب الشجعان . قضى حيـاة مليئة بالمهات العظام ، وأدى رسالة ترزح بثقلها الجبال ، ولكنه تغلب على كل العقبات التي اعترضت طريقه بفضل صبره وثباته وما فطر عليه من مناعة ونفاذ فكري . فاستطاع ان يصل الى الأوج ويجلس على كرسي أمانيه محاطاً بهالة من الخلود لا يمكن ان تتغير مع الزمن .

لازم (الرسول) في غزواته . وكان نصيره الذي أبلى بلاءً حسناً في جميع حروبه وفتوحاته ، فاشتد ساعد الاسلام بقوة ساعد علي وهو الذي رقد في فراش الرسول ليلة الهجرة بالرغم من علمه الاكيد بأن أهالي مكة سيقتلون الراقد في الفراش .

قال العقاد (*) : أحاديث النبي في فضل علي ومحبته متواترة في كتب الحديث المشهورة ، منها ما انفرد به وهو حديث الخيمة الذي رواه (الصديق) حيث قال :

رأيت الرسول خيم خيمة وهو متكيء على قوس عربية ، وفي الخيمة علي وفاطمة والحسن والحسين . فقال : معشر المسلمين ، أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة ، حرب لمن حاربهم ، ولي لمن والاهم ، لا يحبهم إلا سعيد الجد طيب المولد ، ولا يبغضهم إلا شقي الجد رديء الولادة . وعلق العقاد على هذا الحديث قائلاً :

هذا انموذج من الأحاديث النبوية في فضل علي ومحبته ومنزلته عند الله ونبيه وهي تعد بالعشرات .

وأورد هذه القصة :

« بعث رسول الله علياً إلى اليمن ، فسأله جماعة من أتباعه أن

(*) كتاب عبقرية الامام صفحة ١٦٠ .

يركبهم إبل الصدقة ليريحوا إبلهم ، فأبى . فشكوه إلى رسول الله بعد رجعتهم ، وتولى شكايته سعد بن مالك بن الشهيد . فقال : يا رسول الله لقينا من علي الغلظة وسوء الصحبة والتضييق .. ومضى يعدد ما لقيه حتى إذا كان وسط كلامه ضرب رسول الله على فخـذه وهتف به : يا سعد بن مالك بن الشهيد ، بعض قولك لأخيك علي ؟ فوالله لقد علمت أنه جيش في سبيل الله .

وشكا بعض مثل هـــذه الشكوى ، فقام رسول الله فيهم خطيباً يقول لهم : أيها الناس ، لا تشكو علياً . فوالله إنه لجيش في ذات الله .

ثم قال العقاد : يلوح لنا أن النبي عليه السلام كان يحب علياً ويحببه إلى الناس ويمهـــد له سبيل الخلافة في وقت من الاوقات » (انتهى قول العقاد) .

مما لا شك فيه أن رسول الله أحب علياً حباً شديداً وأولاه اهتمامه لأن العوامل التي تدعوه إلى مثل هذا الحب كثيرة فهو صاحبه والمنافح عن دعوته وبديله في فراشه وصهره وابن عمه وزوج ابنته العزيزة فاطمة وابن إمامه (أبي طالب) وحاميه من أذى قريش الخ .. وبعد أن أدى النبي حجة الوداع ونزل (وهو في طريق العودة) عند غدير خيم في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة في السنة العاشرة للهجرة ، أنزل عليه قوله تعالى : (يا أيها الرسول بلـّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) فبادر النبي وأمر بالصلاة حتى انتهى منها وأخذ بيد علي بن أبي طالب وعقد كفه بكفه وقال [1] :

ألستم تعلمون اني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، قالوا : بلى . ألستم تعلمون

---

(١) مسند بن حنبل ص ٨٤ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٥٢ ج ٤ ص ٢٨١ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ج ٥ ص ٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ٣٦١ .

أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ! قالوا : بلى . ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه ! قالوا : بلى . قال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار . هذا وصيي وخليفتي وقاضي ديني من بعدي ومنجز وعدي ، فعلي مني وأنا منه ، من خالفه يلعنه الله والملائكة والناس أجمعين ، إشهدوا فقد بلغت وأنذرت ما أمرني ربي ، فمن قبل قولي فاز ونجا من جملة المؤمنين ومن خالف قولي ضل وغوى وكان من النادمين ، فقد أنذرتكم وحذرتكم وفوضت أمري إلى الله ، ان الله سميع بصير فليبلغ حاضركم غائبكم .. ان الله أنزل قرآناً مبيناً بالنص والبيعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، واعتبر هذا القول تبليغاً لأمر الله تعالى ونصاً صريحاً بوجوب اتباع علي ومن بعده ذريته المنصوص عليهم . وجاءت هذه البيعة بعد المبايعات الثلاث (بيعة الدار – بيعة الخيزرانة – بيعة أم سلمى)

ولقد حصل أول تنازع أثناء مرض الرسول بعد عودته من حجة الوداع فيما رواه محمد بن اسماعيل النجار باسناده عن عبدالله بن عباس ، قال [1] :

لما اشتد بالنبي مرضه الذي مات فيه قال : أتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدي. فقال عمر : إن رسول الله قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله ، وكثر اللغط . فقال النبي : قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع ، فقال ابن عباس (الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله) واختلف المهاجرون والانصار . فقالت الانصار منا أمير ومنكم أمير واتفقوا على رئيسهم سعد ابن عبادة الانصاري فاستدركه ابو بكر وعمر في الحال بأن حضرا

(١) الملل والنحل ص ٦ – ٧ لأبي الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ .

سقيفة بني ساعدة ، فاتفقوا على مبايعة أبي بكر ، وذهبوا الى المسجد حيث خطب عمر فقال : لقد كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها ، فمن عاد الى مثلها فاقتلوه فايما رجل بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فاقتلوه .

وتخلف الكثير عن المبايعة منهم الامام علي حيث كان مشغولاً بتجهيز النبي وملازمة قبره .

وحينما توفي أبو بكر نص على خلافة عمر فقال الناس (قد وليت علينا فظاً غليظاً) وبعد موت عمر انتقلت الخلافة الى يد عثمان فانشق المسلمون عليه لعدة أسباب :

١ – رده الحكم بن امية الى المدينة بعد أن طرده النبي وكان يسمى (طريد رسول الله) .

٢ – نفيه أبا ذر إلى الربذة .

٣ – تزويجه مروان بن الحكم ابنته وتسليمه خمس غنائم أفريقيا .

٤ – ايواء عبدالله بن سعد بن ابي سرج بعد ان أهدر النبي دمه وتوليته مصر .

٥ – أطلق العنان لابناء أسرته في الولاية والعمالة .

٦ – اتهم بأنه أمّ الصلاة وهو سكران .

٧ – توسع في بناء القصور وحرم بعض الصحابة وضرب بعضهم على مشهد من الملأ ضرب اهانة وايجاع .

هذا ما جعل المسلمين ان ينقموا عليه ويخذلوه ويرفضوا بيعته حتى قتل في داره .

وبذلك تم القضاء على المغتصبين واعيد الحق الى نصابه والسيف الى

قرابه فتسلم الامام علي السلطتين الزمنية والروحية وخفقت ألوية الحق عالية قوية ، وبعد ان تمت له البيعة الشرعية نقل مقره الى الكوفة وباشر بعزل ولاة عثمان الفاسدين ومنهم كبار بني امية ، فاتهمه الامويون بالتهاون في البحث عن قتلة عثمان واعتصم معاوية بدمشق وأبى ان يبايع الامام علي وحاول اشعال الفتنة بين المسلمين . وقد أراد الامام اخماد الفتنة قبل اندلاعها فسير جيوشه إلى العراق والشام ولما وصل البصرة التقى بجماعة عائشة وطلحة والزبير (بوقعة الجمل) نحو العاشر من جمادى الاولى سنة ٣٦ هجرية الموافق ٤ كانون الاول سنة ٦٥٦ ميلادية وانتهت المعركة بانتصار جيوش الامام علي فتابع المسير نحو جيوش معاوية وبعد مضي شهر من المسير دخلت جيوش الامام علي المدائن وقطعت الفرات الى الرقة وهناك التقت بجيوش معاوية في سهول (صفين) الواقعة على ضفة الفرات اليمنى وجرت مناوشات بينها وتكاثرت الرسائل بين الامام ومعاوية فكان معاوية يطالب بثأر عثمان والامام يدعو معاوية للطاعة فلا يجيب وفي النهاية انقطعت المراسلة بينهما وتجددت المناوشات وقلما اشتبك فيها الجيشان في وقعة جامعة حتى كانت وقعة (الهرير) في ١٠ صفر سنة ٣٧ هجرية الموافق ٢٨ تموز سنة ٦٥٧ ميلادية وحاقت الهزيمة بجيوش معاوية وهم بالفرار ، بينما سارت جيوش الامام بخطى سريعة نحو النصر يقودها الاشتر النخعي .

وهنا عمد معاوية الى الحيلة وأمر جيوشه برفع المصاحف على أسنة الحراب ، فشعر الامام علي بالمكيدة فقال لقومه : (قاتلوا الفئة الباغية حتى تفيء لأمر الله وهذا كتاب الله الصامت وأنا كتابه الناطق) طلب أهل العراق من الامام الموافقة والرضا بحكم القرآن ، وفي النهاية جرى التحكيم وظهرت نتيجته فأحدثت انشقاقاً بين الصفوف فنجت جيوش

معاوية من الانتحار المؤكد ، وانقسمت جيوش الامام على نفسها وخرجت جماعة لقبوا (بالخوارج) .

عاد الامام إلى الكوفة معتزماً قتال الخوارج ، وقد بذل جهوداً لاعادتهم الى صفوفه ولكنهم أصروا على الثورة ، فسارت اليهم الجيوش وقضت عليهم ثم عاد الامام إلى الكوفه ليتأهب لمحاربة معاوية .

وبينما علي يجهز قواته ويتأهب لمحاربة معاوية اجتمع بمكة نفر من الخوارج فتذاكروا القتلى من رفاقهم في النهروان والقوا وزر هذه الدماء كلها على ثلاثة وهم الامام علي بن ابي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص فتعاقدوا على قتلهم ، فقال عبد الرحمن بن ملجم أنا أكفيكم الامام علي وقال البرق بن عبدالله التميمي أنا اكفيكم معاوية[١] وقال الثالث وهو عمر بن بكر التميمي أنا اكفيكم عمرو بن العاص فتعاقدوا وتواثقوا على الوفاء واقعدوا شهر رمضان ، ولكن المصادفة العجيبة هي التي شاءت أن تشحذ عزيمة ابن ملجم بحافز من الغرام الظامىء لا يرويه إلا دم ذلك الشهيد الكريم[٢] .

واتفق الثلاثة على يوم بعينه ليقتل كل منهم صاحبه ، فأما عمرو بن العاص فقد اشتكى بطنه تلك الليلة فلم يخرج من بيته وأمر خارجه بن حذافه[٣] صاحب شرطته أن يصلي بالناس فضربه عمرو بن بكر وهو

---

(١) المعروف ان الذي انتدب لقتل معاوية هو الحجاج بن عبد الله الصريمي من تميم .

(٢) مقاتل الطالبين ص ٢٩ عبقرية الامـام للعقاد ص١٠٢ الطبري ج ٦ ص ٨٣ ابن أبي حديد ج ٢ ص ٤٢ ابن الاثير ٣ ص ١٦٨ الامامة والسياسة ج ١ ص ١٣٤ البداية والنهاية ج ٧ ص ١٤٥ تاريخ الخلفاء ج١ ص١١٧ .

(٣) في مقاتل الطالبين ص ٣٠ خارجة بن أبي حبيبة احد بني عامر بن لؤي .

يحسبه عمراً فقتله ، فقال له عمرو أردتني وأراد الله خارجـــه ، وأمر بقتـــله .

وأما معاوية فعرض له صاحبه فلم ينل منه حاجته اذ قيـل ان معاوية كان دارعاً في رواية او لأنه لم يصب منه مقتلا ، في رواية أخرى ، ولقي الضارب حتفه .

وأما الامام علي فضربه ابن ملجم في جبينه بسيف مسموم وهـو خارج للصلاة فتوفي بعد أيام أي ليلة الجمعة لاحدى عشرة وقيــل لثاني عشرة ليلة مضت من شهر رمضان سنة ٤٠ هجرية بالكوفة عن ثلاثة وستين عاماً ودفن في الظهر بجانب القرى [١] .

صفاتـــه :

كان الامام علي رجلا ذكياً قوياً لا يعرف في الحق لومة لائم ، شجاعاً لا يعرف له التاريخ موقف جبن عن الحق او تخـاذل عن نصر المروءة فهو في حياته ومماته شهيد ذكائه وعظمته البالغة . كان إماماً حقاً وقد تفرد بهذه الامامة وبإمارة المؤمنين لفضله السابغ وعقـله النير وقلبه الكبير . انتسبت اليه فرق عديدة من المسلمين وأخذت عنه ، وجعلته الاكثريــة الساحقة منهم معلماً لها ومرشداً معصوماً وقائداً لا يضل سبيله . عنه ، أخذ الحكماء الذين شرعوا علم الكلام قبل أن يتطرق اليه علم يونان او فارس وكان من أفصح الخطباء وأبلغ العلماء قوي البيان ، وهو أول من

(١) اتعاظ الحنفا ص ٦ ابن الاثير ج ٣ ص ١٩٦ قال الاصفهاني في مقاتــل الطالبيين ص ٢٧ توفي الامام ليلة الاحد ٢١ رمضان وقال ابن كثير في (البدايــة والنهاية) ج ٧ ص ١٣٠ ضرب يوم الجمعة فمكث يوم الجمعة وليلة السبت وتوفي ليلة الاحد .

وضع أصول النحو ، قيل أن ابا الأسود الدؤلي شكا اليه شيوع اللحن على السنة العرب فقال له اكتب ما أملي عليك ثم املاه اصولاً فيها[١] إن كلام العرب يتركب من اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمى والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى والحرف ما أنبأ عن معنى ليس بإسم ولا بفعل ، وأن الأشياء ثلاثة : ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهر ولا مضمر ، ثم قال لابي الاسود ، هذا النحو يا أبا الاسود ، فعرف العلم باسم (النحو) .

وللامام علي شعر قليل ومما نسب اليه قوله يصف همدان في وقعة صفين :

ولما رأيت الخيل ترجم بالقنا فوارسها حمر النحور دوامي
وأعرض نقع في السماء كأنه عجاجة دجن ملبس بقتام
فلو كنت رضواناً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

كان الامام علي وهو أمير المؤمنين وخليفة المسلمين يأكل الشعير وتطحنه زوجته بيديها وكان يختم على الجراب الذي فيه دقيق الشعير فيقول (لا أحب أن يدخل بطني إلا ما أعلم) وروى النضر بن منصور عن عقبة بن علقمة قال :

دخلت على الامام علي فاذا بين يديه لبن حامض آذتني حموضته ، وكسر يابس ، فقلت يا أمير المؤمنين ! أتأكل مثل هذا ؟ فقال لي يا أبا الجنوب ! كان رسول الله يأكل أيبس من هذا ويلبس أخشن من هذا (وأشار الى ثيابه) فلم لا آخذ بما أخذ به . خفت الا الحق به .

ومن كتبه التي هي فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق نهج البلاغة

---

(١) عبقرية الامام ص ١٨١ .

الذي جمعه الشريف الرضي الشاعر العباسي من أحفاد الامام علي المنحدر من سلالة موسى الكاظم وهـــذا جامع لفلسفات العصور السالفة ، وهو كتاب أخلاقي حكمي استهدف صاحبه إلى توجيه الناس توجيهاً اجتماعياً ودينياً واخلاقياً ، هذا ما يجعلنا نقول ان الامام علي كان استاذاً لطلاب العلم والمعرفة الاسلاميين ومن أعرف الناس بالله وبالقرآن وأحسنهم عقلا واكثرهم ذكاء ، او بالاحرى كان دائرة معارف اخلاقية ودينية وتشريعية واجتماعية فأثار القلوب بالايمان الصادق والمثـــل الأعلى والحب العميق للانسانية الفاضلة :

قال العقاد متحدثاً عن ثقافة الامام :

كل نمط من انماط كلامه شاهد له بالملكية الموجودة في قدرة الوعي وقدرة التعبير ، فهو ولا شك من أبناء آدم الذين علموا الاسماء واوتوا الحكمة وفصل الخطاب .

ونقتطف من نهج البلاغة قوله في وصف الدنيا :

ما أصف من دار أولها عناء ، وآخرها فناء ، في حلالها حساب ، وفي حرامها عقاب ، من استغنى فيها فتن ، ومن افتقر فيهـــا حزن ، ومن ساعاها فاتتـــه ، ومن قعد عنها واتته ، ومن أبصر بها بصرته ، ومن أبصر اليها أعمته .

وقوله في وصف الانبياء والأئمة :

فاستودعهم في أفضل مستودع ، وأقرهم في خير مستقر ، تناسختهم كرائم الاصلاب إلى مطهرات الارحام ، مضى منهم سلف ، قام منهم بدين الله خلف حتى أفضت كرامة الله إلى محمّد ، فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً ، وأعز الارومات مغرساً من الشجرة التي صدع منهـــا انبياءه ، وانتخب منها امناءه ، عترته خير العتر ، واسرته خير الاسر ، وشجرته

خير الشجر ، نبتت في حرم وبسقت في كرم ، لها فروع طوال ، وثمرة لا تنال ، فهو إمام من اتقى وبصيرة من اهتدى ، سراج لمع ضوؤه ، وشهاب سطع نوره ، وزند برق لمعه ، سيرته القصد ، وسنة الرشد ، وكلامه الفصل ، وحكمه العدل الخ ...

اعملوا رحمكم الله ، على أعلام بينة ، فالطريق نهج يدعو إلى دار السلام وأنتم في دار مستعتب على مهل وفراغ ، والصحف منشورة والاقلام جارية والابدان صحيحة والالسن مطلقة ، والتوبة مسموعة والاعمال مقبولة .

وختاماً قد قلنا بأن الامام علي انتقل إلى جوار ربه بعد أن نص على إمامة الحسين ودفن في النجف الشريف ، وقيل في الظهر بجنب الغرى [1] والتوبة .

---

(١) مقاتل الطالبيين ص ٤٢ ، قيل للحسين بن علي : أين دفنتم امير المؤمنين ؟ قال : خرجنا به ليلا من منزله فمررنا به على مسجد الأشعث حتى خرجنا به الى الظهر بجنب الغرى .

الامام

الحسين بن علي بن ابي طالب

هو الامام الحسين بن علي سبط رسول الله وريحانته ، ويكنى بأبي عبدالله ، ولد بالمدينة المنورة في الخامس من شهر شعبان سنة ٤ هجرية [١] وقيـــل في الثالث من شعبان سنة ٤ هجرية في المدينة المنورة ، قال جعفر بن محمد : لم يكن بين الحمل بالحسين بعد ولادة الحسن إلا طهر واحد ، وقال الواقدي : علقت فاطمة بالحسين بعد مولد الحسن بخمسين ليلة وكانت مدة حمـله ستة اشهر ، ولم يولد لستة اشهر وعاش ، الا عيسى بن مريم والحسين بن علي [٢] ولمـا ولد الحسين سماه ابوه (حرباً) فجاء جده رسول الله (ص) وقال لعلي وفاطمة اروني ابني ما سميتموه ؟ قال علي : (حرباً) . فقال الرسول : (بل هو حسين) ، وهو اسم لم يكن لاحـــد قبله [٣] وقال شرف علي [٤] ذكر الشيخ العمي في الأمالي عن

---

(١) تهذيب ابن عساكر جـ ٤ ص ٣١١ ابن الاثير جـ ٤ ص ١ ؛ ابو الفداء جـ ١ ص ١٣٤ اصول الكافي الكليني ص ٢٣٨ في (٣) هجرية .

(٢) يقول ثقة الاسلام الكليني في كتابه (اصول الكافي ص ٢٣٨ – ٢٣٩) كان بـــين الحسن والحسين طهر واحد وكان بينهما في الميلاد ستة اشهر . وقال لم يولد لستة اشهر الاعيسى ابن مريم والحسين بن علي ويؤيد هذا القول كتاب نيل الجنان في مشتهر الجنان ص ٢٥٤)

(٣) مسند ابن حنبل في مسند علي ابن ابي طالب وقال ابن الاثير جـ ٢ ؛ لما سئل النبي لماذا سميتم الحسن والحسين ومحسن قال عليه السلام سميتهم باسماء ولد هارون (شبر وشبير ، ومشبرا) .

(٤) رياض الجنان ص (٢٥٢) .

داؤود الرقي انه لما حملت فاطمة الزهراء بالحسين قال لهـا النبي : يافاطمة انك ستلدين غلاماً هنأني به جبرائيل فلا ترضعيه حتى اجيء اليك ولو اقمت شهراً ، قالت افعل ذلك : وخرج الرسول (ص) في بعض وجوهه ، فولدت فاطمة الحسين فما ارضعته حتى جاء الرسول (ص) فقال ماذا صنعت ؟ قالت ما ارضعته فأخذه فجعل لسانه في فمه فجعل الحسين يمص لسانه حتى قال النبي (ايهاً ... ايها) ياحسين ؟

وقيل بأن والدة الحسين مرضت أثناء الوضع وجف لبنها فطلب الرسول للحسين مرضعة فلم يجد فكان يأتيه الرسول فيلقمه ابهامه فيمصه ويجعل الله في ابهام الرسول رزقاً يغذيه ، وقيل فعل ذلك اربعين يوماً وليلة فانبت لحمه من لحم رسول الله ودمه [١] .

وقال الطباطبائي فيه من قصيدة :

ذادوا عن الماء ظمآنا مراضعه — من جده المصطفى الساقي اصابعه
يعطيه ابهـامه آنا وآونة — لسانه فاستوت منه طبائعه
لله مرتضع لم يرتضع ابـداً — من ثدي انثى ومن طه مراضعه
غرس سقاه رسول الله من يـده — وطاب من بعد طيب الاصل فارعه

وقال جعفر بن محمد لما ولد الحسين حنكه الرسول بريقه واذّن في اذنه وتفل في فمه وسماه حسيناً ولقب الامام بألقاب اشهرها [٢] الزكي ، والطيب والرشيد ، والوفي ، والسيد ، والمبارك واعلاها مالقبه بـه رسول الله في قوله عنه عن أخيه الحسن ، انهما سيدا شباب أهل الجنة

(١) قال ثقة الاسلام الكليني في الكافي ص (٢٣٩) لم يرضع الحسين من فاطمة ولا من انثى كان يؤتى به الى النبي فيضع ابهامه في فيه فيمص منها مايكفيه ليومين أو ثلاثة فنبت لحم الحسين من لحم الرسول ودمـه .

(٢) الفصول المهمة للمفيد ص ١٧٦ نور الأبصار للشلبنجيص (١٥٢) الارشاد ص ٢٠٣

وقال الرسول : حسين مني وانا من حسين ، أحب الله من أحب حسيناً ، حسين سبط الاسباط من سرّه ان ينظر الى رجل من اهل الجنة فلينظر الى حسين .

أقام الحسين مع جده في طفولته ست سنين وسبعة اشهر وسبعة أيام (لان الرسول قد انتقل في يوم الاثنين ١٢ ربيع الاول سنة ١١ هجرية [١] وذهب الى الحسين كل مافي فؤاد النبي من محبة وعطف ، فكان لايطيق ان يستمع الى بكائه ، وقيل ان الرسول خرج يوماً من بيته فمر ببيت فاطمة فسمع حسيناً يبكي فقال لفاطمة ألم تعلمي ان بكاءه يؤذيني ؟ وروى ابو عمر بن عبد البر القرطبي[٢] عن ابي هريرة انه قال ابصرت عيناي هاتان وسمعت اذناي رسول الله وهو آخذ بكفي الحسين وقدماه على قدم رسول الله وهو يقول (ترق ترق عين بقه [٣] فقال فرقي الغلام حتى وضع قدميه على صدر الرسول ثم قال له الرسول افتح فاك ثم قبله وقال اللهم احبه فاني احبه .

وبعد وفاة الرسول اقام الحسين مع والده فشهد معه جميع وقائعه من الجمل الى صفين .

صفاته

تعلم الامام الحسين في صباه فنون العلم والادب والفروسية وقد أوتي ملكة الخطابة من طلاقة لسان وحسن بيان ، واشتهر بالوفاء والشجاعة ، وكتب العقاد عن شجاعته قال [٤] :

« شجاعة الحسين صفة لا تستغرب ، لانها الشيء من معدنه ، وهي فضيلة ورثها الاباء واورثها الابناء . وقال محمد الصبان : كان الحسين

(١) منهاج السنة النبوية ج ٣ ص ١١
(٢) الاستيعاب ج ١ ص ١٤٨
(٣) ترق عين بقة ، أي أصعد يا خفيف الجثة .
(٤) ابي الشهداء للعقاد ص ٥

شجاعاً مقداماً منذ كان طفلا [١] .

وكان الحسين كثير الشبه بجـــده رسول الله ، ليس بالطويل وليس بالقصير ، واسع الجبين ، كث اللحية ، واسع الصدر عظيم المنكبين ، ضخم العظام ، متماسك البدن ، رحب الكفين ، عبل العضدين والذراعين ابيض اللون مشرب بحمرة [٢] وقيل كان الحسين في غاية الجمال . وقال سعيد السكر بسنده : ما رأيت أحداً قط احسن ولا امـــلأ للعين من الحسين [٣] .

نساؤه

١ – الرباب ابنة امريء القيس الكلبية ، ولدت عبدالله وسكينة .

٢ – ليـــلى بنت ابي مره بن عروة بن مسعود الثقفي ولدت علي الاكبر الذي قتل مع ابيه بالطف .

٣ – أم اسحاق بنت طلحة بن عبد الله ولدت فاطمة .

٤ – عائشة بنت خليفة .

٥ – أم جعفر بن الحسين القضاعية .

٦ – شهر بانو بنت كسرى يزدجرد واسمها (جهان شاه) ولدت علي زين العابدين .

٧ – حفصة بنت عبد الرحمن .

وكان له من جميع نسائه ستة اولاد وثلاث بنات هم :

١ – علي الاكبر قاتل بين يدي ابيه حتى استشهد .

---

(١) اسعاف الراغبين ص ١٣٤

(٢) فتح الباري للعسقلاني ج ٧ ص ٧٥

(٣) البغدادي ج ٢ كتاب الشفا للقاضي عياض ص (١١٢)

٢ – علي الاوسط زين العابدين كان مع ابيه بكربلاء فأسر ثم رجع الى مكة ومنه العقب .

٣ – علي الاصغر جاءه سهم في القتال وهو طفل فاستشهد .

٤ – محمد استشهد بكربلاء .

٥ – عبدالله استشهد بكربلاء .

٦ – جعفر مات في حياة ابيه .

وله من البنات زينب وسكينة وفاطمة .

نشأ الحسين وترعرع وعرف فضله حتى اصبح اكثر الشيعة والصحابة والمسلمين اجمع يرغبون له السلطة الزمنية أي (الخلافة) بالاضافة الى السلطة الروحية التي كان يتمتع بها كامام .

ولما تولى الخلافة يزيد بعد أبيه معاوية أقر عبد الله بن زياد على البصرة ، والنعمان بن بشير على الكوفة ، والوليد بن ابي سفيان على المدينة ، وعمر ابن سعيد بن العاص على مكة وطلب منهم ان يدعوا الناس الى بيعته .

ولقد رفض مبايعته خلق كثير كما امتنع الامام الحسين وعبد الله بن عمر وعبدالله بن الزبير ، فكتب يزيد الى عامله على المدينة الوليد بن عقبة يقول :

أما بعد فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليس فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام .

ذهبت جميع الجهود التي بذلها الوليد لاقناع الامام الحسين الذي رفض ان يبايع المغتصب يزيد لعلمه بانه احق منه بالخلافة ، ولانه كان حائزاً على ثقة اهل الحجاز والعراق لما عرف عنه من الصلاح والاستقامة .

عول الامام الحسين على ترك المدينة الى مكة بعد ان شدد وأصر عليه الوليد بالبيعة عنوة وقهراً ليزيد ، وخرج من المدينة ليلة الاحد

في الثامن والعشرين من شهر رجب سنة ٦٠ هجرية ومعه اهــل بيته واخواته وبني اخيه قاصداً مكة ، ودخلها ليلة الجمعة في الثالث من شهر شعبان حيث نزل على (شعب علي) فأقبل أهل مكة ومن كان بها من المعتمرين يختلفون اليه ويجتمعون عنده .

ولما بلغ أهل الكوفة وفاة معاوية وامتناع الحسين من مبايعــة يزيد ونزوله مكة اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد الخزاعي بالكوفة وخطب فيهم سليمان بن صرد فقال :

إن حسيناً قد خرج الى مكة وانتم شيعته وشيعة ابيه فان كنتم تعلمون ناصروه ، ومجاهدو عدوه فاكتبوا اليه وان خفتم الفشل والوهن فلا تغروه ؟ قالوا لا بل نقاتل عدوه ونقتل انفسنا دونه : فكتبوا اليـه يستقدمونه ليبايعوه .

بسم الله الرحمن الرحيم للحسين بن علي عليهما السلام .

من سليمان بن صرد والمسيب بن نجبـــة ورفاعة بن شداد البجلي وحبيب بن مظاهر وشيعته المؤمنين المسلمين من اهل الكوفة .

سلام عليك .

فاننا نحمد اليك الله الذي لا إله الا هو .

اما بعد فالحمد لله الذي قصم عـدوك الجبار العنيد الذي اعتدى على هذه الامة فابتزها امرها وانتزعها حقوقها وغصبها فيئها وتأمر عليها بغير رضا منها ، ثم قتـل خيارها واستبقى اشرارها ، وجعل مال الله بين جبابرتها واغنيائها فبعداً له كما بعدت ثمود ، وانه ليس علينا امام ، فاقبل لعل الله يجمعنا بك على الحق ، والنعمان بن بشير في قصر الامارة لسنا نجتمع معه في جمعة ولا عيد ، وقد حبسنا أنفسنا عليك ولو أقبلت الينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام .

وأرسلوا الكتاب مع عبدالله بن مسمع الهمداني وعبدالله بن وال فخرجا مسرعين حتى قدما على الحسين بمكة في العاشر من شهر رمضان ثم كتبوا اليه ثانية بعد ليلتين نحواً من ١٥٠ صحيفة ثم ثالثاً .

وروى الطبري : أن أهل الكوفة كتبوا إلى الحسين يقولون ان معك مائة الف ينصرونك . وتلاقت الرسل كلها عند الحسين ، فقرأ الكتب وسأل الرسل عن الناس وقال لهم : سأبعث معكم ابن عمي ليأخذ لي بيعتي فإذا وفق إلى ذلك ذهبت إليكم .

ودعا مسلم بن عقيل بن ابي طالب وقال له اذهب إلى الكوفة فإني رأيت منهم إجماعاً على ما كتبوا فاكتب لي برأيك ، ثم كتب رسالة وسلمها إلى هانيء بن هانيء وسعيد بن عبدالله وكانا آخر الرسل ، قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسين بن علي بن أبي طالب الى الملأ من المؤمنين المسلمين .

أما بعد :

فقد أتتني كتبكم وفهمت ما ذكرتم ، من حجتكم لقدومي عليكم وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل ، وأمرته ان يكتب لي بحالكم وأمركم ورأيكم فإن كتب إليّ أنه قد أجمع رأي ملئكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت علي به رسلكم وقرأت في كتبكم ، أقدم عليكم ان شاء الله ، فلعمري ما الامام إلا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات الله والسلام .

خرج مسلم بن عقيل في الثامن من ذي الحجة حيث نزل الكوفة واجتمع على بيعته اثنى عشر ألفاً وقيل ثمانية عشر ألفاً وثلاثين الفاً في تقدير ابن قتيبة .

فحار والي الكوفة الأموي النعمان بن بشير فيما يصنع بمسلم وأتباعه وهم يزدادون يوماً بعد يوم ، وكانت قد وصلت الأخبار إلى يزيد تفيد بأن النعمان رجل ضعيف يجب عزله ، وطلب إليه إرسال آخر قوي إن كان له بالكوفة حاجة .

فأمر يزيد بعزل والي الكوفة وتعيين والي البصرة عبدالله بن زياد مكانه !

ويحدثنا عمر بن سعد عن ابي مخنف ، قال حدثني المصتعب بن زهير عن أبي عثمان قال [١] أقبل بن زياد من البصرة ومعه مسلم بن عمر الباهلي والمنذر بن الجارود وشريك بن الاعور وحشمه واهله [٢] حتى دخلوا الكوفة ، وعلى ابن زياد عمامة سوداء وهو ملثم ، والناس ينتظرون قدوم الحسين عليهم ، فأخذ لا يمر جماعة من الناس إلا سلموا عليه وقالوا مرحباً بك يابن رسول الله قدمت خير مقدم ورأى من الناس من تباشرهم بالحسين ما ساءه ، فأقبل حتى دخل القصر .

وقال عمرو عن أبي مخنف عن المعلى بن كليب عن أبي الود انه قال : لما نزل بن زياد القصر نودي في الناس الصلاة جامعة . فاجتمع الناس فخطب فيهم ناصحاً ومرشداً ووعدهم بالمنح والعطايا .

وعندما سمع مسلم بن عقيل بمجيء عبيد الله بن زياد أتى دار هانيء بن عروة المرادي فصارت تختلف اليه الشيعة وهو في الدار المذكورة وتواصو بالكتمان وقد بايعه ثمانية عشر الفاً فكتب كتاباً الى الحسين ارسله مع عباس بن أبي شبيب الشاكري يخبره بالبيعة له واجتماع الناس عليه وانتظارهم اياه .

---

(١) مقاتل الطالبيين ص ٩٦ .

(٢) يؤكد هذا القول ماجاء في مقتل الحسين ص ٢٤ وابن الاثير ج ٤ ص ١٠ الطبري ج ٦ ص (١٩٤)

شعر عبيد الله بانقطاع هانيء عن زيارته فجأة فعلم بأنه يخفي مسلم ابن عقيل في منزله فسأل عنه وكلف من يأتي به ، فلما دخل هانيء على عبيد الله بن زياد بن كاشفة بشأن ايوائه مسلم بن عقيل وامره أن يأتي به . فرفض هانيء وانكر ان تكون له أي صلة بمسلم بن عقيل فهدده عبيد الله بالقتل واخذ قضيباً فضرب به أنف هانيء وجبينه وخده حتى كسر انفه وسالت الدماء على ثيابه ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته ولم يزل يضربه حتى كسر القضيب فأمر ان يلقى في بيت ويغلق عليه .

بلغ عشيرة مذحج أن هانيء قد قتل ، فاقبلت واحاطت بقصر الامارة من كل حدب فطلب ابن زياد من القاضي شريح ان يبلغهم ان هانيء لايزال على قيد الحياة وإنما حبسه ليسأله عن اخبار مسلم بن عقيل ، فقال عمر بن الحجاج الذي كان على رأس مذحج اذا لم يقتل فالحمد لله وانصرفوا .

علم مسلم بن عقيل بما قد جرى لهانيء فنادى بشعاره المتفق عليه وهو (يامنصور أمت) فاجتمع اليه ثمانية عشر الفاً من أهل الكوفة فسار بهم نحو قصر الأمارة ، ولما شعر عبدالله بأن الجيوش قد احاطت بالقصر أغلق الابواب وحاصر حتى المساء وليس معه في القصر إلا ثلاثون رجلاً من شرطته وعشرون رجلاً من أشراف الكوفة واهل بيته ومواليه فدعا ابن زياد الاشراف وامرهم ان يخرجوا ليرفعوا راية الامان ويخذلوا الناس عن ابن عقيل يخوفونهم من نتيجة الحرب وعقوبة السلطان ، ووزع عليهم الأموال الكثيرة فخرج كثير بن الحارس ومحمد بن الاشعث وقعقاع بن شور الذهلي وشبث بن ربعي التميمي وحجار بن أبجر العجلي وشمر بن ذي الجوشن الضبائي ، ورفعوا راية الامان وخطبوا في

الناس حتى أقنعوهم فتفرقوا عن ابن عقيل ولم يبق معه الا ثلاثون فارساً توجهوا معه نحو ابواب كنده فما بلغ الابواب الا ومعه منهم عشرة فقط ، وخرج في المساء وليس معه أحد فمضى لايدري أين يذهب حتى طرق باب امرأة يقال لها (طوعة ام ولد) فالتجأ عندها . أما عبيد الله بن زياد فانه أمر رئيس شرطته الحصن بن تميم ان يمسك ابواب السكة ويفتش الدور حتى يعثر على مسلم بن عقيل فيأتي بـــه .

وما زالوا يبحثون عن ابن عقيل حتى وجدوه في تلك الدار التي التجأ اليها فحاصروا الدار فقاتلهم مسلم قتال الابطال حتى أمّنه محمد بـــن الاشعث بعد ان عجز عن القتال لكثرة ما اصابه من جراح .

وما كاد ابن عقيل يصل الى قصر الاماره حتى أمر ابن زياد ان يصعدوا به فوق القصر ويضربوا عنقه ، فقال مسلم مخاطباً ابن الاشعث (والله لولا امانك ما استسلمت قم بسيفك دوني قد اخفرت ذمتك) ، ثم اصعدوا مسلم بن عقيل الى اعلى القصر حتى اشرفوا على (موضع الحذائين) فضرب عنقه بكير بـــن حمدان الأحمري ثم صلبت جثته وعرض على الناس في شوارع الكوفة [1] وكان ذلك يوم الأربعاء التاسع من ذي الحجة سنة ٦٠ هجرية [2] .

ذكرنا سابقاً ان مسلم بن عقيل كان قد كتب الى الامام الحسين يخبره بأخذ البيعة له واجتماع الناس عليه ، وانتظارهم اياه ، وكان ذلك قبل

---

(١) وفي ذلك يقول الفرزدق :

وان كنت لا تدرين بالموت فانظري ... الى هانيء في السوق وابن عقيـــل
الى بطل من هشم السيف وجهه ... وآخر يهـــوي من طمار قتيـــل

(٢) الطبري ج ٦ ص ٢١٣ مقاتل الطالبيين ص١٠٧ .

استشهاده ولما وصل الكتاب المذكور الى الحسين قرر الذهاب الى الكوفة . فخرج يوم الثلاثاء الثامن من ذي الحجة مع نخبة ممتازة من شيعته في الحجاز ونفر من أهل البصرة كانوا قد انضموا الى اهل بيته ومواليه .

ولما علم ابن زياد ان الحسين قد سار وصحبه من مكة أرسل رئيس شرطته (الحصين بن نمير التميمي) وامره ان ينزل القادسية ويقطع على الحسين جميع المسالك والمنافذ فلا يدع احداً يخرج أو يدخل .

توجه الامــــام الحسين نحو العراق حتى وصل « ذات عرق » فكتب الى أهل الكوفة رسالة يعلمهم بقدومه ، بعثها مع قيس بن سهر الصيداوي ولكن الرسول قبض عليه في القادسية وارسل الى ابن زياد فقتله بعد ان رفض الاجابة الى رغبات ابن زياد عندما طلب منه ان يصعد القصر ويقول للناس ان الحسين ليس على حق ويؤيد يزيد ، غير أن نفس قيس الطـــاهرة الابية أبت إلا ان تلقن ابن زياد درساً في الاقدام والتضحية والاخلاص ، فصعد ابن قيس القصر وخطب في الناس يدعوهم إلى مناصرة الحسين ولعن ابن زياد وأباه ، فقذف به من أعلى القصر ودق عنقه ، ومثل فيه أفظع تمثيل . وهكذا انتهت حياة هـــذا البطل المخلص الشهيد فمات قرير العين موفور الكرامة .

وما زال الحسين يجدّ السير حتى أشرف على ماء من مياه العرب ، فوجد عليه عبدالله بن مطيع وكان قادماً من العراق ، فلما شاهد الحسين قام اليه وسلم عليه ، فأخبره الحسين أنه سائر إلى الكوفة وأطلعه على كتب أهلها ، فقال له : أنشدك الله أن ترجع من حيث أتيت لأن (قلوب الناس معك وسيوفهم عليك) ، فأبى الحسين إلا أن يمضي في طريقه فسار حتى وصل إلى « زرود » حيث بلغه خبر قتل مسلم بن عقيل وهانيء

ابن عروة ، فقال المخلصون للحسين من شيعته إننا نخاف عليك ، إذ ليس لك بالكوفة أي ناصر ، ننشدك بالله ألا رجعت . فوثب بنو عقيل وقالوا : والله لا نرجع حتى ندرك ثأرنا أو نذق ما ذاق مسلم ، فقال الحسين لا خير في العيش بعد هؤلاء .

ثم ارتحلوا حتى وصلوا (زبالة) فبلغه ما كان من أمر رسوله قيس ، فأعلم بذلك صحبه وقال : قد خذلتنا شيعتنا بالكوفة ، فمن أراد منكم أن ينصرف فلينصرف ، ليس عليه منا ذمام . فتفرقوا يميناً وشمالاً إلا أهل بيته وقليل ممن تبعوه من مواليه الذين جاؤوا معه من المدينة ، ثم تابع المسير حتى وصل إلى (بطن العقبة) فأخبروه بأن خيل ابن زياد معسكرة في القادسية تسد عليه الطريق ، وما زال سائراً حتى بلغ (شراف) فباتوا بها وساروا .

وجاء قائد جيش ابن زياد الحر بن يزيد يبلغ الحسين رسالة ابن زياد :

— إني أُمرت ان أنطلق بك إلى ابن زياد ، أو أجعجع بك فلا أتركك تزول من مكانك .

وتحرك الحسين يريد المسير في طريق العزيب ، فبلغها وعبدالله وجماعته يلازمونه ، ويصرون على اقتياده إلى أميرهم ، ويصدونه عن وجهته ، فأقبل الحسين يعظهم ويناجيهم ، فأنصت الحر إليه ثم توجه إلى الحسين يحذره العاقبة قائلاً : « لئن قاتلت لتقتلن ! »

فصاح به الحسين :

— أبالموت تخوفني ؟.. وأنشد :

سأمضي وما بالموت عار على الفتى ... إذا ما نوى خيراً وجاهد مسلما
فان عشت لم أندم وإن مت لم ألم ... كفى بك ذلا أن تعيش وترغما

ثم سار الركبان وكلما مال الحسين نحو البادية أسرع الحر يميله نحو الكوفة .

وبعد لات وليت ، نزل الحسين بمكان سأل عن اسمه فسمي له « كربلاء »[١] وكان ذلك يوم الاربعاء أول محرم من سنة ٦١ هـ[٢] وقيل الخميس الثاني من محرم عام ٦١ هـ[٣] وفي اليوم الثاني من نزولهم قدم جيش يزيد بقيادة عمر بن سعد وعدته أربعة آلاف فارس[٤] وانضم الحر بن يزيد فيمن معه إلى عمر بن سعد الذي أرسل حين وصوله (عبد الله الشعبي) وكان فاجراً زنديقاً ليسأل الحسين عن سبب مجيئه ، إلا أن شيعة الحسين لم يمكنوه من مقابلته والدخول عليه لاعتصامه بمقابلة الامام الحسين وهو متنكب سلاحه ، فأرسل عمر بن سعد (مرة بن سفيان الحنظلي) ليسأل الامام سبب مجيئه ، فما كان من الحسين إلا أن أجابه بلسان فصيح ومنطق سديد : كتب إليّ أهل الكوفة أن أقدم عليهم فاذا كرهوني فاني أعود عنهم إلى مكة .

واقتنع ابن سعد بصواب ما قاله الحسين وكتب إلى ابن زياد يخبره ذلك ويطلب منه الكف عن الحسين ليرجع من حيث أتى ، لكن ابن زياد الذي ترعرع في بيت الفجور والاجرام والدناءة رفض هذا الطلب وكتب الى عمر يأمره أن يطلب بيعة يزيد من الحسين وبحالة رفضه البيعة يمنعه من الماء وقومه . ولما عرض الكتاب على الامام الحسين أبى ان يبايع الزنديق المغتصب ، فما كان من عمر بن سعد إلا أن ارسل عمر بن الحجاج في ٥٠٠

---

(١) كانت تعرف قديماً باسم (كرور بابل) ثم حرفت وصحفت الى كربلاء فكان هذا التصحيف عرضة الى ان تجمع كلمتي « كرب » و « بلاء » كما وصفها بعض الشعراء .

(٢) الدينوري ص ٢٥١ .

(٣) ابن الأثير ج ٤ ص ٢٣ والطبري ج ٦ ص ٢٣٢ .

(٤) وفي رواية عشرة آلاف .

فارس ليحولوا بين الحسين والماء (وكان ذلك قبل استشهاد الامام الحسين بثلاثة ايام) .

وفي اليوم الثاني اشتد العطش بالحسين وصحبه فنادى عبدالله بن أبي الحصين الأزدي قائلا : يا حسين أما تنظر إلى الماء ، والله لا تذوقون منه قطرة واحدة حتى تموتوا عطشاً ، فأرسل الامام الحسين أخاه العباس في عشرين راجلا وثلاثين فارساً يحملون القرب ، فقاتلوا على الماء حتى ملأوا القرب وعادوا .

وفي اليوم الثالث وصلت رسالة ابن زياد مع شمر بن ذي الجوشن وكان قد أرسلها إلى عبيدالله بن سعد يقول فيها :

أما بعد ، فان نزل الحسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إليّ وان رفضوا فازحف إليهم حتى تقتلهم عن بكرة أبيهم ، ومثل فيهم فانهم لذلك مستحقون ، فان قتل الحسين فاوطىء الخيل صدره وظهره . فان أنت مضيت لأمرنا جزيناك ، وان انت أبيت اعتزل جندنا وخل بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر ، والسلام .

قرأ عمر الكتاب فقال لشمر : والله لا يستسلم الحسين ابداً (إن نفساً أبية بين جنبيه) ، وعرض الكتاب على الامام الحسين فطلب أن يمهلوه حتى صباح الغد .

وما كاد يبزغ فجر يوم الجمعة (أي يوم عاشوراء – العاشر من محرم سنة ٦١ هجرية) حتى عبأ الحسين أصحابه وهم اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلا ، كما عبأ عمر بن سعد أصحابه الكثيرين وخرج نحو الحسين ، فلما دنوا من بيوته أشعلوا النار فيها ونشب القتال بينهما ، فاستبسل رجال الامام الأشداء وتنافسوا في الاستشهاد بين يديه وبذلوا أرواحهم رخيصة في سبيل إمامهم المعصوم وغايته المثلى .

انضم إلى الحسين من جيوش ابن زياد (الحر بن يزيد التميمي) فقال له الحسين : (بورك فيك يا حر ، فانت حر في الدنيا والآخرة) وقاتل معه قتال الشجعان حتى استشهد بين يدي الامام .

وهكذا قاتل أبناء الامام وشيعته وأهله حتى استشهدوا جميعاً وهم يدافعون عنه وعن دعوته الحقة ، تدفعهم العقيدة ، ويملأ قلوبهم الايمان ، لأن الحق بجانبهم .

اشتد عطش الامام الحسين فدنا من الفرات يبغي شربة ماء فرماه (حسين بن نمير) بسهم وقع في فمه الشريف ، فانتزعه الامام وتلقى الدم بيديه الكريمتين فامتلأت راحتاه من الدم ، فرفعهما إلى السماء وقال : (إن تكن حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير منه وانتقم لنا من القوم الظالمين) .

ثم رجع إلى مكانه فاشتد به العطش وأحاط به شمر بن ذي الجوشن برجاله ، والامام يحمل عليهم فيفرقهم عنه ، وبالنهاية أحاطوا به من كل صوب ، وأسرع إليه رجل من كنده يقال له (مالك بن النسر) فضربه على رأسه بالسيف ، وبقي الامام الحسين يجاهد فيهم بينما رجاله وأهله يستشهدون بين يديه الواحد تلو الآخر حتى بقي معه ثلاثة فقط ، فهجم على الصفوف المتراصة يدفعهم عنه والثلاثة المذكورون يحمونه حتى استشهدوا ، فأقبل عليه شمر بن ذي الجوشن في مائة من رجاله فوجدوا الحسين وحيداً وقد أثخن بالجراح في رأسه وبدنه ، فهجموا عليه يريدون الفتك به ، ولكنه حمل عليهم حملة الأسد فولوا الادبار وقاتل قتالاً شديداً فابتعدوا عنه ورشقوه بالسهام ، ونادى شمر في الفرسان : ويحكم ماذا تنتظرون اقتلوه ، فحملوا عليه من كل جانب وضربه (زرعة بن شريك التميمي) على كفه اليسرى فقطعها ، وضربه آخر على عاتقه فكبا منها على وجهه ، وما زال

يقوم ويكبو وهم يطعنونه بالرماح ويضربونه بالسيوف حتى سكن حراكه ، فنزل اليه شمر بن ذي الجوشن واحتز رأسه الكريم وسلب ما كان عليه من اللباس ، ونهبوا ابله واثقاله ومتاعه ثم اسروا نساءه ، ثم ندبوا عشرين فارساً ليطؤوا جثته بخيولهم ، فوطؤوها مقبلين ومدبرين حتى رضوا صدره وظهره ، ثم تركوا جميع الجثث على الارض ، من بعـــد ان احتزوا رؤوسها ومثلوا بهـــا أبشع تمثيل ، ووضعوا الرؤوس على اسنة الحراب وارسلوها الى ابن زياد ، وكانوا ٧٢ رأساً ، وحملوا النساء ومن كان معهم من الصبيان حفـاة عراة يولولن باكيات ، ولم يسلم من تلك الموقعة إلا علي زين العابدين الذي نص عليه بالامامة وهو مريض قبل استشهاد والده ، فحمل مع من حمل من النساء .

وقد وجد في جسم الامام الحسين الطاهر – ٣٣ طعنة و – ٣٤ ضربة سهم ، وفي ثيابه – ١٢٠ أصابة نبـال وبقيت الجثث يومين في العراء حتى خرج اليها جمـــاعة من بني أسد في الليل وتحت ضوء القمر فحفروا القبور ودفنوا الجثث (١) .

ولقد تعددت الاقوال حول الموضع الذي دفن فيـه الرأس الشريف فقيل انه أعيد الى كربلاء وقيل دفن في البقيع عند قـبر امه فاطمة الزهراء ، وقيل وجد في خزانة يزيد بعد موته فدفن في دمشق ، وقيل دفن في عسقلان حتى استولى الفاطميون على مصر فنقلوه الى القـاهرة حيث دفن في المشهد الحسيني قريباً من خان الخليلي .

والحقيقة التي لا غبار عليها ان الرأس قد جيء به الى دمشق ومن ثم نقل الى عسقلان حتى استولى الأئمة الاسماعيلية على مصر فنقلوه الى القاهرة

---

(١) الطبري جـ ٦ ص ٢٦١ ابن الاثير جـ ٤ ص ٣٥ مروج الذهب جـ ٢ ص ٦٦ ومقاتل الطالبيين ص ١١٨ – ١١٩ – ١٢٠

حيث دفن في (المشهد المشهور) هذا هو مجمل قصة استشهاد الامام الحسين مع الخلص من شيعته وأهل بيته ، ونحن نرى ان نضرب صفحاً عن التعليق على هـذه الجريمة النكراء التي لم يشهد التاريخ اقسى وابشم منها .

ولا بد لنا من القول بأنه قد ثبت تاريخياً ان يزيد وابن زياد مجرمان اثيان بطبعهما ، نزعت من قلبيهما الشفقة والرحمة ، ومجرمان هذه صفتهما لا يتورعان اذا حكما عن ارتكاب الموبقات والرذائل ، ولا أخال هذه القصة تعود لتمثل على مسرح هذا الوجود الا اذا عاد الى الوجود يزيد وابن زياد ومن شايعهما من البغي والضلال .

وقبل أن انهي كلمتي عن الحسين اثبت خطبة داعي الدعاة المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي في ذكرى يوم الحسين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحيط بكل شيء علمه ، العظيم عن العاصين تجاوزه وعلمه ، الذي احيـانا بمحمد (ص) من موت الضلالة والكفر ، واستثنانا بالايمان به من الخسار بعد ان قال (والعصر ان الانسان لفي خسر) وكلفنا له اجراً عن ارشاده بالفوز بالحظ في العقبى نصاً عليـه قوله : (قل لا اسألـكم عليه اجراً الا المودة في القربى) فقيل يا رسول الله : من فيه القربى التي باخلاص مودتنا فقصدتنا ، فقال علي وفاطمة وولدهما ، ثم اضاع اجره عليـه السلام في مودته المعنيون فضاهوا فعل الـكافرين الذين لا يسمعون لربهم ولا يطيعون ، فهل يزوي حق اجـير مستأجر بأجرة معلومة زاو إلا وهو ظالم لنفسه في مهوى الهلاك هـاو ، فما ظنـكم بمن يزوي حق رسول رب العالمين عن ارشاده ويمنعه اجره الذي اوجبه الله سبحانه على عباده ، فياليتهم صرف الله قلوبهم لما انصرفوا

عن موقع الامر وخالفوا ربهم اذ تخلفوا عن الوفاء بالاجر ولم يكشفوا من امروا بموالاتهم قناع الغي ، ونشهد ان محمداً عبده ورسوله المشفع في معاده ، فبشفاعته يزكو معـادنا المفجع باولاده ، وقال : اولادنا اكبـادنا صلى الله عليه وعلى آله المستضعفين من ذوي الامن المستهدفين سهام المحن .

ايها الناس اتتـكم الذكرى فابكوا الامام المقتول المنبوذ في العراء ، وابكوا ابن علي المرتضى وفاطمة الزهراء ، وابكوا من صدع بقتـله صدر الاسلام صدعاً ، افيضوا رحمكم الله لمصرعه دمـاً لا دمعاً . الا تبكون من قتلت به الأمة الهالكة وبكت عليه من السماء الملائكة ؟ ألا تبكون من حمله رسول الله (ص) على عاتقه من جانب وأخـوه الحسن من جانب . ثم قال : نعم المطي مطيهما ونعم الراكبان هما ، وأبوهما خير منهما ، وقد أخلفوا للسيوف جذراً ، وأمطروا عليهم السهام مطراً . منعوهم الفرات وهو طاف مباح وحرّموا عليـه وروده وهو لكل حيوان مباح ، حملوا بنات رسول الله على أقباب المطايا ، وساقوها سوق السبايا ، ثم يقولون نحن أمة محمـد ، أعوذ بالله من تشخص فيه الأبصار ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الأخيار .

لقد كان الامام الحسين بطلاً من أبطال التاريخ كتب بدمه المسفوك أسمى معاني التضحية والتفاني في سبيل الحرية والحق والعدالة ، وسيبقى اسمه مخلداً في سجلات التاريخ ، وفي قلوب المؤمنين المخلصين من أتباعه الذين لا يزالون على استعداد لبذل كل غال ورخيص في سبيل الرسالة الخالدة التي ضحى في سبيلها سيد شباب أهل الجنة .

ويعتبر الامام الحسين الامام الثالث بالنسبة للاثنى عشرية ، والثاني بالنسبة للاسماعيلية .

الامام

علي زين العابدين بن الحسين بن علي (ع)

هو ابو الحسن بن الحسين المعروف بزين العابدين ، ولد يوم الجمعة ١٦ جمادى الآخر سنة ٣٨ هجرية بالمدينة المنورة [1] أمه شهر بانو بنت كسرى يزدجرد واسمها (جهان شاه) نص عليه بالامامة إبان معارك كربلاء . حاول بعض الآثمين الموتورين القضاء عليه بعد استشهاد أبيه الامام الحسين في معركة كربلاء ، وهو يقاسي مرضاً شديداً ، ولكن أين لهم ذلك بعد أن أصبح صاحب السر الخفي (أيريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متمم نوره ولو كره الكافرون .)

وبعد انتهاء معركة كربلاء اقتيد أسيراً مغلولاً بالحديد مع النساء والصبيان إلى الكوفة حيث عرضوا جميعاً على ابن زياد . والنصوص التاريخية تتفق على إيراد هذه القصة . وفيها الدلالة على ما يتمتع هذا الامام من شجاعة وإقدام . سأله ابن زياد : ما اسمك ؟

---

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٧٥ – ٢٧٧ ابن الاثير ج ٤ ص ٣٨ الطبري ج ٢ ص ٢٦٧ ، ويقول صاحب الفلك الدوار ص ١١٨ ان ولادته كانت عام ٥٨ هجرية وهذا القول لم يأت على تأييده أي مؤرخ بالضبط انما قيل ان علي زين العابدين كان لا يتجاوز الناسعة حينما استشهد الحسين عام ٦١ هجرية ، فاذا أخذنا بهذا القول تكون ولادة زين العابدين عام ٥٢ هجرية . وهذا غير مؤكد ايضاً ، اذن فالارجح أنه ولد عام ٣٨ هجرية وكان عمره ٢٣ عاماً عندما استشهد ابوه الحسين .

قال : أنا علي بن الحسين .

قال ابن زياد : أو لم يقتل الله علي بن الحسين ؟

قال علي : كان لي أخ يسمى علياً قتله الناس .

فأعاد ابن زياد قوله : الله قتله .

فقال علي : الله يتوفى الأنفس حين موتها ، وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله . فأدهشت جرأته وشجاعته ابن زياد فأخذته عزة الإثم ، فصاح الخبيث اللعين بجنده (وكأنه لم يكتف بما فعل : أخرجوا بـه فاضربوا عنقه).

فقال علي : من يتوكل بهؤلاء النسوة إذا قتلتني ؟

وتعلقت به عمته زينب وهي تقول : اقتلنا معه إذا كنت تريد قتله . ولأمر يريده الله ارتد الخبيث مشدوهاً من تلك البطولة النادرة والتضحية الفذة ، وقال (دعوه لما به) لعل العلة ستقضي عليه ، وأمر فغل بغل الى عنقه وأرسل مع النسوة إلى يزيد ، قيل أنه لم يكلم أحداً طوال الطريق حتى وصلوا دمشق .

ولما علم يزيد بوصولهم دعا اشراف الشام فأجلسهم حوله ثم أدخل علياً ابن الحسين مغلولاً ففك الاغلال عن عنقه وقال له : (١)

يا علي ! ابوك الذي قطع رحمي وجهل حقي ونازعني سلطاني فصنع الله به ما رأيت . فقال علي : (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم والله لا يحب كل مختال فخور (٢)) . فقال يزيد لابنه خالد ، وكان هذا أكبر من علي سناً : أردد

---

(١) الارشاد ص ٢٢٨ الطبري جـ ٦ ص ٢٦٣ ابن الاثير جـ ٤ ص ٣٨ .

(٢) سورة الحديد الآية ٢٢ و ٢٣

عليه يا بني . فما عرف خالد ماذا يقول ، فسكت يزيد وابنه . وليس هذا بغريب على الامام زين العابدين وقد كان يحفظ القرآن ويحتج به مع صغر سنه ، وكان طلق اللسان حاضر البديهة مما أدهش الحضور .

طلب أحد الحضور أن يهبه يزيد سيدة من آل البيت (وهي فاطمة بنت الحسين) فقالت له زينب : (كذبت ولؤمت ما ذاك لك وله) .

وألح ثانية فقال له يزيد (أغرب وهب الله لك حتفاً قاضياً)

وطلب يزيد من علي أن يصعد المنبر فيخطب معتذراً إلى الناس عما كان من أبيه ، فصعد المنبر رابط الجأش ، رافع الرأس ، موفور الكرامة ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : ايها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فانا أعرفه بنفسي .

أنا علي بن الحسين ، أنا ابن البشير النذير ، انا ابن الداعي الى الله باذنه ، أنا ابن السراج المنير [١] الخ ..

ويظهر أن يزيد قد ندم على ما جنته يداه وأحب أن يكفر عما فاته فطلب من النعمان بن بشير (واليه على الكوفة سابقاً) أن يصحب أهل الحسين إلى المدينة وأن يحسن حالهم .

وعندما ودع يزيد الامام علي زين العابدين قال : (لعن الله ابن مرجانة أما والله لو أني صاحب أبيك ما سألني خصلة أبداً إلا أعطيته اياها ، ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي ، ولكن الله قضى ما رأيت يا بني ، كاتبني من المدينة واطلب كل حاجة تكون لك [٢]) ولكن ماذا ينفع الندم بعد تلك الجريمة النكراء التي

---

(١) وهي خطبة طويلة على قول أبي الفرج الاصفهاني في مقاتل الطالبيين ص ١٢١

(٢) الطبري ج ٦ ص ٢٦٧ ابو الشهداء ١٥٦

اقترفها ذلك الوغد اللئيم والشرير الفاجر . وقيل بأن يزيد كساهم وأوصى بهم النعمان فخرج بهم ومعه ثلاثون فارساً ، وساروا حتى دخلوا المدينة فاستقبلوا استقبالاً تفتتت لهوله الأكباد بالبكاء والعويل ، وخرجت النساء من أهل المدينة يولولن واحداهن ناثرة شعرها وهي تقول :

ماذا تقولون ان قال النبي لكم ماذا فعلتم وانتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم ان تخلفوني بسوء من ذوي رحمي

هذا وقد عول الامام زين العابدين على الاقامة في مكة لينشر دعوته سراً فيها ، فأوفد دعاته المخلصين إلى الأقطار والأمصار ، وكانت أكثر شيعته تقطن العراق وفارس .

وحاول الأمويون عبثاً أن يجبروا الناس على نسيان قصة استشهاد الحسين وتقديم الولاء ليزيد المغتصب ، فأخذوا إلى دمشق وفداً من أهل المدينة لم يلبث حتى عاد وهم أشد ما يكونون نقمة على يزيد ، متفقين على خلعه ، وقالوا : إنا قدمنا من عند رجل ليس له دين ، يشرب الخمر ويضرب بالطنابير ، ويعزف عنده الفتيان ، ويلعب بالكلاب ، ويسمر عنده الخراب . فاهتاج القوم وأخرجوا والي يزيد وأعلنوها على الامويين ثورة لا هوادة فيها ، كما انهم بايعوا الامام علي زين العابدين وخولوه أن يحكم في دمائهم وأموالهم ما شاء ، غير ان يزيد تمكن بما عرف عنه من مكر ودهاء من اقتحام المدينة والقضاء على الثورة .

لبث الامام زين العابدين طوال اقامته في مكة مراقباً من الولاة الامويين حتى أعلن موت يزيد في العاشر من صفر سنة ٦٤ هـ ودفن في

حوارين . ولقد مر أحد الشعراء على حوارين بعد موت يزيد فشاهد قبره فيها فقال :

أيهـــا القبر بحوارينا ضممت شر الناس أجمعينا

ويكفي لذكر مكانة الامام علي زين العابدين أن نذكر القصة التاريخية الآتية :.

لما حج هشام بن عبد الملك في حيـــاة أبيه وطاف بالبيت الحرام وحاول أن يلمس الحجر الأسود ، لم يستطع لكثرة الازدحام ، فبينما هو كذلك إذ أقبل الامام علي زين العابدين فطاف بالبيت حتى إذا ما وصل الى الحجر الاسود انشقت له الصفوف ومكنته من لمس الحجر الاسود ، فقال رجل من أهل الشام لهشام : من هذا الذي خافه الناس ؟ فخاف هشام أن يذكر اسمه فقال لا أعرفه . وكان الشاعر الاسماعيلي الكبير الفرزدق حاضراً فقال : أنا أعرفه ، وأنشد قصيدته المشهورة :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عبـاد الله كلهم هـــذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله بجده انبياء الله قـــد ختموا
وليس قولك من هذا ؟ بضائره العرب تعرف من أنكرت والعجم
كلتا يديــــه غياث عم نفعهما يستوكفان ولا يعروهما عـــدم
سهل الخليقـــة لا تخشى بوادره يزينه اثنان حسن الخلق والشيم
حمـــال أثقال أقوام إذا فدحوا حلو الشمائل تحلو عنـــده نعم
ما قال لا قط إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعم
عم البريـــة بالاحسان فانقشعت عنها الغياهب والاملاق والقدم

إذا رأته قريش قــال قائلها ... إلى مكارم هــذا ينتهي الكرم
يغضي حياء ويغضي من مهابته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
الله شرفه قدمــاً وعظمه ... جرى بذاك له في لوحة القلم
مشتقه من رسول الله نصبته ... طابت مغارسه والخــيم والشيم
من معشر حبهم دين وبغضهم ... كفر وقربهم منجــا ومعتصم
مقدم بعــد ذكر الله ذكرهم ... في كل بدء ومختوم به الكلم
إن عــد أهل التقى كانوا أئمتهم ... أو قيل من خير أهل الارض قيل هم

لما سمع هشام هــذه القصيدة العصماء غضب غضباً شديداً وصغر في عيون الجمع ان يحبس الشاعر بين مكة والمدينة .

قال ابن سعد في الطبقات : كان الامام علي زين العابدين ثقة كثير الحديث عالياً رفيعاً ورعاً . وقال يحيى بن سعيد : ان الامام زين العابدين أفضل هاشمي رأيته في المدينة . وقال الخضري [١] : كان الامام علي زين العابدين أفقه الفقهاء ، صالحــاً عابداً ، وقد وصف بخير الساجدين وسيد العابدين .

نساؤه وبنيه :

تزوج فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن علي ، فولد حسناً وحسيناً لا عقب لهما وأبا جعفر محمد الباقر ، وعبدالله ، ومن أم ولد [٢] زيد وعمر وعليا وخديجة ومحمد الأوسط ، وعبد الرحمن وسليمان والقاسم وحسيناً الأصغر ، وعددهم ثلاثة عشر ، أعقب منهم ستة والباقين لا عقب لهم .

---

(١) كتاب الخضري ص ١٥٤

(٢) جارية اشتراها المختار بن أبي عبيدة بثلاثين الفا فأهداها للامام علي (مقاتل الطالبيين ص ١٢٧)

انتقل الامام زين العابدين مسموماً بايعاز من الخليفة الاموي عبدالملك ابن مروان بعد نص على امامة ولده محمد الباقر ودفن في روضة البقيع في قبر عمه الحسن بن علي سنة ٩٢ هجرية [١] وقيل سنة ٩٥ هجرية [٢] والأرجح سنة ٩٤ هجرية وكان عمره ستة وخمسون عاماً .

اشتهر بالزهد والعبادة والورع والتقوى ، ولم يكن يوجد من يماثله في هذه الصفات ، ولذلك لقب بزين العابدين . وهو الامام الرابع بالنسبة للاثنى عشرية والثالث من وجهة النظر الاسماعيلية .

---

(١) ابن خلكان جـ ١ ص ٢٧٥ — ٢٧٧ .
(٢) الارشاد ص ٢٢٨ .

الامام

محمد البـــــاقر (ع)

ولد ابو جعفر محمد بن علي زين العابدين المعروف بالباقر يوم الثلاثاء الثالث من صفر سنة ٥٧ هجرية [١] في المدينة المنورة وامه ام عبد الله فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن علي بن ابي طالب .

كان عالماً كبيراً وفقيهاً مرموقاً وحجة يأتيه الناس افواجاً ووحداناً لينهلوا من نبعه الغزير الفياض بمختلف العلوم والمعارف .

يحكى ان رجلاً سأله يوماً سؤالاً فيه شيء من الطرافة :

هل ورث النبي علم جميع الأنبياء ؟

قال الامام الباقر : نعم .

فقال : هل ورثتها أنت ؟

قال : نعم .

قال وهل تستطيع ان تحيي الميت وتبرىء الأعمى ؟

---

(١) الى صاحب الفلك الدوار على ذكر الامام محمد الباقر ص « ١٢٠ » فقال : ولد الامام محمد الباقر سنة ٧٧ هـ ورزق ولداً وهو « جعفر الصادق » سنة ٨٣ هـ ولا ادري كيف ارتكب الشيخ عبد الله هذا الخطأ الظاهر دون أن يعلم بانه من المستحيل ان يتزوج الباقر ويأتيه طفل وهو لا يزال في السادسة من عمره وهذا مستحيل فالارجح والاصح ان الباقر ولد سنة ٥٧ هـ . واتاه ولد سنة ٨٣ هجرية ولعل هذا ناتج عن تصحيف من الناقل.

قال : نعم بإذن الله تعالى ومسح بيده على عين رجل فعمي ثم أعاد له بصره .

وكان الامام محمد الباقر يبحث شتى العلوم ويعرف الغيب وتنسب له احدى وثلاثون معجزة ، منها :

يحكى ان رجلاً جاءه يوماً وهو شديد الحاجة ، وان اباه دفن مالاً واخفاه عنه ومات دون ان يعلم به أحد .

فكتب له الامام كتاباً سلمه اياه وقال له اذهب بهذا الكتاب الليلة الى البقيع حتى تتوسطه ثم ناد (يادرجان) فيأتيك رجل فاسأله عما بدا لك وقل له انا رسول الامام محمد الباقر ، فعل الرجل ما أمر بـه وطلب اباه فجيء به وقد غيره اللهب ودخان الجحيم فاعترف الوالد بذنبه واخبره بمكان المال وأمر ان يدفع للامام محمد الباقر خمس ذلك المال ، وقدره خمسين ألف دينـار .

وروي ان الامام الباقر جاء وادي فيروز فأمر ان تنصب له خيمة وعمـد الى نخلة يابسة هناك فدعا الله ثم تمتم بكلمات لم يسمعها أحد وقال ايتها النخلة أطعمينا مما جعل الله فيك فاثمرت النخلة من ساعتها وسقط عليه الرطب فأكل واكل معه ابو أمية الانصاري ، فقال له الامام يأبا أمية هذه معجزة مريم فقد هزت جذع النخلة فتساقطت عليهـا رطباً جنيا (وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا) .

وكان الامام الباقر محباً للسلام وقد اتى ابن سعد على كثير من اقواله التي تدل على ذلك ، ومن اقوالـه المشهورة (لا تنازعوا فـيما بينكم فانه ينزع الايمان بالقرآن) .

لقب بالباقر لتبقره بالعلم وتعمقه فيه [١] ينسب إليه الفقه الجعفري وهو المرجع الوحيد لأحكام الشيعة .

ان أكثر العلمـاء مختلفين في تاريخ وفاته ، فاليعقوبي يقول أنه توفي سنة ١١٧ هجرية ، والمسعودي يقول انه عاش حتى سنة ١٢٥ هـ . إلى ٢٦ هجرية [٢] . وبالرغم من هذا الاختلاف فالاكثرية يحددون تاريخ وفاته في سنة ١٤ هـ . في الحميه ، وقد نقل جثمانه إلى المدينة المنورة ودفن في روضة البقيع ، وقيل أنه أوصى أن يدفن بملابسه التي كان يصلي بها .

نساؤه وبنيه :

تزوج أم فروة بنت القاسم بن محمد فكان منها جعفر الصادق(أعقب) وعبدالله وابراهيم وعبيد الله (لا عقب لهم) .

وقد عهد بالامامة من بعده لولده الاكبر الامام جعفر الصادق ، وكان ذلك قبل وفاته بمدة وجيزة حسب الأصول والشروط المتبعة في المذهب الاسماعيلي .

ذكر أنه ترك عدة مؤلفات منها : [٣]

١ – كتاب صفة الجنة والنار .

٢ – كتاب رسالة الى جابر الجعفي .

٣ – كتاب الكشف الكبير .

---

(١) وفيات الأعيان (جـ ٢ ص ٢٢١) .

(٢) جاء في هامش كتاب اتعاظ الحنفا ص (١٤) ان الاقوال مختلفة في سنة وفاة الامام الباقر فهي سنة ١١٣ أو ١١٤ أو ١١٧ أو ١١٨

(٣) المرشد الى الأدب الاسماعيلي : ايفانوف ص ٢٩ .

وباعتقادي ان هذه الكتب فقدت كثيرها من التراث الاسلامي الثمين نتيجة لموجات الفتوحات التي تعرضت لهـــا البلاد الاسلامية في مختلف العصور . يعتبر الامام الخامس بالنسبة للشجرة الامامية الاثني عشرية ، والرابع بالنسبة للاسماعيلية .

الامام

جعفر الصادق (ع)

ولد ابو عبد الله جعفر بن محمد البــاقر المعروف (بالصادق[1]) في السابع عشر من ربيع الاول سنة ٨٣ هجرية[2] في المدينة المنورة امه فروة بنت القاسم بن محمد[3] كان كثير الاحترام لأمه ، عاش بعيــداً عن غمار السياسة ومتاعبها ما جعله بعيداً عن اضطهادات الامويين والعباسيين ، ويذكر المسعودي ان أبا سلمه احد دعاة العباسيين في خراسان قد خاف انتقاض الامر اثر قتــل مروان الثاني لابراهيم فقرر الرجوع الى آل ابي طالب وبعث بكتاب الى الامام جعفر الصادق يطلب منه الشخوص اليه ليصرف الدعوة له ، فلما وصل الرسول ليلا سلم الكتاب للامام جعفر الصادق فطلب ان يأتوه بسراج ثم اخــذ كتاب ابي سلمة فوضعه على السراج حتى احترق وقال للرسول (خبر صاحبك بما رأيت) ثم قال :

ايا موقداً ناراً لغيرك ضوؤها ويا حاطباً في غير حبلك تحطب

---

(١) لقب بالصادق لصدقه ابن خلكان جـ ١ ص ١٨٥ .

(٢) اصول الكافي للكليني ص (١٩٣) .

(٣) مروج الذهب للمسعودي جـ ٤ ص ١٨٢ .

وكان الامام جعفر الصادق عالماً في الدين والفلسفة والفقه والكيماء ؛ ومن تلامذته المشهورين (جابر بن حيان) .

ويحدثنا الشهرستاني ان الامـام جعفر الصادق كان ذا علم غزير في اصول الدين[1] وأدب كامل في الحكمة وزهد بالغ في الدنيا . وورع تام عن الشهوات وقد اقام بالمدينة مدة يفيد شيعته المنتمين اليه ، ويفيض على الموالين له اسرار العلوم ، ثم دخل العراق واقام بهـا مدة ، فما تعرض للخلافة قط ولا نازع احداً عليهـا وعلق على قوله (من غرق في بحر المعرفة لا يطمع في شط ، ومن تعلى الى ذروة الحقيقة لا يخف من حط) .

وجعل الامام جعفر الصادق مركزه العلمي في المدينة ومكة ووضع جفراً اسماه جفر جعفر أو (الجفر الاحمر) ثم امر أبا موسى جـابر ابن حيان الصوفي ان يدون ذلك الجفر ويعلّمه لمن يشاء من شيعته الاسماعيلية .

وبالرغم من ان الامام جعفر الصادق ابتعد عن السياسة فانه لم يعش بسلام مستمر ، يحكى ان الخليفة المنصور[2] قد وجه الى والي المدينة امراً ليحرق على الامام داره ، فأخـذت النار في الباب والدهليز فخرج الامام يتخطى النار ويمشي فيها ويقول انا بن اعراق الثرى أنا بن ابراهيم خليل الله[3] .

وكثير من احاديث الامامة تروى عن الامام جعفر الصادق واهمها ما رواه عن الامام علي بن ابي طالب في كيفية خلق العالم وكيف تمانتقال النور من آدم إلى محمد .

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ص ١٢٥ .
(٢) اصول الكافي للكليني ص ١٩٤ .
(٣) يذكر القرآن الكريم سورة الانبياء الآية (٦٩) كيف نجا ابراهيم الخليل من النار .

قـال : ثم انتقل النور الى غرائزنا ، ولمع في أئمتنا فنحن انوار السماء وانوار الأرض فينا النجاة ومنا مكنون العلم والينا مصير الامور . الخ..

والخلاصة كان الامام جعفر الصادق من اعظم الشخصيات الاسلامية في عصره وبعد عصره، وبالرغم من ان شخصيته العلمية لا تزال غامضة اشد الغموض تحتاج الى من يكشف كنهها ، لا لأهميتها في تاريخ الفكر الاسلامي فحسب ، بل لان تاريخ العلوم والمعارف يتطلب منا ان نكشف القناع عن حقيقة اعظم شخصية علمية اوجدت مدرسة خاصة في الاسلام كان لهـا تأثير متباين في التيارات الفكرية والاسلامية المختلفة ، وقد تخرج من تلك المدرسة فرق عديدة (المعتزلة والصوفية والحركات الباطنية) هذا عدا عن مناهج العلوم الكونية المستمدة في توجيهها من الروح الاسلامية والفلسفة اليونانية .

وما دام يكتنف مثل هذه الشخصية العظيمة الظلام فستظل كثير من الحقائق في طي الخفاء لأن التعصب الذميم طمس تلك الحقـائق الناصعة ووضع امامنا سداً دون تفهم حقيقة تلك الاساسات العميقة في بنـاء الحضارة الاسلامية .

واذا ما افتخرت المدنية الغربية بالثقافة الانسانية للأوائـل ، فليس علينا نحن الا ان نفتخر ايضاً بالنزعة الانسانية التي اوجدهـا (التيار الاسلامي) الذي تغذى من الاسماعيلية ووضع أسسه الامام جعفر الصادق وصاحب اول نداء انبعث من الاعماق لاجله بل الصرخة الداوية لايقاظ رسالة الانسان الكاملة في معانيها الرقيقة ومطاليبها السامية ، ولقد جعل الانسان محور القيم ومفسر معالم الكون من الوجهة الانسانية .

وعن الامام جعفر الصادق قوله :

انا من نور الله ، نطقت على لسان عيسى بن مريم في المهـد فآدم وشيث ونوح وسام وابراهيم واسماعيل وموسى ويوشع وعيسى وشمعون

ومحمد كلنا واحد من رآنا فقد رآهم ، نحن ابواب الله وحججه وامناؤه على خلقه وخلفاؤه وأئمة دينه ، ووجه الله وجبينه ، وامر وصراطـه ، بنا يعذب وبنا يثيب .. انا أحيي وأميت وأخلق وأرزق وابري الأكمه والابرص وانبئكم بما تأكلون وتدخرون في بيوتكم باذن ربي ، وكذلك الأئمة المحقون من ولدي لانا كلنا شيء واحد يظهر في كل مكان ، ولقد اعطانا الله ما هو أعلى وأجل ، اعطانا الاسم الاعظم الذي لو شئنا لوجهنا السماء واطاعتنا الشمس والقمر والنجوم والدواب ومع هــذا فانا نأكل ونشرب ونمشي في الاسواق ونعمل ما نشاء بأمر الله ربنا عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون [1] .

نساؤه وبنيه :

تزوج الامام جعفر الصادق فاطمة ابنة الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب فكان منها اسماعيل (أعقب) وعبدالله (لا عقب له) وكان من زوجته الثانية ام ولد [2] محمد واسحق وموسى وعلي والعباس .

عهد لابنه اسماعيل بالامــامة على مسمع من خواص شيعته حسب شروط الوصاية واحكامها فساق الاسماعيليون الامامة في اسماعيل والامام جعفر حياً .

واتفق المؤرخون بان الامام الصادق انتقل الى جوار ربـه في العاشر من شوال سنة ١٤٨ هجرية وقيل ان الخليفة المنصور قد قـدم له عنباً مسموماً ، ودفن جسده الطاهر في البقيع بالمدينة الى جانب ابيه وجده

(١) كتاب بيت الدعوة الاسماعيلية ص ٧٠ نسخة خطية بمكتبتي الخاصة .
(٢) اتعاظ الحنفا للمقريزي ص ١٥ .

وعلى قبورهم منذ قرون رخامة كتب عليها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مبيد الامم ومحيي الامم ، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله (ص) سيدة نساء العالمين وقبر الحسن بن علي بن ابي طالب وعلي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ومحمد بن علي وجعفر بن محمد رضي الله عنهم .

وذكر ايفانوف [1] ان للامام الصادق عدة مؤلفات منها :

١ – الجفر الأحمر .

٢ – مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة .

٣ – بحار الأنوار

(١) المرشد الى الأدب الاسماعيلي ص ٢٩ .

الامام

اسماعيل بن جعفر الصادق (ع)

ولد الامام اسماعيل بن الامام جعفر الصادق سنة ١١٠ هجرية في المدينة المنورة ، والدته هي فاطمة ابنة الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

هو الابن الأكبر للامام جعفر الصادق وأحبهم إليه وصاحب النص الامامي والقائم فيه في حياة أبيه عندما كان له من العمر خمس وثلاثون سنة [١] .

بعد وفاة الامام جعفر الصادق في عام ١٤٨ هجرية حدث انشقاق كبير في شيعته فانقسمت إلى فريقين : فريق نادى بأفضلية اسماعيل لمركز الامامة وفريق اعتبر موسى الكاظم الابن الأصغر للأمام جعفر الصادق اماماً وأبناءه من بعده حتى الامام محمد بن الحسن العسكري الذي يطلقون عليه لقب (المهدي المنتظر) وهم ينتظرون عودته بعد ان اختفى بسرداب في مدينة (سامراء) سنة ٢٦٠ هجرية وتعرف هذه الفرقة بالاثني عشرية . والشيعة في ايران والعراق وسورية ولبنان يدينون بامامة الائمة الاثني عشر الذين دخل آخرهم كهف الاستتار سنة ٢٦٠ هجرية وقيل

---

(١) واليه ينتسب الاسماعيليون، وتغلب عليهم اسمه .

٢٦٦ هجرية .

أما الفرقة الثانية فقد ساقوا الامامة في اسماعيل الذي نص على امامته في حياة أبيه فأصبحت الامامة في عقبه ، وتعرف هذه الفرقة بالاسماعيلية أو (الباطنية) أو (التعليمية) أو الفرقة (الهادية) :

وتدور حول هذا الانشقاق قصص وأحاديث كثيرة لا بد لنا من الاتيان على ذكر بعضها يقول المقريزي : ان اسماعيل هو الابن الاكبر للامام جعفر الصادق وهو الذي نص عليه بالامامة في حياة أبيه ، غير أن اسماعيل توفي سنة ١٣٨ هجرية والامام جعفر الصادق والده لا يزال على قيد الحياة . وخلف من الاولاد محمداً وعلياً وفاطمة وانتقلت الامامة في عقبه لأن النص لا يرجع القهقرى .

وقال ابن خلدون :

توفي اسماعيل في حياة أبيه بالعريض في المدينة المنورة ودفن بالبقيع في سنة ١٤٥ هجرية ، وقد سبب موته قبل وفاة أبيه اضطراباً كبيراً عند الشيعة أجمعين مما أدى إلى تضارب الآراء فيما يتعلق بطبيعة الامامة ، وبسبب هذا الخلاف حدث انقسام كبير بين الشيعة ، فنشأت فرق وطوائف متعددة .

وقال الشهرستاني [١] :

ان الامام اسماعيل هو الابن الاكبر للامام جعفر الصادق وهو الذي نص عليه في بدء الامر ، ولقد حدث الاختلاف على موته ، منهم من قال انه مات في حياة أبيه ، وفائدة النص عليه ان انتقلت الامامة في عقبه لأن النص لا يرجع القهقرى ، والقول بالبدء محال اذ لا ينص الامام

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ص ١١٠ .

على واحد من ولده إلا بعد السماع من آبائه ، والتعين لا يجــوز على الابهام والجماعة .

ومنهم من قال ان اسماعيل لم يمت لكن اظهر موته تقية عليه حتى لا يقصد بالقتل من قبل العباسيين ولهذا القول دلالات منها :

ان محمد بن جعفر الصادق أخو اسماعيل وكان صغيراً ، مضى الى السرير الذي كان اسماعيل مسجى عليه ورفع الملاءة فابصره وقد فتح عينيه ، فعاد محمد مسرعاً فزعاً الى ابيه وقال : أخي اسماعيل عاش ، عاش أخي. فقال والده جعفر الصادق : ان اولاد الرسول كذا يكون حالهم في الآخرة يابني !

وقال البعض :

إذن ما السبب في الاشهاد على موته وكتب المحضر عليه ، ولم يعهد قط أن سجل محضر على موت ميت .

وقيل ان الامام اسماعيل شوهد بالبصرة وقد مرّ على مُقعدٍ فدعا له فبرىء باذن الله ولما بلغ الأمر (المنصور) الخليفة العباسي أرسل الى الامام جعفر الصادق يخبره ان اسماعيل لا يزال على قيــد الحياة وانه شوهد بالبصرة .

فانفذ الامام الصادق (سجل الوفاة) الى المنصور وعليه شهادة عامله التي تؤكد وفاة الامام اسماعيل .

ويقول عبد الله المرتضى في الفلك الدوار [١]:

إن الامام اسماعيل ما لبث بعد النص عليه بالامامة سوى زمن وجيز

---

(١) الفلك الدوار ص ١٢٥ .

حتى توفي فترك زوجة حاملا بـ (محمد الحبيب) ولقد القي على هذا الامام وهو لا يزال (في بطن أمه) سر الامامة ، وبعد وفاة اسماعيل اتى اخوه موسى الى ابيه الأمام جعفر قائلا : قلدني الامامة بعد أخي فأجابه : (اكظم يا موسى) .. الخ .

أما الداعي ادريس فيقول [١] :

إن موسى الكاظم لم يجعله الصادق إماماً الا ستراً على ولي الامر (محمد بن اسماعيل) ليكتم امره على الأضداد ، ولئلا يطلع ما خص به اهل العداوة والعناد ، حتى يستطيع الامام المستقر الحقيقي وهو الامام محمد بن اسماعيل النهوض باعباء الدعوة الاسماعيلية سراً .

وقيل ان الامام اسماعيل قد اوصى قبل موته أباه بتميين وصياً على (محمد بن اسماعيل) ليكون ستراً عليه [٢] الذي هو (ميمون) الستر عليه وكفيله وكان هذا مصداقاً لقوله تعالى :

(وجعلها كلمة باقية في عقبه)

وقبل أن نعطي رأينا في الموضوع لا بد لنا من الاتيان على بعض ما كتبه المستشرق البريطاني برنارد لويس حول هذا الموضوع [٣] .

يؤكد برنارد لويس بأن الحركات الثورية في الربع الثاني من القرن الثاني الهجري هي التي أوجدت الاسماعيلية وأن أول من نظمها هو أبو الخطاب بالاشتراك مع اسماعيل بن الامام جعفر الصادق .

ولما توفي اسماعيل وابو الخطاب تحول اتباعهم الى محمد بن اسماعيل

---

(١) زهر المعاني ص ٤٧ - ٤٩
(٢) اسرار النطقاء ص ١٥ لنسخة خطية في مكتبتي الخاصة .
(٣) اصول الاسماعيلية ص (١٠٦ - ١٠٤ - ٩٩ - ١٢٨) .

وبعد ان ناقش الخلاف حول وفاة الامام اسماعيل وانشقاق الشيعة قال : على الارجح ان جعفر الصادق كان قد خلع ابنه اسماعيل كونــه كأنه كان على صلة مع ابي الخطاب وثار على سلطة ابيه الامام الصادق وينهي حديثه قائلاً ان المذهب الاسماعيلي اوجدته ذرية ابي الخطاب .

ونحن إذ نستغرب ان يأتي مستشرق مشهور مثل برنارد لويس ليطلع علينا بآراء خاطئة تدل على قصر باعه في الابحاث الاسماعيلية ، نقول بان جميع المخطوطات التي بين أيدينا تنفي أن تكون للاسماعيلية أي علاقة بالخطابية لأن جميع المصادر الاسماعيلية وأغلب المصادر السنية والشيعية تعترف بعــدم وجود تلك العلاقة ، كما وان الاسماعيليين أنفسهم يعدون الفرقة الخطابية من الفرق المارقة المغالية .

هذا ولا يخفى على حضرة المستشرق الكبير بأن الامام جعفر الصادق كان قد شهر بابي الخطاب وتبرأ منه أمام الناس قائلاً : (ان أبا الخطاب زنديق مارق يرأس عصبة من الزنادقة المارقين) . ولا أدري بعد هذا القول كيف يقدم مثل الامام اسماعيل وهو ولي عهد الامام جعفر الصادق على مخالفة أوامر والده الامام فيشترك مع أبي الخطاب الذي قال عنه والده أنه (زنديق مارق) . وهذا أمر مستحيل لا يمكن أن يأتيه ولي عهد الامام ، وهو ينحدر من بيت عرف لدى الجميع بالصدق والشرف والكرامة والاباء والطاعة العمياء للوالدين ، عدا ان المنحدرين من هذا البيت يتمتعون بالعصمة .

هذا مع العلم بأن نزع الامامة من المنصوص عليه أمراً مستحيلاً لا يكون قطعاً مهما كانت الأسباب ، ويؤيد هذا القول ما قاله الامام جعفر نفسه (لو جاءكم أحد بدماغ ابني هذا (أي اسماعيل) لا تشكوا انه

الامام بعدي) . وقال أيضاً : (هذا هو الامام بعدي لما أخذتموه عنه فهو عني) .

ولا أدري ايضاً من أين علم برنارد لويس بأن فكرة التبني الروحي موجودة لدى الاسماعيلية في سورية وان مقالة (كويارد Guard) ص ٢١٠ تؤيد هذا القول بدعوى أن كويارد نفسه قد حضر عرضاً طويلاً للتبني الروحي جرى أمامه في مصياف .

ونحن يؤسفنا ان نقول للمستشرق برنارد لويس بأن قوله وقول زميله كويارد لا أساس لهما من الصحة مؤكدين بأن كويارد لم يحضر قط أي عرض للتبني الروحي في مصياف لأن الاسماعيلية لم يعتادوا أن يقيموا أي نوع من هذا العرض حتى ولا سمعوا به قطعاً ، بل كل ما هنالك أن مخيلة كويارد وزميله قد أملت عليهما ذلك القول .

وكان الأجدر بأن لا يقف برنارد لويس هذا الموقف غير المشرف من اسماعيل طالما انه يعترف بأن معلوماته عنه ضعيفة وليست ذات قيمة .

ورأينا الأخير في هذا الموضوع بعد ان اطلعنا على جميع ما كتب حول امامة اسماعيل نقول بأن الامام جعفر الصادق قد شعر بالأخطار التي تهدد حياة ابنه الامام اسماعيل بعد ان نص عليه وأصبح ولياً للعهد فأمره ان يستتر وكان ذلك عام ١٤٥ هـ[1] . خشية نقمة الخلفاء العباسيين وتدبر الأمر بأن كتب محضراً بوفاته وشهد عليه عامل المنصور الذي كان بدوره من الاسماعيليين .

وفوراً توجه اسماعيل إلى سلمية ومنها إلى دمشق . وعلم المنصور

---

(١) يؤكد دستور المنجمين انه استتر سنة ١٤٥ هجرية .

بذلك فكتب إلى عامله ان يلقي القبض على الامام اسماعيل ، ولكن عامله المذكور كان قد اعتنق المذهب الاسماعيلي فعرض الكتاب على الامام اسماعيل الذي ترك البلاد نحو العراق حيث شوهد بالبصرة عام ١٥١ هـ[١] وقد مر على مقعد فشفاه باذن الله . ولبث الامام اسماعيل عدة سنوات يتنقل سراً بين أتباعه حتى توفي بالبصرة عام ١٥٨ هـ وقد رزق من الاولاد محمد وعلي وفاطمة .

ونص على امامة ولده الاكبر محمد بحضور نخبة من الدعاة المخلصين .

وخلاصة القول سواء توفي اسماعيل بعد ابيه او قبل أبيه فان الامامة باقية في عقبه بعد أن نص على امامته .

ويؤكد كتاب دستور المنجمين[٢] ان اسماعيل هو أول امام مستور ، وكان بدء ستره سنة ١٤٥ هجرية ولم يمت الا بعد سبع سنين .

(١) اسرار النطقاء ص ١٧ نسخة خطية في مكتبتي الخاصة
(٢) بلوشيه ٥٧ ـ ٥٨ دي خويه ٢٠٣ .

الامام

محمد بن اسماعيل (ع)

ولد الامام محمد بن اسماعيل الملقب (بالحبيب) سنة ١٣٢ ﻫ في المدينة المنورة وأصبح اماماً بعد النص عليه .

وكان ذلك عقب وفاة ابيه عام ١٥٨ ﻫ ، وكان له من العمر ستة وعشرون عاماً عندما تسلم شؤون الامامة فاستتر عن الانظار خشيـــة بطش الخليفة العباسي الذي كان يتتبع خطاه ويقتفي أثره للقبض عليه ، فكان الامام يتنقل سراً في البلاد التي يقطنها اتباعه الاسماعيلية [١] .

انتشرت بعهده الدعوة الاسماعيلية انتشاراً عظيما على ايدي دعـــاة افذاذ اشتهروا بقدرتهم العلمية وحججهم المنطقية القوية ، وبراعتهم التامة في الفقه والعلم والاحكام فقويت شوكة الاسماعيلية بعهدهم وهابتهم الملوك والامراء . مما جعل الخليفة العباسي ينقم عليهم فيكتب لجميع عمـــاله في الاقطار التي يحكمها طالباً اليهم التفتيش عن الامام الاسماعيلي محمـــد بن اسماعيل المستور والقاء القبض عليه وعلى كل من يناصره ويؤيد دعوته .

---

(١) وقد لقب بالامام المكتوم لانه لم يعلن دعوته واخذ في بثها خفية .

علـــم الامام محمد الحبيب بالأمر (قيل علم ذلك عن طريق زوجة الخليفة الرشيد التي كانت تعتنق المذهب الاسماعيلي سراً [١]) فارتحل مع دعاته الى بلاد الري حيث كان الحاكم اسحاق بن عباس الفارسي الذي رحب بقدمه باعتباره من الاسماعيليين العريقين .

وبالحقيقة فقد ساعد هذا الحاكم الامام على نشر دعوته في تلك البلاد ، فعلم الرشيد بذلك وامر باحضار الحاكم المذكور فجلد بين يديه حتى مات .

بعد هذا الحادث قرر الامام ان يذهب الى (نهاوند) حيث استقر به المقام هناك فتزوج من ابنة امير تلك المقاطعة (ابو منصور بن جوش) ورزق منها أربعة أطفال .

ووردت الاخبار الى الخليفة العباسي بأن الامام محمد بن اسماعيل قد استقر في (نهاوند) واخذت دعوته تنتشر بسرعة في تلك المقاطعة ، فارسل الى نهاوند حملة عسكرية كبيرة لالقاء القبض عليه والقضاء على دعوته قبل انتشارها ، ولكن الاسماعيليين علموا بتلك الحمـلة فاحاطوا بها وردوها على اعقابها مدحورة .

بعد تلك المعركة قرر الامام ان يترك نهاوند الى (دماوند) حيث عمل دعاته على نشر الدعوة فيها وبنى مدينة (محمود آباد) التي ما تزال باقية حتى الأن وتعرف بهذا الاسم وتؤكد المخطوطات الاسماعيلية التي بين ايدينا [٢] بأن محمد الحبيب قد غادر (دومـــاوند) متخفياً نحو

(١) من المؤكد ان زبيدة كانت لها ميول اسماعيلية ليس كما يزعم بعض المؤرخين بانها هي التي دبرت مؤامرة قتل البرامكة الاسماعيليين .

(٢) كتاب الهدى والبيان في معرفة امام الزمان ص « ٢٥ » نسخة خطية بمكتبة احد الدعاة في سوريا

مدينة تدمر في سوريا وكان ذلك سنة ١٩١ هجرية فاتخذهـــا مقراً له وكان يؤمهـــا الاسماعيليون من العراق وبــلاد فارس وسوريا [١] ومن تدمر أوفـــد الامام الى المغرب الداعيين المشهورين الحـــلواني وابو سفيان وقال لهما انكما ستدخلان ارضاً بوراً لم تحرث قط فاحرثاها وكرماها وذللاها حتى يأتي صاحب البذر فيضع حبة ، فنزل ابو سفيان بمدينة كتامة وقيل مدينة (مرماجنه [٢]) ونزل الحلواني بموقع يسمى (سوق حماد) فمالت إليها قلوب اهل تلك البلاد وحملوا إليهما التحف والأموال .

نص الامام محمد الحبيب على امامة ولده الأكبر احمد الوفي ، وتوفي سنة ١٩٣ هجرية ودفن على رأس رابية تقع في الشمال الشرقي من مدينة تدمر ولا يزال ضريحه فيها حتى الآن ويعرف بضريح (مولاي محمد بن علي).

تعليقات :

تدور حول امامة محمد بن اسماعيل قصص وحكايات وأقاويل تناقض بعضها البعض ، لذلك رأينا أن نستعرض كل ما قيل حول محمـــد بن اسماعيل ، ومن ثم نناقش الأقوال والآراء ونعطي رأينا بهـذا الموضوع الشائك .

مما لا جدال فيه أن جميع المصادر متفقة على أن محمد بن اسماعيل استطاع أن يخرج سراً من المدينة ويتوغل في شرق المملكة الاسلامية ولكن البعض يقول انه قصد فرغانة واستقرّ بها [٣] . بينما يرى البعض

---

(١) يذكر صاحب الفلك الدوار ص (١٣١) ان الامام قد غادر العراق سنة ١٩٣هجرية
(٢) ابن الاثير ج ٨ ص ١١٠ .
(٣) اسرار النطقاء لجعفر بن منصور : ص ٦٠ .

الآخر انه استقرّ في نيسابور(١) حيث تزوج هناك وانجب ابنه عبد الله الرضي الذي عهد اليه بالامامة من بعده . ويقول غيرهم : ان محمد بن اسماعيل توجه من المدينة الى العراق ، ومنهـــا الى دوماوند ، حيث استقر بقرية تدعى (سملا) أطلق عليها فيا بعـــد (محمد أباد) نسبة اليه . وان خروجه لم يكن خوفاً من العباسيين بل كان لنشر الدعوة وانفاذ أبنائه ودعاته الى كافة انحاء العالم الاسلامي .

ونحن وان كنا نتفق مع هؤلاء في بعض ما قالوه الا اننا نخالفهم في هذه الرواية لأن المصادر الاسماعيلية السورية التي بين أيدينـا تذكر ان الامام محمد بن اسماعيل عندما كان يقيم في المدينة وينشر الدعوة منها الى جميع البلدان الاسلامية ، شعر الرشيد بما يقوم به ، فكتب كتاباً مستعجلاً وزعه على عماله في جميع البلدان يطلب منهم فيه القاء القبض فوراً على محمد بن اسماعيل الذي تروج الدعوة باسمه وعلى حججه وحدوده ودعاته أينما وجدوا ، وبطريق الصدفة رأت زوجة الخليفة السيدة زبيدة الكتاب المذكور ، وباعتبار انها كانت تميل الى الاسماعيلية فقد شق عليها أن يلقى القبض على الامام محمد بن اسماعيل فأرسلت اليه صورة عن الكتاب المذكور مع أحد الاشخاص ، فلما اطلع الامام محمد بن اسماعيل على الكتاب وعرف نوايا الخليفة تجاهه ، غادر المدينة سراً مع حجته ميمون القـداح وبعض الدعاة الى الري حيث رحب بهم حاكمها اسحق بن عباس الفارسي باعتباره من الاسماعيلية ، وقدم للامام كل المساعدات التي مكنته من الوصول الى نهاوند حيث استقر به المقام هناك ، وتزوج من ابنة امير تلك المقاطعة (أبي منصور بن جوش) ورزق منها أربعة أولاد ، هم : عبد الله ، محمد ، أحمد ، الحسين .

ولما بلغ الرشيد ما فعله اسحق بن عباس الفارسي أمر باحضاره ، فجلد بين يديه حتى مات .

---

(١) زهر المعاني للداعي ادريس عماد الدين ص ٥٤ .

ومن جهة ثانية سير العساكر الى نهاوند لالقاء القبض على الامام محمد بن اسماعيل الذي أخذ ينشر دعوته بسرعة ، ولكن اتباع الامام محمد احاطوا بعساكر الرشيد وردوها على أعقابها . وخشية أن يرسل حملات اخرى قرر الامام محمد أن يغادر نهاوند فتوجه الى (دوماوند) حيث جعل مقره في قرية سملا التي عرفت فيما بعد ب (محمد أباد) نسبة اليه .

وتقول المصادر الاسماعيلية السورية أيضاً أن الامام غادر محمد أباد سراً الى مدينة تدمر في سورية وكان ذلك سنة ١٩١ هجرية فاتخذها مقراً له وكان الاسماعيليون يأتونها من العراق وفارس .

ويعتبر الامام محمد بن اسماعيل أول الأئمة المستورين ، والناطق السابع ومتم الدور ، لأن امامته كانت بداية دور جديد في تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، فقام بنسخ الشريعة التي سبقته ، وبذلك جمع بين النطق والامامة ، ورفع التكاليف الظاهرة للشريعة ، ونادى بالتأويل ، واهتم بالباطن ولذلك قال فيه الداعي ادريس[١] : « وانما خص محمد بن اسماعيل بذلك لانتظامه في سلك مقامات دور الستر ، لأنك اذا عددت آدم ووصيه وأئمة دوره ، كان خاتمهم الناطق ، وهو نوح عليه السلام .. وإذا عددت عيسى ووصيه وأئمة دوره ، كان محمد (ص) متسلماً لمراتبهم ، وهو الناطق خاتم للنطقاء ، وكان وصيه عليه السلام بالفضل منفرداً به ، وإذا عددت الائمة في دوره كان محمد بن اسماعيل سابعهم ، وللسابع قوة على من تقدمه ، فلذلك صار ناطقاً وخاتماً للأسبوع ، وقائماً وهو ناسخ شريعة صاحب الدور السادس ، ببيان معانيها وإظهار باطنها المبطن فيها » .

ولقد رأينا من الأفضل ونحن نبحث قضية محمد بن اسماعيل أن نورد

---

(١) زهر المعاني للداعي ادريس عماد الدين ص ٥٦ .

ما ذكره الداعي ادريس عماد الدين في كتابه زهر المعاني حول امامة محمد بن اسماعيل بالنص الحرفي ليكون القارىء على بينة من الأمر ، قال ادريس[١] :

وقام محمد بن اسماعيل ، صلوات الله عليه ، وهو سابع الائمة وقائمهم ، مقابل لجده علي أمير المؤمنين تمام الدور الروحاني والخلق الآخر الذي هو نفس الشيء وروحه ومعناه ، وهو تمام الدور الأول ، ومنه ابتداء الدور الثاني . وكان بالمدينة ، فقام بدين الله سبحانه ، وبث الدعاة ، ونشر العلوم ، وأمر دعاته بطلب دار هجرة يلجأ اليها . وكان في عصر الرشيد ، فلما بلغه علم محمد بسبب انتشار دعوته ، أمر بالقبض عليه ، وأرساله إليه .

وكان الامام قد أعد بداره سرداباً ينكتم فيه من الضد . فلما وصل الرسول من الرشيد إلى المدينة ، دخل ذلك السرداب واختفى فيه ، وطلبوه فلم يجدوه ولا قدروا عليه ، فعادوا إلى الرشيد ، وأنهوا إليه خبر ما فعلوه . ولما هدأ الطلب ، سار الامام في طلب دار هجرته . وخلف بالمدينة ولدين خاليين من الامامة ، وهما اسماعيل وجعفر . وشخص الى نيسابور بنفسه منكتماً عن ضده ، وهو يدور ما بينها وبين الديلم . وتزوج بنيسابور امرأة ، فولدت له ولداً فسماه عبدالله ، وكني بالرضي ، وعرف عبدالله الامام بالعطار كتماً لمقامه واخفاء له ، ولصب له حجباً ، وأمر كل واحد من الحجب والحجج أن يتسمى باسم الامام ، فمن أخذ العهد على مستجيب ، سمى له أحد أولئك الحجب ، حتى يمضي الوهم اليه ستراً على صاحب الأمر . وجرت بذلك السنة والقضية

(١) زهر المعاني للداعي ادريس عماد الدين القرشي ص (٥٣ - ٥٦)

في الائمة المستورين الثلاثة . فمن ذلك أن الدعاة في أوضاعهم يسمون هؤلاء الائمة باسماء مختلفة ، ما اتفق منها في ذلك اثنان .

فقام محمد باللسان وصمت عنه السيف إلى بلوغ الكتاب أجله ، فأظهر العلوم ، وبين الحقائق ، وكشف لخلصائه منها السر المكتوم ، فظهرت منه حقائق ومعجزات ، ودلائل وآيات ، لم تظهر في الائمة من قبله ، ولا قام أحد من الائمة كمثله ، لأنه السابع صاحب القوة والظهور ، والضياء والنور ، ومبين العلم المستور .

وكان محمد بن اسماعيل متم الدور المنتهية إليه غاية الشرائع المختومة به ، المشتمل على مراتب حدودها ، المحيط بعلومهم . وهو القائم بالقوة ، صاحب الكشفة الأولى ، لأن القائم بالفعل هو القائم الكلي ، الذي هو صاحب الكشفة الأخرى والبطشة العظمى ، قائم القيامة الكبرى ، لأن القيامات كثيرة ، أولها المأذون المكفوف ، ثم المأذون المطلق ، ثم الداعي المحرم ، ثم الداعي المطلق ، ثم داعي البلاغ ، ثم الحجة ، وغايتها الباب . وانما كانت هذه الحدود قيامات ، كقيام كل واحد منهم بما يتصل من الصور المجردة المفارقة للاجسام الصائرة الى أفقه المعروفة به .

ويتلو هذه القيامات قائم قيامة كبرى ، وهو المقام الذي هو الامام عليه أفضل السلام ، فهو قائم القيامة ونهاية النهايات ، وكل واحد ممن ذكرنا قائم بنسبة إلى من دونه . ويتلوها جميعاً قائم القيامة الكبرى ، صاحب البطشة العظمى ، المجتمعة عنده جميع المقامات ، وهو لهم غاية الغايات الشريفة ، الجامع لها .. وانما وقع عليه إسم الناطق السابع لنطقه بالامر الإلهي ، وجمعه للفضل الذي هو إليه متناهي ، وليس بمتم ولا رسول ، بل هو منفرد برتبة الوحدة ، وقد تم التمام ، واتسق النظام . وانما خص محمد بن اسماعيل بذلك ، لانتظامه في سلك مقامات دور الستر ،

لأنك إذا عددت آدم ووصيه وائمة دوره ، كان خاتمهم الناطق ، وهو نوح عليه السلام . . وهو الناطق الخاتم للنطقاء ، وكان وصيه عليه السلام بالفضل منفرداً ، واذا عددت الأئمة في دوره ، كان محمد بن اسماعيل سابعهم ، وللسابع قوة على من تقدمه . فلذلك صار ناطقاً وخاتماً للاسبوع وقائماً ؛ وهو ناسخ شريعة صاحب الدور السادس ببيان معانيها ، واظهار باطنها المبطن فيها .

... ومحمد بن اسماعيل لم يبطل شيئاً من ظاهر شريعة محمد صلى الله عليه وآله ، بل أكدها ، وأمر بالعمل بها .

وعلى ذلك سنة الأئمة الطاهرين من أبنائه التابعين لهم ، قياماً بالتكليفات ومحافظة على المفترضات ، من غير ترخيص ولا اهمال ، ولا ترك ولا ابطال ، وانما عنى الامام المعز بقوله : « وعطلت بقيامة ظاهر شريعة محمد ، لما كان لمعانيها مبيناً ، ولاسرارها كاشفاً ومجلياً ، فأزال عن أتباعه واشياعه اعتقاد الظاهر ، على ما فيه من تعطيل وتشبيه للمبدع الحق بمخلوقاته ، وتمثيل وتجسيم للملائكة الروحانيين ، واعتقاد لذلك ، على ما هو موجود في هذه الدار . فعطل ذلك الاعتقاد ، وبين فيه المراد ، كشفاً للحقائق ، واظهار البيان الصادق ، وقياماً بالتأويل الذي عرف فيه التوحيد بحقيقته ، ونزه الباري سبحانه عن صفة خليقته ، وعرفت الملائكة بجوهرها اللطيف ، وبين الثواب والعقاب على ما يعتقده أهل التجسيم والتكثيف » .

ويقدم الينا الحسن بو نوح الاسماعيلي الهندي المتوفى سنة ٩٣٩ في كتابه (الازهار شرحاً) هذا خلاصته :

« إن الامام الخامس ، هو جعفر الصادق ، وقد توفي سنة ١٤٨ هجرية في الثامنة والستين من عمره ، ودفن بالبقيع بالمدينة الى جانب

أبيه وجده . وان الامام السادس ، هو ولده اسماعيل بن جعفر الملقب بالوفي ، وقد مات في حياة أبيه ، ولكن بعد اختياره إماماً . وقد أوصى بالإمامة لولده محمد بن اسماعيل بموافقة والده جعفر ، وأفضى الامام جعفر بهذه الحقيقة ، الى زعماء الطائفة الشيعية دون غيرهم ، خوفاً على حياة خلفه ، وتمسكاً بسياسة الاستتار . فالإمام السابع هو أبو عبد الله محمد بن اسماعيل الملقب بالشاكر . وقد أوصى بالإمامة من بعده لولده عبد الله بن محمد ، وقبره بمدينة فرغانة » .

ويقول المؤرخ الاسماعيلي أدريس عماد الدين المتوفى سنة ٨٧٢ هجرية في كتابه (عيون الاخبار) :

« وقام اسماعيل بن جعفر في كنف أبيه ، وعهد بمحمد بن اسماعيل ، وهو ابن ثلاث سنين الى ميمون القداح ، قدس الله روحه ، وهو كفيل له ، ومستودع أمره ، وميمون من أولاد سلمان ، وسلمان من أولاد إسحق بن يعقوب » . ثم يقول في مكان آخر : « وإن الصادق عليه السلام أقام موسى بن جعفر حجاباً على محمد بن اسماعيل ، وعلى من جعله له بابا الذي هو ميمون ، الستر عليه والكفيل له .. وكتم الصادق منزلة ابن ابنه ، وأقام له ميمون القداح وابنه عبد الله بن الميمون كفلاء ، وكتم أمر ذلك عن الخاص والعام ، إلا على المخلصين العارفين » .

ومن هذه الأقوال وغيرها نستطيع أن نؤكد استناداً على المصادر الاسماعيلية ان محمد بن اسماعيل لم يكن طفلاً كما يدعون عندما تسلم الامامة بعد وفاة أبيه لأننا ذكرنا عندما أوردنا ترجمة حياة اسماعيل في غير هذا المكان ان اعلان موت اسماعيل في حياة أبيه لم يكن إلا تغطية أو بالأحرى ذراً للرماد في عيون العباسيين الذين كانوا يلاحقونه في كل مكان ، ومن الواضح أن وفاة اسماعيل كانت سنة ١٥٨ هجرية وفي ذلك

الوقت كان عمر ولده محمد ستة وعشرين عاماً ، وباعتقادي ان من كان عمره هكذا ليس بحاجة إلى وصاية أو رعاية ، وكل ما هنالك أن الشيعة التي كانت موالية للامام جعفر الصادق انقسمت بعد وفاته ، فادعى كل قسم بانه صاحب الحق في مبايعة أحد أولاده لأنه هو المنصوص عليه ليكون خلفاً لأبيه ، وبالطبع أخذ كل فريق منهم يورد النصوص والأقوال والآراء التي تؤيد نظريته .

ومن الطبيعي جداً أن محمد بن اسماعيل بعد أن أصبح ولياً لعهد أبيه – أي الامام من بعده بموجب النص الشرعي – أن ينظم دعوته ويركز دعائمها قبل وفاة جده ، فأخذ يدعو لنفسه وهو في الحجاز وساعده على ذلك حدوده ودعاته وأتباعه . أما علاقة ميمون القداح في الأمر فاليك قصة ميمون كما تصورها المصادر .

ميمون القداح :

احتلت اسرة القداح مكاناً مرموقاً في تاريخ الدعوة الاسماعيلية في دورها الأول ، وكان الأئمة يعتمدون على أفراد هذه الأسرة التي قدمت للاسماعيلية أجل الخدمات . ويعتبر مؤسس هذه الأسرة الداعي الكبير ميمون القداح أول من اتخذه الائمة المستورين حجة ونائباً لهم . وتشير بعض المصادر التاريخية ان الامام جعفر الصادق جعله حجاباً وستراً على حفيده محمد بن اسماعيل أول الائمة المستورين . وقيل أن ميمون القداح كان راوية للامام محمد الباقر وابنه الامام جعفر الصادق ، وقيل انه ينتسب إلى عقيل بن أبي طالب . وتذكر المصادر الاسماعيلية أنه يرجع في نسبه إلى سلمان الفارسي ، ويعرف لديهم بميمون بن غيلان بن بيدر

ابن مهران بن سلمان الفارسي .

وبالحقيقة يكتنف تاريخ ولادته ونشأته الاولى الغموض والابهام ، ولكن بعض المصادر توضح أنه ولد في مكة وانتقل الى الأهواز ، وقيل أنه جاء من محل في الأهواز يدعى (قورج العباسي) ونزل عسكر مكرم ، ثم ذهب إلى ساباط ابي نوح . ولقد أثارت حياة ميمون القداح وأسرته ، وعلاقتهما بالاسماعيلية عاصفة من النقاش التاريخي استمر حتى عصرنا الحاضر ..

ولقـــد اعتبر البعض أن ميمون القداح هو المؤسس الفعلي للحركة الاسماعيلية ، وان ائمة هذه الحركة هم من أولاده وأحفاده . وقال البعض الآخر ان ميموناً كان يهودياً ديصانياً عمل على تهديم الدين الاسلامي ونشر الالحاد والزندقة . وذهب آخرون الى الادعاء بأن الفاطميين ينتسبون إلى هذا الديصاني اليهودي . ونحن في هذا الصدد لا يسعنا إلا أن نورد ما قاله أكبر مؤرخي الحركة الاسماعيلية في القرن العشرين حول هذه القضية وهو المستشرق الكبير البرفسور (ايفانوف) ومن ثم نعطي رأينـــا في الموضوع على ضوء الواقع والحقيقة والمصادر التي نملكها .

حاول البروفسور (ايفانوف) في أماكن عديدة ، من كتبه التي وضعها عن الحركة الاسماعيلية ان يدحض قصة ميمون القداح كما توردها الروايات التاريخية السنية ، وتوصل إلى النتيجتين الآتيتين :

١ – ان ميمون القداح وولده عبدالله لم يكونا أصل الفاطميين ، ولم تجمعهم بهما أية صلة رحم أو قربى لا من بعيد ولا من قريب.

٢ – انهما لم يكونا ديصانيين ، أو زنديقين ، بـل كانا بالعكس فقيهين ورعين ، وان الدعوة السرية الإلحادية التي تنسب اليهما لم

تكن إلا من نسج الخيال [١] .

ويرى ايفانوف أن القول بأن عبدالله بن ميمون هو جـــد الخلفاء الفاطميين وباعث ثورة القرامطة ، إنما هو قول عقيم مغلوط ، وان المعروف بأن عبدالله هذا قد تبناه محمد بن اسماعيل ، وان القول المأثور بأن عبدالله هذا قد تبناه محمد بن إسماعيل ، ثم خلفه بتفويض منـــه ، أو أنه اغتصب الإمامة بالخديعة والغش كما فعل حفيده المهدي ، كل ذلك مضلل ومناف للبحث السليم . وقد كان عبدالله رفيقاً للإمام جعفر الصادق ، ولا يعرف شيء عن حياته الأولى . وقد توفي الإمام جعفر في سنة ١٤٨ ه ومن المرجح أن عبدالله قد توفي بين سنتي ١٦٠ و ١٨٠ ه ، لا كما يقول الجويري في « كشف الأسرار » من انه توفي في سنة ٢١٠ ه . هـــذا ، وقـــد ورد أول نفي لقصة القداح ، في رد المعز لدين الله على داعي الشيعة في السند ، حيث أوضح له أن كلمة « الميمون » ، إنما هي لقب للامام عبدالله بن إسماعيل ، وتكريم له ، وكذا فيما يتعلق بكلمة « القداح » وهو الذي ينثر من حوله ضوء الحكمة الإلهيـــة ، ووردت أول إشارة عن عبدالله بن ميمون ، في رسالة الكرماني « الكافية » التي رد فيها على الفقيه الزيدي ، وفيها ينفي نسبة الحاكم بامر الله الى القداح ، ويؤكد نسبته إلى علي وبنيه . ويتحدث أيضاً إيفانوف في كتاب آخر عـــن مؤسس الحركة الاسماعيلية فيقول [٢] :

« إن الفاطميين قد أخفوا انسابهم ، وفروع ذوي قرباهم ، خوفاً من

---

(١) Rise of the Fatimids : Bay. W. IVANOW ، ص ١٢٨ و ١٣٠ و ١٤١ و ١٤٢ .

(٢) the Alleged Founder of Ismailism Ivanow

أعدائهم ، في البلاد الخارجة عن سلطانهم ، على أولئك الأقربين ، وإن قصة ميمون القداح وولده هذه ، ما هي إلا اسطورة وخرافة » ويورد ايڤانوف في كتابه المذكور تراجم الأحاديث التي وردت في كتاب « الكافي » برواية عبدالله بن ميمون ، ووالده ميمون القداح ، والتي رواها عبدالله عن والده ميمون ، وهي أكثر من مائة وخمسون حديثاً، منها مائة وثلاثون ، نقلت من كتاب « الكافي » ، ونقلت الأحاديث الباقية من كتاب « تهذيب الأحكام » ويستدل من هذه الأحاديث وبما جاء في الكثير منها ، أن ميمون القداح كان على صلة بالإمام محمد الباقر، وأنه كان من تلامذة الامام ، فنرى الامام الباقر يأمر تلميذه ميمون بتبديل مكان جلوس الضيوف ، ونراه يرافق الامام في رحلته ، وحيث يسير مستنداً الى ابن القداح ، وفي الحديث الرابع يوصف ميمون بوضوح بأنه « مولى الامام محمد الباقر » « وغلام » الامام جعفر الصادق [١]». ولقد أبدت بعض المصادر السنية أن ميمون القداح كان مولى الامام جعفر الصادق [٢] .

كما وان إيڤانوف ينفي تهمة الالحاد عن عبدالله بن ميمون القداح ، مستدلاً على ذلك بأن اسمه قد ورد في كتب الحديث السنية ، مثل ابن النجار المتوفى سنة ٦٤٣ هجرية ، والذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هجرية وابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢ هـ . وعبد الله الخزرجي الأنصاري المتوفى سنة ٩٢٣ هـ . ولم تنسب اليه في كتب السنة ، أية دعوى بالإلحاد أو الزندقة ، ويصفه أكابر رواة الحديث السنيين بصفات مختلفة ، مثل :

---

(١) The Allged founder of Ismailism Ivanow ص ٦٣ الأحاديث (١٠١ و ١١٥ و ١١٦ و ٤) .

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٦٦ .

ضعيف ، وسقيم ، وراوية لاحاديث مدخولة ، أو أمور منكرة ، ولكن لم يرمه أحد منهم بشبهة الإلحاد [١] .

ويستنتج ايفانوف من كل هذا ، أن ميمون القداح كان من الموالي ، وكان مقيماً بمكة وله أهمية محلية ، وكان خادماً مخلصاً للامام محمد الباقر ، ثم لولده جعفر ، ومن الممكن أنه كان تاجراً ، وربما كان أيضاً مشرفاً على أملاك الأئمة بمكة . وقد كان فيما بعد رجلاً ذا شخصية . وكان له عدة أولاد منهم عبد الله ، وأبان ، وربما ابراهيم . وكان أبان عالماً يحفظ القرآن ، وليس من المستحيل أن كان أخوه عبد الله معلماً للكتابة ، وأنه دون خلال خدمته للامام ما سمعه منه ، وأن مجهوده فيما يبدو ، كان منحصراً في تدوين الأحاديث التي سمعها من الامام جعفر ، وليس هناك ما يدل على انه كان مشتركاً في أية حركة إلحادية [١] .

ثم ان ايفانوف ينفي بشدة — ما قاله ابن شداد الحميري المتوفى سنة ٥٠٩ هـ ، فيما أورده عن ابن الاثير في حوادث سنة ٢٩٦ هـ . عند الكلام على ابتداء الدولة العلوية بأفريقيا [٢] حيث ذكر أن ميمون وولده من أبالسة الإلحاد والكفر — فيقول : « لا محل لنقد مثل هذه الرواية ولا داعي لأن يهتم بما هو خيال واضح ، وخصوصاً لما يتضمنه ذلك من تناقض في التواريخ . ومن مبالغات بينة . أما ما زعم أن ميموناً قد ألف كتاباً عنوانه « الميزان في نصرة الزندقة » فالمصادر الشيعية المبكرة لم تذكر شيئاً من ذلك . وكل هذه في رأيه أكاذيب لا تستحق الجدل [٣] .

---

(١) the Alleged Founder of ismailism : w-ivanow P. 75, 76

(٢) P. 78 - 79 - المصدر نفسه .

(٣) 80 - 81 - المصدر نفسه .

والجدير بالملاحظة ان خصوم الاسماعيلية ، ينسبون ميمون القداح وولده عبد الله الى طائفة (الديصانية) وهي التي قام بتأسيسها الحبر بارديصان في مدينة الرها في القرن الثاني من الميلاد ، وهو الذي يرى البعض أن نظرياته كانت أصل « المانوية » . ويقولون إن ميمون وابنه عبد الله كانا من الديصانيين أتباع هذه الطائفة .

وتذكر بعض مصادر الأحاديث السنية ، ان شخصاً كافراً ، يدعى أبو شاكر الديصاني ، كان يتصل بالامام جعفر الصادق ، ويسأله أسئلة عن الله وعن قدرته . وقد أشار ابن النديم الى انه من بين العلماء الذين يتظاهرون بالاسلام في قلوبهم [1] ويناقش ايفانوف هذه الفرية فيقول : فلو فرض حقاً أن ميمون وولده كانا في الأصل ديصانيين ، فإنه لا يعقل أن يكونا كافرين ومسلمين في آن واحد . والواقع ان هنالك من الأحاديث المشار اليها في كتاب ايفانوف المذكور ما يدل على أن ميمون القداح كان مولى للإمام محمد الباقر ، وأنه يروي « أحاديث » عن هذا الإمام ، وان ابنه « أبان » كان يتلو القرآن عليه ، كما وان ولده الآخر عبدالله كان يروي الأحاديث عن الائمة . فلا بد إذاً أن يكون ميمون وولده قد اعتنقا الإسلام عندئذ ، وذلك في القرن الاول من الهجرة . ومن جهة أخرى ، فان هنالك من الأحاديث ما يدل على أن ذلك قد حدث أيام الإمام جعفر الصادق ، وقد توفي هذا الامام وفقاً لرواية هشام ابن الحكم سنة ١٩٩ هـ . ، وهذه مغالطة تاريخية ظاهرة ؛ وإذن فليس هنالك بلا شك علاقة بين الديصانيين وبين ميمون القداح وولده . وما هذا الجمع في الاسماء إلا محاولة عقيمة زائفة ، ترمي إلى جعل ميمون

(١) الفهرست لابن النديم ص ٤٧٣ .

ولده هما ابو شاكر الديصاني وولده . وبالنتيجة يتضح من أحاديث الشيعة ، التي لا تذكر شيئاً عن أصل ميمون الديصاني ، تدل على أنه حتى لو كان ميمون قد تحول من هذه الطائفة إلى الاسلام كان مخلصاً ورعاً [١] .

وقد أورد الداعي أدريس عماد الدين القرشي في كتابه « عيون الاخبار » خطاب الامام المعز لدين الله الى داعي السند ، الذي ينكر فيه نسبته إلى ميمون القداح ، ويقول أن جده الحقيقي هو عبدالله بن محمد بن اسماعيل وانه كان يسمى أحياناً « عبدالله الميمون النقيبة » ، وكانت هذه العبارة تطلق أيضاً على محمد بن اسماعيل ، إشارة إلى المركز الرفيع الذي يحتله في حظيرة الحركة الاسماعيلية . وكذا كانت تطلق كلمة « المبارك » على سادس الائمة إسماعيل بن جعفر الصادق .

ويقول ايفانوف : باعتقادي أن ذلك يحل لغز اسطورة « ميمون بن القداح » ذلك أن محمد بن اسماعيل ، إذا كان يعرف اسمه السري « الميمون » فالظاهر أنه كان يسمى في محافل الطائفة بعبد الله بن الميمون . وقد حرف الخونة أو المزيفون هذا الاسم ، وحرفوه إلى عبد الله بن ميمون القداح ، ونسبوا بذلك الى هذا الرجل القديس جرائم ورذائل لا تصدق[٢] .

ويرى ايفانوف بعد كل ذلك أن هذه القصة التي تجعل عبد الله بن ميمون جد الخلفاء الفاطميين ، انما هي اسطورة سخيفة ، ويعتب على المؤرخين الذين صدقوها وآمنوا بها [٣] .

والى جانب هذه الآراء الصريحة التي يوردها عالم كبير اختصاصي

---

(١) The Alleged Founder of Ismailism By. w. Ivanow. ص٩٩-١٠٣

(٢) المصدر نفسه ص (١١٠ – ١١٢) .

(٣) المصدر نفسه ص (١٥٢ – ١٥٧) .

بالدراسات الاسماعيلية ينفي أن ميمون القداح وولده ، قد جعل أحدهما مستودعاً للامام الاسماعيلي ، ليتولى عمله أثناء غيبته ، لاعتقاده بان مثل هذا النظام لم يكن موجوداً أو معروفاً لدى الاسماعيلية ، ويؤكد أن نظرية الاستيداع لم تعرف إلا في القرن الرابع الهجري . وينهي بحثه بقوله : « وإن هذه الملحمة الإلحادية التي نسجت حول اسم عبد الله بن ميمون القداح ، ليست إلا معتركاً من الاكاذيب والأقوال الباطلة ، وليست إلا من صنع الخيال » .

وفي الفترة الأخيرة طلع علينا الاستاذ عارف تامر بآراء جديدة مبتكرة حول اسطورة ميمون القداح ، رأينا انه لا بد لنا ونحن نستعرض هذه الاسطورة من ايرادها .

قال عارف تامر [١] :

« الميمونية فرقة جعفرية قالت بامامة جعفر بن محمد الصادق ، وكان يتولى قيادتها ميمون القداح ، وهو فارسي ومن تلامذة جعفر بن محمد الصادق ، وتعتبر هذه الفرقة الركيزة التي قامت عليها الاسماعيلية فيما بعد » . ثم يستدرك ويقول في مكان آخر [٢] : « والحقيقة ان الامام محمد بن اسماعيل هو نفسه كان يحمل لقبي ميمون والقداح » .

التناقض في هذين القولين ظاهر واضح لا يحتاج الى مناقشة وتعليق ، ففي الوقت الذي يقول عارف تامر ان ميمون القداح من أصل فارسي ومن تلامذة جعفر الصادق يعود ثانية وفي نفس الكتاب ليقول بأن محمد بن اسماعيل هو نفسه كان يحمل لقبي ميمون والقداح ، بعد أن يكلف

---

(١) كتاب الامامة في الاسلام : لعارف تامر منشورات (دار الكاتب العربي ومكتبة النهضة في بغداد) ص ٨٨ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٨١ .

نفسه عناء الاتيان بالمصادر التي تؤيد هذه الأقوال المتناقضة .

أما عن الآراء التي ناقشها المستشرق البروفسور (ايفانوف) وان كنا نؤيده في بعض ما ذهب اليه ولكننا نخالفه بالرأي القائل بأن محمد بن اسماعيل كان نفسه يحمل لقب ميمون القداح ، لأن هذا القول لا يستند الى الواقع والحقيقة فالأحاديث التي رواها عبد الله بن ميمون القداح عن والده ، تؤكد بوضوح أن ميمون القداح وولده من بعده . كانوا أشخاص يتولون ارفع المناصب بالنسبة لمراتب الدعوة الاسماعيلية ، وليست لهم أية صلة قرابة بالأئمة ، كما وأنهم ليسوا أشخاص خياليين أو القاب كان الأئمة يلقبون بها . فميمون القداح كان حداً من حدود الدعوة الاسماعيلية برتبة حجة أو باب الأبواب ومن الطبيعي وحسب الانظمة الاسماعيلية يقتضي أن يبقى من يحمل هذه الرتبة مرافقاً للامام في حله وترحاله .
أما ما ذكره البروفسور ايفانوف بأن مرتبة الاستيداع لدى الاسماعيلية لم تكن معروفة في القرن الأول للهجرة فمردود ، لأن جميع المؤلفات الاسماعيلية وخاصة التي تبحث بالفترات والقرانات تشير إلى ان هناك أئمة كثيرين في الأدوار التي سبقت ظهور الاسلام كانوا يحملون رتبة الاستيداع ، والمثال على ذلك ما قيل عن أولاد يعقوب ، وشمعون الصفا وغيرهم .

والخلاصة كان ميمون القداح فيلسوفاً وعالماً من أنبغ علماء عصره ومن أعظم منظمي الدعوة الاسماعيلية ، ومهما اختلف المؤرخون في تحليل شخصية هذا الداعي الكبير فلم يكن سوى خادم أمين لامامه ولدعوته . ومن الارجح أنه استقر في سلمية ومات فيها في نهاية القرن الثاني ودفن فيها .

الامام

عبد الله بن اسماعيل « الوفي احمد »

ولد الامام عبد الله بن الامام محمد بن اسماعيل الملقب (بالوفي) سنة ١٧٩ هجرية في مدينة (محمود آباد) وامه الاميرة فاطمة ابنة الامير أبي منصور ابن جوش . ومن ألقابه (أحمد الوفي ، والناصر ، والعطار ، وعبد الله الأكبر) .

تولى الامامة سنة ١٩٣ هجرية بعد وفاة ابيه ، فغادر تدمر الى السلمية عام ١٩٤ هجرية يصحبه عدد كبير من رجالات الدعوة الاسماعيلية الافذاذ ، حيث اتخذها مقراً لامامته ومركزاً رئيسياً لدعوته، يرسل منها الدعاة الى الاقاليم المختلفة لنشر الدعوة فيها ، وكان الدعاة من الجرأة بمكان ، جلدون على الشدائد ، حتى اذا ما وقع بيد الخليفة كان يجلد ويعذب اشد العذاب دون ان يتمكنوا من اخذ الاعترافات منه او ان يعلم بمكان استقرار الامام وكثيراً ما ادى عذابهم الى الموت . وقد رتبت الدعوة ترتيباً محكماً ونظمت تنظيماً دقيقاً . وفي

عهد الامام احمد الوفي كانت الاموال والذخائر تنقل الى السلمية من كل بلد اسماعيلي بواسطة الدعاة ، وكان قد حفر سرداباً في الصحراء حتى داخل بيت الامام في السلمية طوله خمسة عشر ميلاً وكانت الاموال والذخائر تحمل على الجمال فيفتح لها باب السرداب في الليل وتنزل فيه باحمالها عليها حتى تحط في داخل الدار وتخرج في الليل ثم يهال على باب السرداب [١] بالتراب فلا يدري به أحد ، أو قيل ان الاموال التي كانت تصل الى السلمية كانت عظيمة جداً ، وهكذا فقد اصبحت السلمية في عهد الامام احمد الوفي مركزاً رئيسياً للدعوة الاسماعيلية مما قد ساعد على انتشارها بسرعة في الشرق الادنى والمغرب نظراً لقرب السلمية من العراق وبلاد العرب وبلاد البحرين واليمن وكذلك تعرضت الدعوة بعهده لنقمة الكثيرين من الخلفاء والامراء ، فكانوا يطاردونهم ويقتلونهم اينما وجدوا ولكن تلك النقمات لم تؤثر في نشاطهم المستمر ، فاجتمعت طائفة من العلماء الاسماعيلية والفوا اثنتين وخمسين رسالة فلسفية عرضوها على الامام احمد الوفي فسماها (رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء) ولخصها برسالة واحدة سماها (رسالة الجامعة) وألف رسالة اخرى جمعت علوم جميع الرسائل وسماها (جامعة الجامعة) .

ولما اطلع المأمون الخليفة العباسي على تلك الرسائل امر بالتنقيب عن مؤلفيها المجهولين فذهبت جميع جهوده التي بذلها في سبيل ذلك ادراج الرياح . ولا تزال اسماء اولئك المؤلفين مجهولة بالرغم من ان اكثر المؤرخين والفلاسفة قد فتشوا ونقبوا عنها بدون جدوى وأخيراً بعد محاولات كثيرة تمكنا من العثور على اسماء بعض مؤلفي (رسائل اخوان

---

(١) سيرة جعفر الحاجب ص « ١٧ » نسخة خطية بمكتبتي الخاصة .

الصفاء) من بعض المخطوطات الاسماعيلية السرية وهم :

١ — ابو سلمان محمد بن معشر البستي ويعرف بالمقدسي .
٢ — ابو الحسن علي بن هارون الزنجاني .
٣ — ابو احمد المهرجاني .
٤ — ابو الحسن العوفي .
٥ — ابو حيان التوحيدي .
٦ — زيد بن رفاعه .
٧ — محمد ابو الفرج .
٨ — ابو سليان محمد بن طاهر السجستاني .
٩ — ابو زكريا العمري .
١٠ — عبد السلام بن الحسين البصري .
١١ — ابو سفيان .
١٢ — الحلواني .

ونعتقد بأن هذه هي الأسماء الحقيقية لاخوان الصفاء وخلان الوفاء .

قال الامام سلطان محمد شاه علي الشهير (بآغا خان) في حديثه عن اخوان الصفاء [١] :

توجه عامة المسلمين الموحدين الى الامام (احمد الوفي) وكان باب العلم ليعرفهم الفرق بين الدين والفلسفة فاستجاب لهم وأمر بتأليف اثنتين وخمسين رسالة سماها (رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء) واخفى اسماء مؤلفيها لاسباب سياسية ، وأمر بأن تنشر باسم (همايون) وحروفها بالجمل تساوي (وفي احق) ولما اطلع المأمون على تلك الرسائل ذهل

---

(١) في كتابه « نور مبين حبل الله المبين » في اللغة الاردية يتألف من « ٦٦٠ » صفحة .

وايقن أن مؤلفها ليس من العلماء المغمورين بل لا بد أن يكون أحد الأئمة المستورين ، ورأى أنه في حاجة اليه لاصلاح امور الدولة وشؤونها فجد في البحث عنه حتى قبض على أحد دعاته ويدعى (ابو ترمزي) وقابل الخليفة المأمون فأظهر له اثناء محادثاته أنه من المعتقدين المخلصين في الامام ، وطلب منه أن يدله على مكان الامام فأبى ، فقتله المأمون .

ولما بلغ الامام الخبر وهو في السلمية خشي على نفسه فقام بسياحة كبيرة زار فيها الكوفة ثم بلاد الديلم ثم عاد إلى السلمية ماراً بعسكر مكرم وبعد ان اقام مدة بالسلمية قصد بلدة محمود آباد وتوفي هناك في سنة ٢١٢ هجرية وتولى الامامة بعده ولده الامام (تقي محمد) انتهى قول الامام . والخلاصة توصلت الاسماعيلية في عهد الامام الوفي احمد الى درجة عظيمة من العلم والثقافة مما عظم مركزهم وقوى من شوكتهم وانتشرت علومهم ومؤلفاتهم الفلسفية التي احدثت ضجة قوية في جميع الاوساط العلمية ، غادر الامام احمد الوفي السلمية اثر الحملات التفتيشية التي كان يجريها الخليفة العباسي بحثاً عنه ، قاصداً بلدة (محمود آباد) وأقام فيها حتى توفي سنة ٢١٢ هجرية [1] وتولى الامامة من بعده ولده « محمد التقي » ، وقيل انه بعد أن نص على ولده « أحمد » الملقب بمحمد التقي انتقل الى مصياف ومات فيها ودفن بأعلى قمة جبلها بمكان يدعى المشهد .

(١) جاء في ص ١٣٦ من كتاب الفلك الدوار ان الامام وفي احمد قد توفي في مصياف سنة ٢٣٠ هجرية ودفن فيها ويعرف قبره « باخوان الصفاء » وهذا القول لا يعتمد عليه تاريخياً والاصح ان وفاته كانت عام ٢١٢ هجرية ودفن في بلدة « محمود آباد » .

الامام

احمد بن عبد الله (محمد التقي)

ولد الامام احمد بن عبد الله الملقب بـ (محمد التقي) سنـة ١٩٨ هجرية في مدينة السلمية ، تولى الامامة الاسماعيلية عام ٢١٢ هجرية بعد وفاة أبيه في مدينة « محمود آباد » وغادرها الى السلمية سـراً حيث اصبحت السلمية مركزاً لنشر دعوته في الاقطار المجـاورة ، فازدهرت الدعوة الاسماعيلية ازدهاراً عظيماً وخاصة في سوريا واليمن عـلى أيدي دعاة نشيطين عرفوا بقدرتهم العلمية امثال أبي القاسم رستم بن الحسن بن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفي رئيس مدرسة الدعاة في اليمن وموضع ثقة الامام ولقب بالمنصور لكونه حقق انتصاراً كبيراً للدعوة في اليمن والمغرب وجميع الاقطار التي كانت تحت امرته ، ولقد شبهه بانه كان يمثل الفجر وبه كشف الله عز وجل عن الأولياء وانار الظلمة [1] وترك هذا الداعي الكبير مؤلفات علمية وفلسفية كثيرة من أهمها .

١ – كتاب « تأويل الذكاة » .

---

(١) سيرة جعفر الحاجب ص « ٦٠ – ٦١ » نسخة خطية في مكتبتي الخاصـة ابن الاثير جـ ٨ ص « ١١ – ١٢ » ابن خلدون جـ ٤ ص « ٣٠ – ٣١ » اتعاظ الحنفا ص « ٦٧ – ٦٨ »

٢ — كتاب الشواهد والبيان لمباحثة الاخوان [١] .

٣ — كتاب أسرار النطقاء [١] .

٤ — كتاب الكشف .

٥ — كتاب الانوار الفضية في معرفة الانفس الذكية [٢] .

٦ — كتاب الايضاح [٢]

هذا عدا عن الترتيبات والتنظيمات الكثيرة التي اجراها بين الدعاة .

ولقد تعرض الامام اثناء وجوده في السلمية لمضايقات الخلفاء العباسيين المستمرة لذلك وجد بأن السلمية لم تعد مكاناً صالحاً له فغادرها سراً الى الري حيث استقر فيها مدة طويلة عمل خلالها لنشر دعوته على نطاق واسع فاعتنقها اكثر الملوك والامراء وقدموا جميع امكانياتهم لمساعدة الدعاة في سبيل نشرها وتعميمها في جميع الاقطار الشرقية ، والجدير بالذكر ان اكثر الحكام والولاة في العهد العباسي كانوا يتظاهرون بنقمتهم على الاسماعيلية بينما كانوا يدينون بعقائدها في الباطن وينصرون الدعاة ويعملون سراً على تقوية الدعوة وانجاحها .

عاد الامام الى السلمية ومنها الى مصياف حيث توفي هناك عام ٢٦٥ هجرية ودفن على قبة جبل مصياف المعروف بجبل (مشهد) الذي يبعد عن المدينة مسافة سبعة كيلو مترات الى الجنوب الغربي بعد ان نص على

---

(١) هذه الكتب موجودة في مكتبتي الخاصة « قيدالتحقيق » وقد اهداني اياها الشيخ سليمان ابن الشيخ ابراهيم .

(٢) هذه الكتب موجودة في مكتبتي الخاصة (قيد التحقيق) .

امامة ولده الامام عبدالله الرضي .

والخلاصة ان الدعوة الاسماعيلية وصلت بعهد الامام محمد التقي الى درجة عظيمة من الرقي والنجاح والازدهار وهذا ما ساعد على تأسيس الخلافة الاسماعيلية في المغرب التي كانت مقدمة للخلافة الفاطمية الكبرى في القاهرة والتي بدأ بتأسيسها الامام محمد المهدي حفيد الامام محمد التقي والتي استمر على اريكتها ثلاثة من الأئمة الفاطميين ثم انتقل الرابع منهم وهو الامام المعز الى القاهرة كما سيأتي الحديث عن ذلك في حينه .

الامام

الحسين بن احمد « عبدالله الرضى »

ولد الامام الحسين بن الامام أحمد الملقب (بالرضي) سنة ٢١٢ هجرية وقيل ٢٢٨ هجرية . في الري ، وبعد انتقال ابيه أصبح اماماً للاسماعيلية وانتقل الى همدان ثم الى اذربيجان والى إستنبول وفي هذه الاماكن كان يوزع الدعاة على مختلف المناطق الاسلامية ، لم يستقر به المقام طويلاً في استنبول فغادرها الى السلمية ومن السلمية الى عسكر مكرم [١] . واتخذ الحسين بن عبد الله بن ميمون القداح حجة له وحجاباً عليه .

في عهد الامام عبدالله (الرضي) تقدمت الدعوة الاسماعيلية تقدماً عظيماً فازدهرت العلوم وانتظمت الدعوة انتظاماً دقيقاً فكانت رئاسة الدعوة في السلمية او (عسكر مكرم) تتصل مع الدعاة بواسطة الحمام الزاجل الذي بدع في استخدامه الدعاة الاسماعيلية ويعتبرون انهم أول من استخدمه للغايات السياسية والامور الحربية .

ونبغ دعاة عظماء كانت لهم جولات موفقة في عالم الادب والتأليف

---

(١) عسكر مكرم بلد في نواحي خوزستان انظر « معجم البلدان لياقوت » .

والفلسفة فانتشرت دعوتهم وتفانوا في الدفاع بالقلم واللسان .

لما علم الامام عبدالله (الرضي) بأن الدعوة في المغرب تتقدم باستمرار أوعز الى الداعية الكبير أبي عبدالله الحسين أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي الذي كان يعلم الناس المذهب الاسماعيلي في البصرة كي يذهب الى مدرسة الدعوة في اليمن ليدرس هناك على ابن حوشب ، وامره ان يطيعه وان يقتدي به ثم يذهب بعد فراغه من الدراسة الى المغرب قاصداً بلدة (كتامه) .

توجه أبو عبد الله الى اليمن حيث شهد مجالس ابن حوشب واصبح من كبار اصحابه وهناك علم وفاة الحلواني وأبو سفيان (دعاة المغرب) فقال لأبي عبدالله الشيعي إن ارض كتامه من المغرب قد حرثها الحلواني وابو سفيان وقد ماتا وليس لها غيرك فبادر فانها موطأة لك .

خرج ابو عبد الله الشيعي الى مكة مع حج اليمن فلقي بها رجالات من كتامه اختلط بهم فوجدوا بذوراً من العقائد الاسماعيلية ، فارتحل معهم الى كتامه ووصلها في منتصف ربيع الاول عام ٢٨٨ هجرية وجاهر بالدعوة الاسماعيلية قائلا للكتاميين (أنا صاحب العذر الذي ذكره لكم ابو سفيان والحلواني) فازدادت محبتهم له واستقام له أمر البربر وعامة كتامه ، فلما تم ذلك ذهب الى مدينة (جبيله) فانتشرت جيوشه بالبلاد بعد ان قتل (الأحول) ودحر جيشه المؤلف من ٢٤ ألف مقاتل وخفقت الوية الاسماعيلية في كل مكان وصار ابو عبد الله يدعو الناس لطاعة الامام اسماعيل رضي الدين عبد الله .

أما رئيس دعاة اليمن ابن حوشب فانه زحف من مقره (حصن جبل لاعة) ففتح مدائن اليمن وملك صنعاء واخرج بني (يعفر) منها

وفرق الدعاة في انحاء البلاد والبحرين واليمامة ، والسند والهند ومصر .

هذا ما جعل الخليفة يرسل جنوده في طلب الامام الذي غادر البلاد الى السلمية مع كبار رجال دعوته ، فبقي فيها حتى انتقل الى جوار ربه سنة ٢٨٩ هجرية وعهد بالامامة من بعده لابنه محمد المهدي وقال له (انك ستهاجر بعدي هجرة وتلقى محناً شديدة) ودفن في السلمية وضريحه لا يزال حتى الآن ويعرف لدى العامة بضريح (الامام اسماعيل) .

الامام

عبيد الله المهدي

ولد الامام محمد المهدي ابن الامام رضي الدين عبدالله سنة ٢٥٩ هـ. في مدينة سلمية بعد وفاة أبيه عام ٢٨٩ هجرية ، استلم شؤون الامـامة حسب النص الامامي المعترف به لدى الاسماعيلية .

في عهده انضمت اكثر قبائل المغرب للداعي الاسماعيلي الكبير (أبي عبدالله الشيعي) مؤسس الدولة الفاطمية في القارة الافريقية ، واحرزت الجيوش الاسماعيلية الانتصارات في جميع المعارك فانتشرت الاسماعيليـة في تلك البلاد وخفقت ألويتهم عالية وتفرقت دعاتهم يدعون الناس للانضواء تحت علم الامام الفاطمي والاستقاء من معينه العذب الذي لا ينضب ، معين العلم والفلسفة والجهاد والحق في سبيل الغاية المثلى لحياة أفضل .

بعد ان استقر الداعي ابو عبدالله في تلك الديار رأى من الانسب كما هي عادة الدعاة (الرجوع للامام في كل مناسبة) أن يعلم امامـه عما وصلت اليه قضيته من نجاح في المهمة التي القيت على عاتقه ، فسير اخاه أبا العباس محمد بن احمد على رأس وفد من اسماعيلية المغرب [1]

---

(١) اتعاظ الحنفا ص (٨١) ابن الاثير ج ٨ ص ١٤ ، المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١١ .

لينقل للامام المهدي الاخبار والتفاصيل ، بما فتح الله على يده وانه ينتظر اوامره اذا ما اراد أن ينقل مقر الامامة الى المغرب لان السلمية لم تعد مكاناً صالحاً لاقامة الأئمة الاسماعيليين المستورين بعد ان ازداد النشاط الاسماعيلي في المغرب واليمن بالاضافة الى ان الخليفة العباسي قد شدد في طلب القبض على الامام الذي تروج الدعوة باسمه بعد أن بلغه ما توصلت اليه الدعوة في المغرب واليمن من تقدم وازدهار . فأوعز لوالي السلمية أن يفتش عن الامام محمد المهدي ويقضي على دعوته قبل ان يستفحل خطرها .

وصل الوفد الذي ارسله الداعي ابو عبدالله من المغرب وسلم رسالة ابي عبدالله للامام المهدي وبعد ان علم مضمونها وعرف بأن البقاء في الاقليم السوري لم يعد يتفق والغاية الامامية المثلى قرر المهاجرة الى المغرب بعد أن أمر رجالات الدعوة في السلمية بأن يكونوا على أهبة الاستعداد للسفر معه [1] وهنا يقول جعفر[2] الحاجب (أمرنا الامام محمد المهدي بالاخذ في اهبة السفر والخروج معه واظهر لنا انه يريد اليمن) .

وبعد أن تهيأت جميع الوسائل والاسباب لهجرة الامام محمد المهدي الى المغرب خرج ومعه خاصته ومواليه ، وكان خروجه من السلمية وقت العصر ، وكانت وجهته مدينة حمص ومنها قصد طرابس الشام[3] وقيل انه قصد الرملة بعد ان مكث في طرابلس يوماً واحداً ، اما مدة إقامته في

---

(١) ابن خلدون ج ٤ ص ٣٣ .
(٢) سيرة جعفر الحاجب ص ٦٦ .
(٣) أما ايفانوف فيقول بكتابه Ries of the fatimits بانه خرج من سلمية وذهب الى حماه حيث اقام فيها ليلتين ببيت الداعي الاسماعيلي « ابي محمد » الذي هيأ له الخيول العربية من قرية « شيزر » الاسماعيلية .

الرملة في رجب ٢٨٩ هجرية منتصف ٢٩١ هجرية ، ثم غادرها باتجاه مصر فدخلها مستتراً بذي التجار[١] فأتت الكتب الى عيسى النوشري أمير مصر من الخليفة العباسي ليقبض على الامام محمد المهدي ، فلما قرئت الكتب كان في المجلس أحد الاسماعيلية فنقل الخبر إلى الامام فغادر مصر مع أصحابه ومعه أموال كثيرة .

فرق النوشري الأعوان في طلب الامام ، وخرج بنفسه فلحقه . وقيل قبض عليه ولكنه أطلقه بعد ان امن بدعوته ودخل في مذهبه ، وأراد أن يرسل معه من يوصله إلى رفقته . وقيل أنه أعطاه مالاً حتى أطلقه [٢] .

وفي الطريق داهمه بعض اللصوص ، بموضع يقال له (الطاحونة) فنهبوا متاعه ، كان منها كتب وملاحم كانت لآبائه فعظم أمرها عليه .

وهنا يقول جعفر الحاجب : جرى على الامام في طريقه مع القافلة عند خروجه من مصر ، وعند وصوله إلى الطاحونة تصدى له نفر من البربر وأخذوا بعض رحله وكتب المهدي فيها علوماً كثيرة ، فكانت أسفـــه عليها أشد من أسفه على غيرها مما ضاع له ، إلى أن جمعها الله عز وجل وقت خروج القائم إلى مصر في السفرة الأولى . سار الإمام حتى قسطنطينية ومنها إلى سجلماسة ، حيث قبض عليه واليها العباسي اليسع بن مدرار ووضعه في السجن .

علم أبو عبدالله الشيعي بأن الامام قد وصل سجلماسة وألقى عليه القبض واليها العباسي[٣] فبادر لجمع جيوش الاسماعيلية التي بلغ عددها

---

(١) اتعاظ الحنفا ص ٨١ – ٨٢ .

(٢) ابن الاثير جـ ٨ ص ٤٤ .

(٣) علم ذلك عن طريق أخيه العباس الذي رافق الامام في رحلته .

مائتي الف فارس وراجل ، خرج في أول شهر رمضان سنة ٢٩٦ هـ . من بلدة (رقادة) فاهتز المغرب لخروجه وخافته قبيلة زناتة ، وزالت القبائل عن طريقه ، وجاءته رسلها ودخلوا في طاعته [1] .

كتب ابو عبد الله كتاباً الى الامام يبشره بقدومه وقد ارسله مع بعض ثقاته فدخل الى السجن بزي قصاب وسلم الكتاب للامام .

طوقت جيوش ابي عبد الله سجلماسة عدة أيام فقاتل اليسع بن مدرار حتى دحرت جيوشه وولى الادبار ، فالقي عليه القبض وقيل جلد حتى قتل ، وقيل اعتنق المذهب الاسماعيلي فأطلق سراحه .

وهكذا قد زال ملك بني الاغلب من افريقيا وملك بني مدرار بعد ان استمر ١٠٣ سنوات بسجلماسة . واخرج الامام محمد المهدي من السجن في السابع من ذي الحجة سنة ٢٩٦ هـ . فبويع من عامة مسلمي سجلماسة ، وسرت الجماهير سروراً عظيماً كاد يذهب بعقولهم ثم اركب الامام على جواد ومشى بركابه أبو عبد الله ورؤساء القبائل ، وكان الداعي العظيم يبكي ويقول مخاطباً الناس (هذا مولاكم) هذا هو الامام المبين ، هذا الذي دعوتكم لإمامته فأسرعوا الى لثم ركابه وادخلوا في طاعته تكتب لكم السعادة في الدارين ، فتقدم اليه خلق كثير .

ارتحل الامام من سجلماسة بعد أن لبث فيها اربعين يوماً نحو أفريقيا فوصل مقر ملكه (رقاده) بعد ان زال ملك بني رستم من (تاهرت[2]) وأمر أن يخطب له يوم الجمعة ، وسير الدعاة الى مختلف المناطق يدعو الناس للدخول في المذهب الاسماعيلي .

---

(١) اتعاظ الحنفا ص « ٨٤ – ٨٩ – ٩٠ » ابن الاثير جـ ٨ ص « ١٩ – ٣٢ – ٣٤ »

(٢) استمر حكم بني رستم لتاهرت « ١٦٠ » سنة .

وهكذا انتهى دور الستر والتخفي الذي بدأ بالامام اسماعيل وبدأت حياة جديدة حيث استقر الامام وتولى السلطتين الزمنية والروحية ، وأخذ يمد سلطانه شرقاً وغرباً ليقيم ملكه على أساس متين .

حاول الامام محمد المهدي أن يفتح مصر بعد ان انتشرت فيها الدعوة الاسماعيلية على أيدي بعض الدعاة فأرسل سنة ٣٠١ هـ جيشاً بقيادة ولي عهده القائم فاحتل برقة واستولى على الاسكندرية والفيوم وصار في يده أكثر البلاد .

وأرسل جيشاً آخر عن طريق البحر أسند قيادته الى (حباسه) فاستولى على بعض المناطق المصرية وبعد ذلك خرج الامام متفقداً أحوال البلاد ولكي يختار مكاناً صالحاً لتشييد عاصمة ملكه فزار توش وقرطاجنة ووصل البحر ، وقد شاهد جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصلة بزند فقرر ان تبنى مدينة المهدية فيها ، وأن يجعل لها سوراً محكماً وأبواباً عظيمة زنة كل مصراع مائة قنطار . وبوشر البناء يوم السبت في الخامس من ذي القعدة سنة ٣٠٣ هجرية وشيدت فيها دار لصناعة السفن الحربية الكبيرة ، وأقيمت المعاهد العلمية في جميع المناطق ، وعم الفقه الاسماعيلي المستمد من تعاليم الامام جعفر الصادق وأمر أن يقضى بموجبه ، وشكل جيشاً قوياً من الاسماعيليين فقضى على النفوذ العباسي في تلك البلاد ، وفي الخامس عشر من ربيع الأول سنة ٣٢٢ هـ توفي الإمام المهدي ودفن بالمهدية بعد أن نص على امامة ولده القائم بأمر الله حسب النص الشرعي الإمامي .

وهنا لا بد لنا من التعرض لمزاعم بعض المؤرخين الذين باعوا ضمائرهم تلبية لرغبات الخلفاء العباسيين فدونوا ما املته عليهم عقليتهم الرعناء

وافكارهم الخبيثة وصنفوا كتباً عديدة للطعن في نسب الأئمة الفاطميين واحاطة دعوتهم بهالة من الالحاد والفجور .

فقال البعض منهم ان الخلفاء من بني فاطمة ينحدرون من ميمون القداح الديصاني وجاءوا ببراهين لا يقرها المنطق ودلائل لا يعترف بها المنصف ولا يقبلها العقل البشري .

ولقد دافع عن هذا الادعاء المقريزي فقال :

قد وقفت على مجلدة تشتمل على بضع وعشرين كراسة في الطعن على أنساب الخلفاء الفاطميين تأليف الشريف المعروف (بأخي محسن) يقول فيها بأن هؤلاء القوم من ولد ديصان الثنوي الذي تنسب اليه الثنوية [١] وديصان هذا ولد ابناً يقال له ميمون القداح وكان له مذهب في الغلو ، فولد لهذا ابن يقال له عبد الله وكان عارفاً عالماً بجميع الشرائع والسنن والمذاهب .

ولد لعبد الله هذا ابن يقال له أحمد بعد ان مات فقام ابنـه أحمد هذا في ترتيب الدعوة وادعى بانه من نسل الامام محمد بن اسماعيل .. الخ .. ويؤكد بأن عبيد الله المهدي أو محمد المهدي هو سعيد بن الحسين ابن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح بن ديصان الثنوي الاهوازي وأصلهم من المجوس [٢] الخ ...

(١) والغريب في الأمر ان ديصان هذا عاش ومات قبل ظهور الاسلام بنحو اربعة قرون انظر الفرق بين الفرق ص « ٣٣٣ »

(٢) وهنالك روايه اخرى لمن ينكر نسب الأئمة الفاطميين تقول : ان المهدي ينحدر من أصل يهودي كون الحسين بن احمد المذكور تزوج امرأة يهودية من نساء السلمية، كان لها ابن يهودي حداد مات وتركه لها فرباه الحسين وأدبه وعلمه ثم مات عن غير ولد ، فعهد الى ابن امرأته هذا فكان هو عبيد الله المهدي .

وخلاصة قول المقريزي ان الأئمة من نسل الامام علي بن أبي طالب كان عددهم وافراً وكانت مكانتهم لدى الشيعة على جانب عظيم من التقدير والاحترام فما هي الأسباب التي جعلت شيعتهم يعرضون عنهم ويدعون لابن مجوسي أو لابن يهودي ؟

فهذا لا يمكن أن يقدم عليه انسان مهما كانت درجته من السخف والجهل ، ولكن هذه الاشاعات ظهرت عندما تداعت الدولة العباسية وضعف مركزها واصاب خلفاءها الانقراض والتفكك بعد أن حكموا نحواً من ٢٧٠ سنة .

وعندما عجزوا عن مقاومة الفاطميين والوقوف في وجههم أثناء احتلالهم بلاد المغرب ومصر والشام وديار بكر والحرمين واليمن ، وخطب لهم في بغداد . عمدوا إلى الطعن في نسب الأئمة الفاطميين ليسودوا صحائفهم وليجبروا الناس على كراهيتهم ، وان القضاة الذين سجلوا شهادة الطعن على السماع في بغداد كانوا من ألد أعداء الفاطميين ومن أخلص شيعة بني العباس ولم يعرف عنهم التجرد والنزاهة والصدق [١] بل اشتهروا بكراهيتهم وبغضهم ونقمتهم على آل علي بن ابي طالب منذ ابتداء الدولة العباسية ، فتآمروا عليهم وطاردوهم وبطشوا بهم أينما وجدوا ، لذلك قرر الأئمة الفاطميون ان يستتروا عن أنظارهم وهكذا كان .

ويقول ابن الاثير معلقاً على انتساب الأئمة إلى ابن يهودي : يا ليت شعري ما الذي حمل أبي عبد الله الشيعي وغيره ممن قام في إظهار هذه الدعوة ليخرجوا الأمر من أنفسهم ويسلموه إلى ولد يهودي ؟

---

(١) اعتقد بان هؤلاء القضاة كانوا أمثال اولئك الذين اعلنوا قبل خلع فاروق بمدة أشهر بأنه ينتسب الى آل البيت بالرغم من علمهم الاكيد بأنه بعيد عن هذا النسب بعد السماء عن الارض !

وهل يسامح نفسه بهذا الأمر من يعتقده ديناً يثاب عليه ؟

وان كتاب المعتضد الى عماله حجة كافية على صحة نسب الخلفاء الفاطميين .

قال ابو زيد عبد الرحمن بن خلدون [1] :

ومن الاخبار الواهية ما يذهب اليه الكثير من المؤرخين في (العبيديين) خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة من نفيهم عن أهل البيت صلوات الله عليهم ، والطعن في نسبهم الى اسماعيل الامام ابن جعفر الصادق يعتمدون في ذلك على أحاديث لفقت للمستضعفين من خلفاء بني العباس تزلفاً اليهم بالقدح فيمن ناصبهم ، وتفننا في الشماتة بعدوهم حسب ما تذكر بعض هذه الأحاديث في أخبارهم ، ويغفلون عن التفطن لشواهد الواقعات وأدلة الأحوال التي اقتضت خلاف ذلك من تكذيب دعواهم والرد عليهم ، فتوصل شيعة آل العباس عند ظهورهم الى الطعن في نسبهم ، وازدلفوا بهذا الرأي القائل الى المستضعفين من خلفائهم واعجب به اولياؤهم وأمراء دولتهم المتولون لحروبهم مع الأعداء يدفعون به عن أنفسهم وسلطانهم معرة العجز عن المقاومة والمدافعة لمن غلبهم على الشام ومصر والحجاز من البربر الكتاميين شيعة (العبيديين) وأهل دعوتهم ، لقد سجل القضاة ببغداد نفيهم من هذا النسب وشهد بذلك من أعلام الناس جماعة منهم الشريف الرضي وأخوه المرتضى وابن البطحاوي ، ومن العلماء ابو حامد الاسفرائيني والقدوري والصيمري وابن كناني ، والابيوردي وابو عبد الله بن النعمان وغيرهم من أعلام الأمة في بغداد

---

(١) مقدمة بن خلدون ص « ١٥ — ٢٠ » اتعاظ الحنفا ص « ٦٠ — ٥٥ » نقل النص من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر .

في يوم مشهود سنة ٤٠٢ هـ في أيام الخليفة العباسي القادر وكانت شهادتهم في ذلك على السماع لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد وغالبها شيعة بني العباس الطاعنون في هذا النسب فنقله الاخباريون كما سمعوه ، ورووه حسبما وعوه والحق من ورائه ، وفي كتاب المعتضد في شأن عبيد الله إلى ابن الأغلب بالقيروان وابن مورار بسجلماسة لأصدق شاهد واوضح دليل على صحة نسبهم فالمعتضد أعرف بنسب آل البيت من كل أحد ، والدولة والسلطان سوق للعالم تجلب اليه بضائع العلوم والصنائع وتحدى اليه ركائب الروايات والأخبار ، وما نفق فيها نفق عند الكافة فإن تنزهت الدولة عن التعسف والميل والسفسفة وسلكت النهج الأمم ، ولم تجر عن قصد السبيل نفق في سوقها الابريز الخالص واللجين المصفى وان ذهبت مع الأغراض والحقود وماجت بسماسرة البغي والباطل نفق البهرج والزائف ، والناقد البصير قسطاس نظره وميزان بحثه وملتمسه . وهكذا يتضح لنا بان مشكلة الطعن في النسب الفاطمي كانت عبارة عن مؤامرة دبرت من قبل الخلفاء العباسيين عندما شعروا باضمحلال دولتهم وتقلص نفوذهم بينما اتسعت رقعة الدولة الاسماعيلية وازداد نفوذ أئمتها .

ومما لا شك فيه ان الخلفاء العباسيين كانوا يعلمون تمام العلم بأن الأئمة الاسماعيليين يتحدرون من سلالة الامام علي بن أبي طالب وان عبد الله ابن ميمون القداح (قداح الحكمة) لم يكن سوى حجة وكبير دعاة الامام محمد ابن اسماعيل ، ولكنهم اخفوا ذلك ليكرهوا الناس بالأئمة الفاطميين وهذا ما تؤيده جميع المؤلفات الاسماعيلية القديمة والحديثة على السواء .

لذا نرى أن نقدم قسماً من رسالة (فترات النطقاء والأئمة والمتممين [١]) لما يتضمنه من معلومات تاريخية قيمة حول ذلك الخلاف :

اعلم أن الدور السادس هو وقت ظهور محمد (ص) وقد كان ضده في وقته ابو لهب ، أما عمره فكان ثلاثة وستون وقت وفاته ، وقد أقام بمكة اربعين سنة وهاجر وهو ابن ثلاثة وخمسين وأقام في المدينة عشرة سنين ونقل في ربيع الأول في ليلة خلت من يوم الاثنين ، وأما وصيه فهو علي بن ابي طالب ابن عمه وصهره كرم الله وجهه عاش أيضاً ثلاث وستون سنة توفي في عام الاربعين من الهجرة ، استشهد ليلة الجمعة لاربع عشرة خلت من شهر رمضان قام بالأمر (وكالة) ولده الحسن وضده كان معاوية وكان عمره وقت وفاته سبع واربعين سنة وقبره في البقيع ثم قام من بعده الحسين صاحب النص الشرعي وكان ضده يزيد واستشهد في كربلاء في العاشر من محرم ثم أقام من بعده ولده علي زين العابدين ابن الامام الحسين وعمره سبع وخمسون سنة وقت الوفاة ، وقبره في البقيع ثم أقام من بعده ولده محمد بن علي الباقر ودفن في البقيع أيضاً ، ثم قام من بعده ولده جعفر بن محمد الصادق ومات وهو ابن خمس وستين سنة وقبره بالبقيع ، ثم قام من بعده في حياته وبين يديه حجته ولده اسماعيل فكانت حياة جعفر الصادق كحياة (يعقوب عند إنتقال الأمر الى ولده يوسف ومن يوسف الى ولده ناخور) ثم قام بالأمر من بعده محمد بن اسماعيل وفي وقته ظهرت دعاته في المشرق وفي اليمن وكان من حججه (عبد الله بن المبارك) و (عبد الله بن ميمون القداح) و (عبدالله بن حمدان) قيل عنه انه صاحب القيامة أو القائم ولكن الأمر ليس كذلك كما يتبين .

---

(١) من كتاب المحصول للداعي سيدنا شهاب الدين أبي النصر علي بن الجوش الديلمي الدمشقي ، نسخة خطية بمكتبة عارف تامر الخاصة .

أما الامام اسماعيل فكان أكمل اولاد الامام جعفر الصادق وأعلمهم وأفضلهم وقد أقام الدعاة وأمرهم ان يأخذوا العهد باسمه حسب العادة الجارية ولما حضرته النقلة أوصى الى ولده محمد وهو في نهاية الكمـــال وأقامه مقامه وفوض اليه كما قال الله تعالى « وجعلناها كلمة باقية في عقبه » فقام محمد بن اسماعيل بالامامة في حياة جده جعفر الصادق وكان والده اسماعيل متوفياً كما قام ناخور بن يوسف في حيـــاة جده يعقوب اماماً سابعاً لدور المتمين السابع المثاني الأول .

وقد كثرت دعاته وقويت دعوته حتى ان بعض المستجيبين قالوا انه صاحب القيامة فلما انتقل محمد بن اسماعيل تسلمها ولده احمد وهو أول من ستر نفسه عن الأصداء واحتجب عن الأعداء وأهل عصره المخالفين وقد كان زمانه زمان شدة ومحنة وفترة عسيرة لأن المتغلبين كانوا من بـني العباس الذين عمدوا الى معاداته حسداً له وبغضاً لأولياء الله المعصومـين فأوجب ذلك استتار الأئمة وكنى الدعاة باسمائهم تقية وستراً عليهم مما هم به وقد كانت هذه الأمور موجبة للقول بأن الامام من ولد محمد بن اسماعيل هو ميمون القداح المعروف لدى الاسماعيلية « بقداح الحكمـــة وزيد الهداية » ومن بعده الى ولده عبد الله بن ميمون القداح وهذه كنايات وصفت لا يفهمها إلا أهلها ورموز ظهر منها إختـــلال النسب لكل من لم يقف على الحقيقة وأسرار الدعوة وفي هـــذا العصر ألفت الرسائل [١] مع غيرها من كتب الدعوة .

بقي علينا أن نتعرض لأقوال المؤرخين حول مصير الداعي الكبـير ومؤسس الدولة الفاطمية في اقليم افريقيا « أبي عبد الله الشيعي » الذي

---

(١) يعني بقوله رسائل اخوان الصفاء .

تؤيد بعض المصادر قتله وصلبه من قبل الامام « محمد المهدي » بعد أن استتب له الأمر في افريقيا أو بعد أن ظهرت له خيانته بارتكابه جرم ادعاء الخلافة لنفسه ، وهذه الأقوال لا يقرها المنطق ولا يمكن أن يصدقها العقل ، فلو كان ابو عبد الله الشيعي يبغي الخلافة لنفسه لكان باستطاعته ان يحصل عليها قبل قدوم الامام محمد المهدي الى افريقيا عندما كانت جيوشه يربو عددها على المائة ألف مقاتل بينما كان الامام محمد المهدي في الرملة بطريقه اليه .

أما نحن فنقول بأن ابا عبد الله الشيعي قضى آخر أيامه بقرب الامام مخلصاً له حتى أدركته الوفاة ، فدفن باحتفال مهيب وصلى عليه الامام « محمد المهدي » .

الامام

القائم بأمر الله

ولد الامام القائم بأمر الله ابن الامام عبيد الله المهدي في محرم سنة ٢٨٠ هجرية بالسلمية ، وارتحل مع أبيه الامام محمد المهدي إلى المغرب وعهد اليه بالامامة من بعده حسب الأصول الاسماعيلية ، فاقتفى إثر أبيه وخطا خطاه ونهج نهجه ، وعمل جاهداً على تعزيز وازدهار الدعوة الاسماعيلية وتعميمها في جميع البلدان والأقاليم ، ووجه اهتمامه الزائد لتنظيم وتقوية البحرية الاسماعيلية فشكل اسطولاً عظيماً تمكن بواسطته من قهر العصابات البحرية المالطية التي كانت تأتي بأعمال القرصنة لغزو البلاد الاسماعيلية وقيامهم بأعمال النهب والسلب والتخريب ، واحتل الاسطول الاسماعيلي (جنوه) و (لونبارتي) و (غرناطة) وغيرها من البـــلاد الايطالية التي كانت خاضعة لحكم الروم ، كما فتح الاسماعيلية جزيرة (صقليا) .

رغب الامام بأن يتوسع في المغرب الاقصى ليتمكن من القضاء على الثورات الداخلية التي كان قـــد أشعلها أذناب وبقايا فلول العباسيين والامويين المتوارين عن الانظار ، فجهز جيشاً كبيراً بقيادة (ميسور الفق)

لغزو المغرب الاقصى ، فوصل إلى (فاس) وإلى (تكرور) وأرسى جيشاً بحرياً بقيادة (يعقوب بن اسحق) لغزو بلاد الروم ، كما سيّر جيشاً آخر بقيادة (زيدان) إلى مصر ، فدخلوا الاسكندرية وتقابلوا مع جيش الاخشيدي .

وفي سنة ٣٣٣ هجرية أخرج الامام القائم بأمر الله الجيوش لضبط البلاد وإعادة الأمن فيها ، فأرسل جيشاً مع (ميسور الفتى) وجيشاً آخر مع (بشره الفتى) لمحاربة قبائل زناتة التي شقت عصا الطاعة ويقودها زعيمها (ابو يزيد) فالتقى الجيشان في معركة حامية انهزم على أثرها أصحاب أبي يزيد وقتل منهم أربعة آلاف ، كما أسر خمسمائة أرسلوا إلى المهدية في السلاسل .

جمع أبو يزيد فلول جيشه المدحور متجهاً صوب تونس في العشرين من صفر سنة ٣٣٤ هجرية فوصلها ونهب جميع ما فيها وسبى النساء والاطفال وقتل الرجال وهدم المساجد ، وقد التجأ أثر ذلك أكثر الناس الهاربين إلى البحر فغرقوا .

سير الامام القائم جيشاً آخر لقتال أصحاب أبي يزيد في تونس فقتل منهم خلق كثير وولوا الادبار فدخلت جيوش الامام منصورة إلى تونس في الخامس من ربيع الأول سنة ٣٣٤ هجرية .

يستدل من هذه المعلومات التاريخية بأن عهد الامام القائم كان عهد حروب وفتوحات لنشر الدعوة في جميع البلاد وللقضاء على العناصر الهدامة الثائرة التي كانت تعيث فساداً في البلاد ولقمع غزوات القرصان الدائمة ، هذا ما جعل القسم الأعظم من البلاد يتعرض للدمار والتخريب والسلب والقتل ، ومع هذا فقد تمكن الامام من القضاء على تلك العناصر

الفاسدة وأخمد جميع الثورات الداخلية ووزع الاموال والهبات على الشعب المنكوب .

وازدهرت بعهده الدعوة الاسماعيلية وانتشرت دعاتها في جميع الأقطار ، وتبع منهم دعاة أقوياء وكتّاب عظماء كان لهم أكبر الأثر في انتشار الدعوة في ذلك العصر نذكر منهم :

الداعي الكبير سيدنا الاجل ابو حاتم الرازي الورثنياني :

كان داعياً كبيراً لبلاد الري وطبرستان واذربيجان ، وقد استطاع ان يدخل امير الري في المذهب الاسماعيلي وكان من كبار دعاة القائم بأمر الله ونؤكد انه لعب دوراً عظيماً في شؤون طهران والديلم والري السياسية فاستجاب لدعوته اعظم رجالات تلك البلاد . وله مؤلفات عظيمة منها :

١ — « كتاب الزينة » : كتاب يتألف من ١٢٠٠ صفحة في خمسة مجلدات كلها في الفقه والفلسفة الاسماعيلية .

٢ — « اعلام النبوة » : كتاب يبحث في الفلسفة الاسماعيلية .

٣ — « الاصلاح » : كتاب يتألف من ٥٠٠ صفحة يبحث في التأويل .

٤ — « الجامع » : كتاب في الفقه الاسماعيلي .

وتوفي هذا الداعي سنة ٣٢٤ هجرية .

الداعي سيدنا عبدالله بن احمد النسفي البردغي :

كان كبير دعاة خراسان وتركستان استطاع ان يدخل في المذهب الاسماعيلي الكثيرين من أهل تلك البلاد ، اشتهر في تعمقه بدراسة فلسفة المذهب الاسماعيلي ومن أشهر مؤلفاته :

١ – كتاب « المحصول » يتألف من ٤٠٠ صفحة جلهـــا في الفلسفة الاسماعيلية .

٢ – « كون العالم » .

٣ – كتاب « الدعوة الناجية » يتألف من ٧٠٠ صفحة في جزءين .

٤ – كتاب « اصول الشرع » : يبحث في الفقـــه الاسماعيلي وفلسفة ما وراء الطبيعة .

توفي هذا الداعي سنة ٣٣١ .

الداعي الكبير سيدنا ابو يعقوب بن اسحاق بن احمد السجستاني :

كان من أشهر الدعاة الاسماعيلية ومن أعظم علماء المذهب الاسماعيلي على كاهله نهضت الفلسفة الاسماعيلية وازدهرت بعهده الدعوة الفكريـة الاسماعيلية واحتلت المكان اللائق في جميع الأوساط العلميـة والفلسفية والعقائدية . له مؤلفات كثيرة منها :

١ – اساس الدعوة .

٢ – كشف المحجوب .

٣ – تأويل الشريعة .

٤ – أسس البقاء .

٥ – الافتخار .

٦ – اثبات النبوة .

٧ – تحفة المستجيبين .

٨ – الينابيع .

٩ – سلم النجاة

١٠ – المحصول .

١١ – المقاليد في منال الامر .

١٢ – مسليات الاحزان .
١٣ – الوعظ .
١٤ – خزانة الادلة .
١٥ – الكتاب القريب في منال الكثير .
١٦ – تألف الارواح .

فانت ترى أن عهد الامام القائم يتميز بشيئين هامين : أولها ، حروبه في سبيل نصرة الدعوة الاسماعيلية بالاضافة الى ما كان يتحلى بـه من شجاعة نادرة واقـدام منقطع النظير . والأمر الثاني : انتشار الدعوة الاسماعيلية على أساس علمي مبين بفضل وجود أكبر عـدد من الدعاة النشيطين المتمكنين من أسرار الدعوة مع قوة في الحجة واصالة باقناع مناقشيهم حتى دخل بالمذهب الاسماعيلي أكثر حكام النواحي والأمصار .

وتوفي الامام القائم في ١٣ شوال سنة ٣٣٤ هجرية ودفن بالمهدية ، وكانت مدة خلافته ١٢ سنة وسبعة أشهر و ١٢ يوماً بعد أن نص على امامة ابنه المنصور . ولقد مدحه أحد الشعراء بقوله :

يا ابن الامام المرتضى وابن الوصي ... المصطفى وابن النبي المرسل
الله أعطاك الخـلافة واهباً ... ورآك للاسلام أمنـع معقل
نلت الخلافة وهي أعظم رتبة ... نيلت وليست من علاك بأفضل
فمنعت حوزتها وحطت حريمها ... بالمشرفية والوشيج الذبـل

وقال آخر :

وما ودعت خير الخلق طرأً ... ولا فارقته عن طيب نفسي
ولكني طلبت بـه رضاه ... وعفو الله يوم حلول رمسي
فعاش مملكاً ما لاح نجم ... على الثقلين من جن وأنس

الامام

المنصور بن الامام القائم

ولد الامام المنصور بالله اسماعيل بن الامام القائم بالمهدية في ١ جمادى الآخر سنة ٣٠٣ هجرية ، وقيل ولد بالقيروان سنة ٣٠٢ هجرية .

تسلم شؤون الامامة بعد وفاة أبيه سنة ٣٣٤ هجرية ، وكان سياسياً عظيماً ومحارباً قديراً وخطيباً من أفصح الخطباء وأبلغهم[١] .

في عهده تقدمت الدولة الاسماعيلية تقدماً كبيراً في مختلف النواحي ، وقضى على جميع الثورات الداخلية في البلاد ، فاستتب له الأمر ، وانتشرت دعـــوته انتشاراً قوياً في كل من (صفاقص) و (تونس) و (قابس) و (جزيرة جيربه) ، واحتلت جيوشه جزيرة صقلية بكاملهـــا ووضع عليها (حسن بن علي الكلبي) ففتح ملحقات تلك الجزيرة واصبحت مقراً لقيادة البحرية الاسماعيلية .

(١) قال المقريزي في اتعاظ الحنفا ص (١٢٩) كان المنصور فصيحاً بليغاً وخطيباً حاد الذهن ، حاضر الجواب ، بعيد الغور ، جيد الحدس ، يخترع الخطبة لوقته ، واخباره مع أبي يزيد وغيره تدل على شجاعته وعقله .

كانت اعماله محصورة قبل كل شيء بأن وجه اهتمامه بالسير الى مدينة سوسه لمقاتلة جيوش ابي يزيد التي كانت تحاصر تلك المدينة وقد استطاع ابعادهم عنها وبعد ذلك ارتحل الى القيروان حيث التقى مع جيوش ابي يزيد في معركة عظيمة قتل فيها من اصحاب ابي يزيد خلق كثير ، وفي تلك المعركة تجلت عظمة الامام وشجاعته ، فكان يتمنطق بسيف جده الامام علي (ذي الفقار) ويحارب الصفوف كما كان يفعل جده في حروبه وغزواته ، فازدادت محبة الناس اليه والتحق بصفوفه خلق كثير .

هرب أبو يزيد وتوارى عن الانظار فخصص الامام جائزة قدرها عشرة آلاف دينار لمن يقبض عليه وسمح للناس في قتاله ، فجرت معارك شديدة بينهم وبينه وكثرت القتلى وطال أمد الحروب .

هزم ابو يزيد أخيراً بعد أن قتل من أصحابه ما لا يحصى له عدد وقيل ان اطفال القيروان اخذوا عشرة آلاف رأس من رؤوس اصحاب ابي يزيد [١] .

وما زال ابو يزيد هارباً والجيوش تلاحقه حتى التجأ الى جبل البربر وجمع خلقاً كثيراً لمقابلة جيش الامام المنصور ولكنه هزم فأدركه أحد الامراء الاسماعيليين وقبض عليه وساقه الى الامام المنصور وكان ذلك سنة ٣٣٦ هجرية ، فقتله وامر الامام ان تبنى مدينة (المنصورية) تيمناً بذلك الانتصار العظيم ، ثم عاد الامام الى المهدية في شهر رمضان عام ٣٣٦ هجرية فمهد بالامامة من بعده لولده المعز لدين الله وتوفي يوم الاحد في الثالث والعشرين من شوال سنة ٣٤٦ هجرية ، ودفن جسده الطاهر في مدينة المنصورة وقيل كانت وفاته سنة ٣٤٣ هجرية ودفن بالمهدية .

---

(١) اتعاظ الحنفا بإخبار الائمة الفاطميين الخلفاء ص « ١٢٢ » .

الامام

المعز لدين الله معد بن الامام المنصور

ولد الامام المعز لدين الله معد بن الامام المنصور في ١١ رمضان سنة ٣١٩ هجرية [١] في مدينة المهدية من أعمال تونس ، وبويع بالخلافة والامامة في ٧ ذي الحجة سنة ٣٤١ هجرية [٢] ، وكان أول عمل قام به تجهيزه الجيوش والخروج بها باتجاه شمالي افريقيا [٣] للقضاء على الثائرين من أهل تلك البلاد ، واندحر أكثر الثوار والتجأوا إلى جبال « اوراس » المنيعة وكانوا من قبائل « بني كملان ، ومليله ، وهواره » .

وبالرغم عن وعورة الطرقات وصعوبة المسالك في تلك الجبال لم تمنع جيوش الامام من التقدم والوصول إلى أعاليها واحتلالها بكاملها وادخال الثائرين تحت طاعة الامام المعز لدين الله وكان ذلك عام ٣٤٦ هجرية .

---

(١) قيل ولد سنة ٣١٧ هجرية .

(٢) بويع المعز بولاية العهد في حياة أبيه المنصور بالله في اليوم السابع من ذي الحجة سنة ٣٤١ ، ولما قام بعد وفاة أبيه سنة ٣٤٢ جددت له البيعة .

(٣) يراد بها شمالي افريقيا من برقة الى مراكش .

وبعد ذلك وجه الامام عنايته الزائدة للبرابرة فأحسن اليهم ولم يمسهم بأذى فاعتنقوا المذهب الاسماعيلي عن بكرة أبيهم ، ووزع الامام الولاة الاكفاء على الاقاليم وزودهم بتعاليمه وارشاداته القيمة (١) .

وفي سنة ٣٤٨ هجرية أرسل جيشاً بقيادة جوهر « الصقلي » لقتال أهل المغرب الأقصى بعد أن نقضوا البيعة وأظهروا ولاءهم لأمير الأندلس الاموي فاحتلت الاسماعيلية تاهرت وفاس وسجلماسة ، والقي القبض على العمال الأمويين في سائر بلاد المغرب ، وتقدمت الجيوش في البلاد حتى أتى الى (البحر المحيط) فأمر جوهر باصطياد الاسماك وجعلها في قلال الماء وأرسلها إلى امامه المعز إشارة منه بأنه أدى المهمة على أكمل وجه وطهر البلاد حتى البحر المحيط الذي لا عمار بعده (٢) . ولما وصلت أخبار النصر مع الهدايا إلى الامام المعز وهو في مجلس يضم نخبة من رجال الدولة وبينهم الشاعر الاسماعيلي الكبير ابن هاني الاندلسي فقام منشداً مهنئاً الامام المعز بالنصر واصفاً الهدية بقصيدته الرائعة (٣) :

ألا هكذا فليهد من قاد عسكرا ... وأورد عن رأي الامام وأصدرا
هديـــة من أعطى النصيحة حقّها ... وكان بما لم يبصر الناس ابصرا
ألا هكذا فلتجلب العيس بدناً ... ألا هكذا فلتنجب الخيل ضمراً
مرفـــلة يسحبن أذيال يمنـة ... ويركضن ديباجاً ووشياً محبراً
تراهن أمثال الظبـــاء عواطياً ... لبسن بيبرين (٤) الربيـع المنورا

---

(١) ابن الاثير ج ٧ ص ٣٧٤ .
(٢) ابن خلدون ج ٢ ص ١٣٢ المقريزي ج ٢ ص ٢٠٥ .
(٣) من ديوان ابن هاني الاندلسي ص ٣٥٢ وهذه القصيدة عثر عليها في كتاب عيون الاخبار للداعي الاسماعيلي ادريس عماد في (السبع السادس) .
(٤) يبرين : أرض فيها رمل من أصقاع البحرين .

يمشين مشي الغانيات تهـادياً | عليهن زي الغـانيات مشهدا
وجررن أذيال الحسان سوابقاً | فعلمن فيهن الحسان تبخترا
فلا يسترن الوشي حسن شياتها | فيستر أحلى منه في العين منظرا
ترى كل مكحول المدامـع ناظراً | بمقلة أحوى ينفض الضال أحورا
فكم قائل لمـا رآها شوافناً[1] | أمـا تركوا ظبياً بتيماء أعفرا
وما خلت أن الروض يختال ماشياً | ولا أن أرى في أظهر الخيل عبقرا
الا انما كانت طلائع جوهر | ببعض الهدايا كالعجالة للقرى[2]
ولو لم يعجل بعضها دون بعضنا | لضاق الثرى والماء طرقاً ومعبرا
اقـول لصحبي اذ تلقيت رسله | وقد غصت البيداء خفاً ومنسرا
وقد مارت البزل القناعيس[3] جبلا | وقد ماجت الجرد العناجيج أبحرا
فطابت لي الانباء عنه كانه | لطائم ابـل تحمل المسك اذفرا
لعمري لئن زان الخلافـة ناطقاً | لقـد زان ايام الحروب مدبرا
تضج القنا منه لمـا جشم القنا | وتضرع منه الخيل والليل والسرى
هو الرمح فاطعن كيف شئت بصوره | فلن يسأم الهيجا ولن يتكسرا
لقد أنجبت منه الكتائب مدرها | سريع الخطى للصالحات ميسرا
وصرف منه الملك ما شاء صارماً | وسهماً وخطياً ودرعاً ويغفرا
ولم أجـد الانسان إلا ابن سعيه | فمن كان أسعى كان بالمجد أجدرا
وبالهمـة العلياء يرقى إلى العلى | فمن كان أرقى همة كان أظهرا
ولم يتأخر من يريـد تقدماً | ولم يتقدم من يريـد تأخراً
وقـد كانت القواد قبل جوهر | لتصلح أن تسعى لتخدم جوهرا

---

(١) شفنه : نظر اليه بمؤخر عينه كالمتعجب .
(٢) أسقط المؤلف هنا ثلاثين بيتاً من القصيدة خوفاً من التطويل فلتراجع بالديوان .
(٣) القناعيس : جمع قنعاس وهو الضخم العظيم من الابل .

على أنهم كانوا كواكب عصرهم ... ولكن رأينا الشمس أبهى وأنورا
فلا يعـد من الله عبدك نصره ... فما زال مقصور اليدين مظفرا
اذ حاربت عند الملائكة المدى ... ملأت سماء الله باسمك مشعرا
وما اخترته حتى صفا ونفى القذى ... بل الله في أم الكتاب تخـيرا
ولكنه بالجيش والأمر كـله ... فوكلت بالفيل الهزبر الغضنفرا
كأنك شاهدت الخفـايا سوافراً ... وأعجلت وجـه الغيب ان يتسترا
فعرفت في اليوم البصيرة في غـد ... وشاركت في الرأي القضاء المقدرا
وما قيس وفر المال في كل حالة ... بجودك الا كان جودك أوفرا
فلا بخل يا أكرم الناس معشراً ... وأطيب أبنـاء النبيين عنصرا
فانك لم تترك على الأرض جاهلا ... وانك لم تترك على الارض معسرا
ألا انظر الى الشمس المنيرة في الضحى ... وما قبضته أو تمـد على الثرى
فاثقب منها نار زندك للقرى ... واشهر منها ذكر جودك في الورى
بلغت بك العليا فلم أدن مادحاً ... لأسأل لكني دنوت لأشكرا
وصدق فيك الله ما أنا قائل ... فلست أبالي من أقل وأكثرا

ولم يرجع القائد جوهر لعند مولاه إلا بعد أن استأصل جميع الفتن في البلاد ، ولم تبق مدينة إلا وأقيمت فيها الدعوة الاسماعيلية وخطب فيها للامام الاسماعيلي ، ثم عاد جوهر غانماً مظفراً ومعه صاحب سجلماسة وفاس أسيرين في أقفاص من حديد ودخل بهما المنصورية في يوم مشهود[١] .

وفي سنة ٣٥١ هـ أوعز الامام المعز إلى احمد بن الحسن نائبه على صقلية بفتح القلاع التي بقيت للروم في تلك الجزيرة فغزاها وفتح (طبرمين) [٢]

---

(١) اتعاظ الحنفا ص ١٣٥ الخطط للمقريزي جـ ٢ ص ١٦٧ .
(٢) قلعة بصقلية حصينة .

وغيرها من القلاع الحصينة .

وفي سنة ٣٥٤ هـ ، حوصرت قلعة (رمطة) في جزيرة صقلية وجرت معارك عظيمة قتل فيها قائد الروم (منويل) وانهزم جيشه في المراكب ناجين بأنفسهم ، فتبعهم القائد الاسماعيلي العظيم الامير احمد وجنوده فألقوا – أي الجنود المسلمون – أنفسهم بالماء ، وأحرقوا كثيراً من مراكب الروم فغرقت وكثر القتل في الروم فولوا الادبار بعد أن أسر الف من عظمائهم ومائة بطريق من بطارقتهم وغنمت الاسماعيلية غنائم كثيرة كان منها سيف هندي كتب عليه (هذا سيف هندي وزنه مائة وسبعون مثقالاً طالما ضرب به بين يدي رسول الله) فأرسل إلى الامام المعز مع الأسرى [1] وتعرف هذه الوقعة بوقعة (المجاز) وهي التي وصفها الشاعر الاسماعيلي ابن هانيء بقصيدة عدد أبياتها ١١٣ بيتاً نقتطف منها ما يلي :

يوم عريض في الفخار طويل … لا تنتضي غرر له وحجول
قل للدمستق مورد الجمع الذي … ما أصدرته له قنا ونصول [2]
سل رهط منويل وانت غررته … في أي معركة ثوى منويل
منع الجنود من القفول رواجعاً … تبتاً له بالمنديات قفول [3]
ان التي رام الدمستق حربها … لله فيها صارم مسلول
ليت الهرقل يدا بها حتى انثنى … وعلى الدمستق ذلة وخمول
نحرت بها العرب الاعاجم انها … رمح اعق ولهذم مصقول

(١) ابن الأثير جـ٨ ص ٤٠٤ – ٤١٤ ابن خلدون جـ ٤ ص ٢٠٧ – ٢١١

(٢) قبل هذا البيت ٢٣ بيتاً .

(٣) يعلق شارح الديوان على هذا البيت بقوله :
يظهر من قوله هذا ان منويل رجع من هذه الوقعة بخزي ، ولكن ابن الاثير يقول انه قتل، فيمكن ان يكون الشاعر اثار الى وقعة اخرى ايضاً وقعت قبل وقعة المجاز . المنديات : المخزيات، وفي رواية المندبات بمعنى اثار الجراح .

ما ذاك الا ان حبل قطنها بحبال آل محمد موصول
من يهتدي دون المعز خليفة ان الهداية دونه تضليل
من يشهد القرآن فيه بفضله وتصدق التوراة والانجيل
كل الائمة من جدودك فاضل فاذا خصصت فكلهم مفضول
فافخر فمن انسابك الفردوس ان عدت ومن احسابك التنزيل
وأرى الورى لغواً وانت حقيقة ما يستوي المعلوم والمجهول
شهد البرية كلها لك بالعلى ان البرية شاهد مقبول
والله مدلول عليه بصنعه فينا وانت على الدليل دليل

وفي سنة ٣٥٨ عزم الامام المعز ان يفتح مصر التي كانت من أضعف البلاد التي يسيطر عليها العباسيون وأشدها اضطراباً فجهز جيشاً عظيماً بقيادة (جوهر الصقلي) وسيره الى مصر في ١٤ ربيع الأول سنة ٣٥٨ هـ وخرج الامام بنفسه لتوديع القائد جوهر وأقام اياماً في معسكره (١)

وكان يجتمع إلى جوهر كل يوم ، وخرج اليه يوماً فقام جوهر بين يديه وقد اجتمع الجيش فخاطب الامام الدعاة الذين سيرهم مع جوهر فقال :

(لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر ولتدخلن الى مصر بالاردية من غير حرب ، ولتنزلن في خرابات ابن طولون وتبني مدينة تسمى القاهرة) ثم استعرض الجيش وودع القواد والامراء ، ولقد وصف ذلك العرض العسكري العظيم الشاعر الاسماعيلي الفحل ابن هاني الاندلسي حيث يقول :

رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع وقد راعني يوم من الحشر أروع
غداة كان الافق سد بمثله فعاد غروب الشمس من حيث تطلع

---

(١) ابن خلكان جـ ٢ ص ١٠٢ .

فلم أدر اذ سلمت كيف أشيع ... ولم أدر اذ شيعت كيف أودع
وكيف أخوض الجيش والجيش لجة ... واني بمن قد قاده الدهر مولع
وأين ومالي بين ذا الجمع مسلك ... ولا لجوادي في البسيطة موضع
ألا ان هذا حشد من لم يذق له ... غرار الكرى جفن ولا بات يهجع
نصيحته للملك سـدت مذاهبي ... وما بين قيد الرمح والرمح أصبع
فقد ضرعت منه الروابي لما رأت ... فكيف قلوب الانس والانس أضرع
فلا عسكر من قبل عسكر جوهر ... تخب المطايا فيه عشراً وتوضع
تسير الجبـال الجامدات بسيره ... وتسجد من أدنى الحفيف وتركع
إذا حل في أرض بناها مدائنـاً ... وان سار عن أرض ثوت وهي بلقع
سموت له بعـد الرحيل وفاتني ... فاقسمت ألا لاءم الجنب مضجع
فلما تداركت السرادق في الدجى ... عشوت إليه والمشاعـل ترفع
فتخرق جيب المزن والمزن دالح ... وتوقد موج اليم والـيم أسفع
فبت وبات الجيش جمـاً سميره ... يؤرقني والجن في البيـد هجع
وهمهم رعد آخر الليل قاصف ... ولاحت مع الفجر البوارق تلمع
وأوحت الينا الوحش ما الله صانع ... بنا وبكم من هول مـا تسمع
ولم تعلم الطير الحوائم فوقنـا ... إلى اين تستذري ولا أين تفزع
إلى أن تبدى سيف دولة هاشم ... على وجهه نور من الله يسطـع
كأن ظلال الخافقـات أمامه ... غمائم نصـر الله لا تنقشع
كأن السيوف المسلطات إذا طمت ... على البر بحر زاخر الموج مترع
كأن أنابيب الصعـاد أراقم ... تلمظ في أنيابهـا السم منقع
كأن العتـاق الجـرد مجنوبة له ... ظباء ثنت أجيادهـا وهي تتلع
كأن الكماة الصيد لما تغشمرت ... حواليه أسد الغيل لا تتكعكع (١)

(١) تغشمر : تنمر وغضب . وتكعكع الرجل : احتبس عن وجهه وجبن لغة .

كأن حماة الرجل تحت ركابه سيول نداه أقبلت تتدفع
كأن سراع النجب تلشر يمنة على البيد آمى في الضحى يترفع
كأن صعاب البخت إذ ذللت له أسارى ملوك عضها القد ضرع
كأن خلاخيل المطايا إذا غدت تجاوب أصداء الفلا تترجع
يهيج وسواس البرين (١) صبابة عليهــا فتغرى بالحنين وتولع
لقد جل من يقتاد ذا الخلق كله وكل له من قائم السيف أطوع
تحف به القـواد والأمر أمره ويقدمه زي الخلافة أجمع
ويسحب أذيال الخلافة رادعاً به المسك من نشر الهدى يتضوع
له حلل الاكرام خص بفضلها نسائج بالتبر الملمع تلمع
برود أمير المؤمنين بروده كساه الرضى منهن ما ليس يخلع (٢)
وبين يديه خيله بسروجه تقاد عليهن النضار المرصع
وأعلامه منشورة وقبابه وحجابه تدعى لأمر فتسرع
مليك ترى الأملاك دون بساطه وأعناقهم ميل إلى الأرض خضع
تحل بيوت المال حيث يحله وجم المطايا والرواق المرفع
اذ ماج أطناب السرادق بالضحى وقامت حواليه القنا تتزعزع
وسل سيوف الهند حول سريره ثمانون ألفاً دارع ومقنع
رأيت من الدنيا اليه منوطة فيمضي بما شاء القضاء ويصدع
وتصحبه دار المقامة حيثما أناخ وشمل المسلمين المجمع
وتعنو له السادات من كل معشر فلا سيد منه أعز وأمنع
فلله عينا من رآه مخيماً إذا جمع الأنصار للاذن مجمع

---

(١) البرين: جمع بره وهي حلقة تجعل في أنف البعير .
(٢) يقال لما ودع المعز قائده جوهر اعطاه خلعة سلبة من لباسه الخاص والى ذلك أشار الشاعر بهذا البيت والذي قبله .

ونودي بالترحال في فحمة الدجى   فجاءته خيل النصر تردي وتمزع
فلاح لها من وجهه البدر طالعاً   وفي خده الشعرى العبور تطلع
فكبرت الفرسان لله إذ بدا   وظل السلاح المنتقى يتقعقع [١]
وحف به أهل الجلاد فمقدم   وماض وأصليت وطلق وأروع
وعب عباب الموكب الفخم حوله   وزف كما زف الصباح الملمع
لقد فاز منه مشرق الأرض بالتي   تفيض لها من مضرب الأرض أدمع [٢]
ألا كل عيش دونه فمحرم   وكل حريم بعده فمضيع
وإن بنا شوقاً إليه ولوعة   تكاد لها أكبادنا تتصدع
ولكنا يسلي من الشوق أنه   لنا في ثغور المجد والدين أنفع
وأن المدى منه قريب وانما   اليه من الإيماء بالحظ أسرع
فسر أيها الملك المطاع مؤيداً   فللدين والدنيا اليك تطلع
وقد أشعرت أرض العراقين خيفة   تكاد لها دار السلام تتضعضع
وأعطت فلسطين القياد وأهلها   فلم يبق منها جانب يتمنع
وما الرملة المقصورة الخطو وحدها   بأول أرض ما لها عنك مفزع
رحلت إلى الفسطاط أيمن رحلة   بأيمن فالٍ في الذي أنت مجمع [٣]
ولما حثثن الجيش لاح لأهله   طريق إلى أقصى خراسان مهيع
إذا استقبل الناس الربيع وقد غدت   مدون الربى في سندس تتلفع
وما جهلت مصر وقد قيل من لها   بانك ذاك الهبرزي السميدع [٤]
وأنك دون الناس فاتح قفلها   فانت لها المرجو والمتوقع

(١) وقبله : واضحى مردى بالنجاة كأنه   هزبر عرين ضم جنبيه أشجع
(٢) اسقط المؤلف قبل هذا البيت أربعة ابيات .
(٣) اسقط المؤلف ايضاً هنا اربعة ابيات .
(٤) اسقط المؤلف ايضاً هنا خمسة أبيات .

فان يك في مصر رجال حلومها فقد جاءهم نيل سوى النيل يهرع
ويممهم من لا يغير بنعمة فيسلبهم لكن يزيد فيوسع
ولو حططت الغيث في عقر دارهم كشفت ظلام المحل عنهم فأمرعوا
وداويتهم من ذلك الداء انه إلى اليوم رجز منيهم ليس يقلع
وكفكفت عنهم من يجور ويعتدي وأمنت منهم من يخاف ويجزع
إذاً لرأوا كيف العطايا بحقها لسائلها منهم وكيف التبرع
وأنساهم الاخشيد من شسع نعله أعز من الأخشيد قدراً وأرفع
سيعلم من ناواك كيف مصيره ويبصر من قارعته كيف يقرع
تحملت أعباء الخلافة كلها وغيرك في أيام دنياه يرتع (١)
فوالله ما أدري أصدرك في الذي تدبره أم فضل حلمك أوسع
نصحت الامام الحق لما عرفته وما النصح إلا أن يكون التشيع
فأنت أمين الله بعد أمينه وفي يدك الأرزاق تعطى وتمنع
وما بلغ الاسكندر الرتبة التي بلغت ولا كسرى الملوك وتبع
سموت من العليا إلى الذروة التي ترى الشمس فيها تحت قدرك تضرع
إلى غاية ما بعدها لك غاية وهل خلق افلاك السموات مطلع
إلى أين تبغي ليس خلفك مذهب ولا لجواد في لحاقك مطمع

سار القائد جوهر فدخل الاسكندرية بلا حرب ثم عمد الى الفسطاط فهزم من كان بها من العساكر الأخشيدية ووصل ان مدينة شلقان فعبر منها الى مصر فدخلها يوم الثلاثاء الخامس عشر من شعبان سنة ٣٥٨ بعد العصر وأناخ في موضع القاهرة الآن واختط موضع القصر .

وفي اليوم التالي جاء المصريون ليهنئوه فوجدوه قد حفر أساس

(١) أسقط المؤلف قبل هذا البيت خمسة أبيات .

القصر في الليل وقيل كان فيه زورات جاءت غير معتدلة فلم تعجبه فقال (خوت في ساعة سعيدة فلا اغيرها) [١]

واستمر دخول الجيش مدة سبعة أيام فاستقرت به الدار وجاءته الهدايا فلم يقبل من أحد شيئاً ، ووزع الصدقة على المستورين والفقراء وخطب في الجامع العتيد باسم الامام المعز وأمر ببناء مدينة القاهرة وضرب النقود باسم الامام المعز ، وخصص يوم السبت من كل اسبوع لينظر في المظالم بنفسه وارسل يخبر الامام بفتح مصر فوصلت البشارة الى المغرب في نصف رمضان سنة ٣٥٨ هجرية فسر الامام سروراً عظيماً وأقيمت الافراح في جميع البلاد وأنشد الشاعر ابن هانيء الاندلسي فقال :

تقول بنو العباس هل فتحت مصرُ ... فقل لبني العباس قد قضي الأمر
وقد جاوز الاسكندرية جوهر ... تُطالعه البشرى ويقدُمه النصر
وقد أوفدت مصر اليه وفودها ... وزيد الى المعقود من جسرها جسر
فما جاءَ هذا اليوم الا وقد غدت ... وأيديكم منها ومن غيرها صفرُ
فلا تكثروا ذكرَ الزمان الذي خلا ... فذلك عصر قد تقضى وذا عصرُ
أفي الجيش كنتم تمترون رويدكم ... فهذا القنا العرّاصُ والجحفل المجر
وقد اشرفت خيل الاله طوالعاً ... على الدين والدنيا كما طلع الفجر
وذا ابن نبي الله يطلبُ وتره ... وكان حرٍ ان لا يضيع له وتر
ذروا الوردَ في ماء الفرات لخيله ... فلا الضحلُ منه تمنعون ولا الغَمرُ
أفي الشمس شكٌ انها الشمسُ بعدما ... تجلت عياناً ليسَ من دونها سترُ
وما هي الا آية بعد اية ... ونذر لكم إن كان يغنيكم النذر
فكونوا حصيداً خامدين أو ارعووا ... إلى ملك في كفه الموت والنشر

---

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٢١٢ ـ اتعاظ الحنفا ص ١٥٨ ـ خطط المقريزي ج ٢ ص ٢٠٤ .

أطيعوا إمـــاما للأئمـــة فاضلا   كما كانت الاعمال يفضلهـــا البر
يردوا ساقيا لا تنزفون حياضه   جمومـــاً كما تنزف الأبحر الذر
فـــان تتبعوه فهو مولاكم الذي   له برسول الله دونـــكم الفخر
وإلا فبعـــدا للبعيد فبينـــه   وبينـــكم مـــا لا يعمر به الدهر
أفي ابن أبي السبطين أم في طليقـكم   تـــنزلت الآيات والسور الغر
بني نثلة ما أورث الله نثـــلة   وما نسلت هل يستوي العبد والحر
وأني بهذا اوهي أعدت برقهـــا   أباكم فاياكم ودعوى هي الـكفر
ذروا الناس ردوهم الى من يسوسهم   فمـــا لكم في الامر عرف ولا نكر
أسرتم قرومـــاً بالعراق اعزة   فقد فك من اعناقهم ذلك الاسر
وقد بزكم أيامـــكم عصب الهدى   وانصار دين الله والبيض السمر
ومقتبل أيامه متلهل تحـــيزت   اليه الشباب الغض والزمن النضر
ادار كما شاء الورى   على السبعة الافلاك انمـله العشر
اتدرون من ازكى البرية منصباً   وافضلها إن عدد البدو والحضر
تعالوا إلى حكام كل قبيـــلة   ففي الأرض اقيال وأنديـــة زهر
ولا تعدلوا بالصيد من آل هاشم   ولا تتركوا فهراً وما جمعت فهر
فجيئوا بمن ضمت لؤي بن غالب   وجيئوا بمن أدت كنانة والنضر
ولا تذروا عليا معـــد وغيرها   ليعرف منكم من له الحق والأمر
ومن عجب ان اللسان جرى لهم   بذكر على حين انقضوا وانقضى الذكر
فبادروا وعفى الله آثار ملكهم   فلا خبر يلقاك عنهم ولا خبرو
ألا تلكم الأرض العريضة أصبحت   وما لبني العباس في عرضها فتر
فقد دالت الدنيا لآل محمـــد   وقد جررت أذيالها الدولة البكر
ورد حقوق الطالبين من ذكت   صنائعه في اله وزكا الذخر
معز الهدى والدين والرحم التي   به اتصلت اسبابها وله الشكر

من اننا شهم في كل مشرق ومغرب — فبدل أمناً ذلك الخوف والذعر
فكل إماميّ يجيء كأنما — على خده الشعرى وفي وجهه البدر
فدونكموها أهل بيت محمد — صفت بعز الدين جماتها الكدر
فقد صارت الدنيا اليكم مصيرها — وصار له الحمد المضاعف والشكر
امام رأيت الدين مرتبطاً به — فطاعته فوز وعصيانه خسر
أرى مدحه كالمدح لله انه — قنوت وتسبيح يحط به الوزر
هو الوارث الدنيا ومن خلقت له — من الناس حتى يلتقي القطر والقطر
وما جهل المنصور في المهد فضله — وقد لاحت الاعلام والسمة البهر
رأى ان سيسمى مالك الارض كلها — فلما رآه قال ذا الصمد الوتر
وما ذاك أخذاً بالفراسة وحدها — ولا أنه فيها إلى الظن مضطر
ولكن موجوداً من الأثر الذي — تلقاه من حبر ضنين به حبر
وكنزاً من العلم الربوبي انه — هو العلم حقاً لا القيافة والزجر
فبشر به البيت المحرم عاجلا — اذا أوجف التطواف بالناس والنفر
أهنيك بالفتح الذي أنا ناظر — اليه بعين ليس يغمضها الكفر
وما ضر مصراً حين ألقت قيادها — اليك أقر النيل أم غاله جزر
فلم يهرق فيها لذي ذمة دم — حرام ولم يحمل على مسلم إصر
غدا جوهر فيها غمامة رحمة — يقي جانبيها كل حادثة تعرو
كأني به قد سار في الناس سيرة — تود لها بغداد لو أنها مصر
وتحسدها فيه المشارق انه — سواء اذا ما حل في الأرض والقطر
سننت له فيهم من العدل سنة — هي الآية الجلى ببرهانها السحر
وأوصيته فيهم برفقك مردفاً — بجودك معقوداً به عهدك البتر
وصاة كما أوصى بها الله رسله — وليس بأذن أنت مسمعها وقر
يقول رجال شاهدوا يوم حكمة — بذا تعمر الدنيا ولو أنها قفر

بذا لا ضياع حللوا حرماتهـــا وأقطاعها فاستصفي السهل والوعر
فحسبكم يا أهل مصر بعـــدله دليـــلا على العدل الذي عنه يفتر
فذاك بيـــان واضح عن خليفة كثير سواه عند معروفه نزر
رضينا لـكم يا أهل مصر بدولة أطاع لنا في ظلهـا الأمن والوفر
فيا مالـكا هدْي الملائك هديه ولكن فجر الأنبيـــاء له فجر
ويا رازقا من كفه نشأ الحيـــا والا فمن أسرارهـا نبع البحر
ألا انمـــا الأيام أيامك التي لك الشطر من نعمائها ولنا الشطر
لك المجد منها يالك الخير والعلى وتبقى لنا منهـــا الحلاوة والدر
لقد جدت حتى ليس للمال طالب وانفقت حتى ما لمنفسة قـــدر
فليس لمن لا يرتقي النجم همة وليس لمن لا يستفيد الغنى عذر
ودوت لجيل قد تقـدم عصرهم لو استأخروا فيحلية العمر او كروا
ولو شهدوا الايام والعيش بعدهم حدائق والآمـــال مونقة خضر
فلو سمع التثويب من كان رمة رفاتاً ولبى الصوت من ضمه قبر
لناديت من قد ماتَ حي بدولة تقـــام لها الموتى ويُرتجع العمر

مكث القائد جوهر في مصر والياً عليها من قبل الامام المعز فنظم شؤونها الداخلية خير تنظيم وكان الغلاء شديداً فعـــدل الأسعار وحظر بيع الطحين الا باشرافه غـــير ان بعض الطحانين خالفوا الاوامر فأمر بجمعهم في موضع واحد وضرب احدى عشر رجـــلا منهم وطيف بهم وقضى على مروجي الفتن والقلاقل ، وأرسل جيشاً بقيادة جعفر بن فلاح فاستولى على الرملة وطبرية ودمشق وخطب للامام في حلب وحمص .

وفي سنة ٣٦٠ هجرية هـــاجم القرامطة في مصر فقاتلهم جوهر قتالاً مريراً حتى هزمهم ونادى في جميع أنحاء البلاد (من جاء بالقرمطي أو برأسه فله ثلاثة مائة الف درهم وخمسون خلعة وخمسون سرجاً تحل على

دوابها[١] ، وغزا الاسطول الاسماعيلي الساحل الفلسطيني فاحتله بكامله وفي سنة ٣٦١ هجرية في الثاني والعشرين من شوال غادر الامام المعز بلاد المغرب متجهاً الى مصر وأرسل كتاباً الى القائد جوهر يعلمه بأنه قد عزم على نقل مقر خلافته الى القاهرة فتأهب القائد جوهر للاحتفال بلقائه.

وصل الامام المعز الى الاسكندرية في ٢٤ شعبان سنة ٣٦٢ هجرية ثم سار الى القاهرة فوصلها في السابع من رمضان وسكن القصر الذي بناه له القائد جوهر.

وهكذا اصبحت مصر داراً للخلافة الاسماعيلية وأصبح الامام المعز أول خليفة فاطمي فيها فعمل على ترقية العلوم والثقافة وأمر ببناء جامع الأزهر وجعله داراً للعلوم ومنهلاً للثقافة والفكر ، وشجع العلماء وخصص لهم المبالغ الطائلة فوفدوا عليه من كل قطر حيث وجدوا المساعدات والتشجيع.

ووجه الاعتناء الزائد لمكتبة القصر وأشرف بنفسه على تأليف الكتب الاسماعيلية ، فتقدمت الثقافة الاسماعيلية تقدماً باهراً وازدهرت العلوم فنبغ في عهده شعراء وفلاسفة نهضت على كواهلهم الدعوة الاسماعيلية.

ولقد اهتم الامام المعز بالتنظيمات الادارية وأنشأ محكمة للنظر في المظالم . كما عين الولاة والحكام المشهورين بنزاهتهم وحسن ادارتهم وقضى على الفوضى والمحسوبية والرشوة وعمل على تقوية الجيش وشيد داراً لصنع السفن البحرية وهذا ما جعل الاسطول الاسماعيلي يصبح مفخرة الدول الاسلامية وأعظم اسطول في الشرق.

توفي الامام المعز بعد ثلاثة سنوات من حكمه في مصر ، وكان ذلك في يوم الجمعة الحادي عشر من ربيع الأول سنة ٣٦٥ هجرية بعد أن نص

(١) اتعاظ الحنفا ص ١٨٣

على إمامة ولده العزيز ودفن في القاهرة. وكان المعز حلو الحديث، غير متكبر أو متجبر، يحب الاصلاح ويسعى لما فيه صالح شعبه.

ولا بد لنا بعد ان وصلنا الى هنـــا من أن نأتي على ذكر بعض رجالات الدعوة الاسماعيلية في عهد هذا الامام نظراً للمكانة التي كانوا يحتلونها في عصره.

القائد جوهر الصقلي:

مملوك رومي اصله من جزيرة صقلية جاء به أحد التجار وعرضه للبيع فاشتراه الامام المعز ورباه في قصره فاخلص له وتفانى في خدمته فأعلى قدره وجعله قائداً لجيوشه ففتح المدن ودوخ الملوك والأمراء، وسار من بلاد المغرب على رأس حملة مصر فاحتلها وانقذ البلاد من ظلم العباسيين وعبث الحكام والولاة وأبعد عن القطر المصري خطر القرامطة والروم وبذلك تمكن من تأسيس مملكة مستقلة تنافس الخلافة العباسية وتقف في وجـه مطامع الروم وسواهم، وبقي هذا القائد العظيم بمنزلة سامية لدى الخلفاء الفاطميين الذين أتوا بعد وفاة الامام المعز حتى توفي في يوم الاثنين لسبع بقين من ذي القعدة سنة ٣٨١ هجرية فرثاه اكثر الشعراء، ولقد كان القائد جوهر كاتباً بارعاً ومحسناً كبيراً[١] خدم الدولة الاسماعيلية خدمات جلى لا تحصى.

استدعى الامام المعز وهو بالمنصورية في يوم شات بارد الريح عـدداً من كبار رجالات كتامة وشيوخهم فدخلوا عليه فقال لهم:

يا اخواننا أصبحت اليوم في مثل هـــذا الشتاء والبرد، فقلت لأم

---

(١) خطط المقريزي ج ٢ ص ٢٠٢.

الأمراء ، وانها الآن بحيث تسمع كلامي : أترى اخواننا يظنون أنا من مثل هذا اليوم نأكل ونشرب ونتقلب في المثقل والديباج والحرير والفنك والسمور والمسك والخمر والغناء كما يفعل أرباب الدنيا ؟ ثم رأيت أن أنفذ اليكم فأحضركم لتشاهدوا احوالي إذ خلوت دونكم واحتجبت عنكم واني لأفضلكم في أحوالكم إلا فيما لا بد لي منه من دنياكم وبما خصني الله به من إمامتكم واني مشغول بكتب ترد علي من المشرق والمغرب أجيب عنها بخطي ، واني لا اشتغل بشيء من ملاذ الدنيا الا بما يصون ارواحكم ويعمر بلادكم ويذل أعداءكم ويقمع أضدادكم فافعلوا يا شيوخ في خلواتكم مثل ما افعله ، ولا تظهروا التكبر والتجبر فينزع الله النعمة عنكم وينقلها الى غيركم ، وتحننوا على من وراءكم ممن لا يصل الي كتحنني عليكم ، ليتصل في الناس الجميل ويكثر الخير وينتشر العدل ، وأقبلوا بعدها على نسائكم والزموا الوحدة التي تكون لكم ولا تشرهوا الى التكثر منهن والرغبة فيهن فيتنغص عيشكم وتعود المضرة عليكم وتنهكوا أبدانكم وتذهب قوتكم وتضعف تحايزكم فحسب الرجل الواحد الواحدة ونحن محتاجون الى نصرتكم بابدانكم وعقولكم ، واعلموا انكم اذا لزمتم ما امركم به رجوت أن يقرب الله علينا أمر المشرق كما قرب أمر المغرب بكم انهضوا رحمكم الله .

الشاعر ابن هانيء الاندلسي :

ولد الشاعر الاسماعيلي محمد بن هانيء بن محمد بن سعدون الاندلسي بقرية (سكون) من قرية اشبيلية سنة ٣٢٠ هجرية ، ولقب بأبي القاسم وبأبي الحسن . نشأ وتأدب في اشبيلية وارتاد دار العلم في قرطبة ، فقرض الشعر حتى مهر فيه وتجلت مواهبه الفلسفية .

اتصل بصاحب اشبيلية فأعزه واكرمه وأقام معه حتى اتهم بمذاهب

الفلاسفة الاسماعيلية ، فشاع امره واشتهر بين الناس فنقموا عليه وحاول أهل إشبيلية قتله ، وأخذوا يسيئون الظن بالملك بسببه ، فأشار الملك عليه أن يترك المدينة ، فهرب الى المغرب حيث اتصل بأمير (المسيله) جعفر بن علي بن حمدون فبالغ في اكرامه واحسن اليه ، ونمي خبره الى الامام المعز فطلبه من جعفر ، فأرسل اليه وأقام عنده حتى ارتحل الامام المعز الى مصر فودعه وعاد الى المغرب لقضاء بعض حاجاته ولأخذ عياله والالتحاق بالامام .

تجهز بن هانيء وتبع الامام المعز حتى وصل إلى برقة حيث أضافه شخص من أهلها وفي اليوم الثاني وجد بن هانيء مخنوقاً بتكة سرواله وملقى على جانب البحر لا يدرى من قتله وكان ذلك في أواخر رجب سنة ٣٦٢ هجرية [١].

عندما علم الامام بوفاته تأسف عليه وقال (لا حول ولا قوة الا بالله ، هذا الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدّر ذلك) [٢].

كان بن هانيء فحل من فحول الشعراء وأشعر شعراء المغرب على الاطلاق من المتقدمين والمتأخرين لقب بمتنبي الغرب .

إن قصائده الشعرية المدونة في ديوانه لأكبر دليل على مقدرته الشعرية ، وجل قصائده في وصف الفتوحات الاسماعيلية ومدح الامام الاسماعيلي المعز لدين الله ، ونحن لا نستطيع أن نأتي على ذكر جميع قصائده لكثرتها فنكتفي بما أوردناه في معرض الكلام عن الامام المعز .

وها نحن نقدم القصيدة الخالدة التي جعلت اكثر الناس يقدحون في ابن هانيء بسببها وعدّوه من الغلاة الملحدين كونهم لم يتوصلوا الى معرفة

(١) ابن الاثير ج ٨ ص ٤٥٧ ،وهناك عدة روايات عن قتله ذكرها ابن خلكان .
(٢) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥ .

حقيقية بن هانيء وتوحيده .

قال يمدح الامام المعز : [1]

ما شئت لا ما شاءت الأقدار ... فاحكم فأنت الواحد القهار
وكأنما أنت النبي محمد ... وكأنما أنصارك الأنصار
أنت الذي كانت تبشرنا به ... في كتبها الأحبار والأخبار
هذا امام المتقين ومن به ... قد دوّخ الطغيانُ والكفار
هذا الذي ترجى النجاة بحبه ... وبه يحط الاصر والأوزار
هذا الذي تجدي شفاعته غداً ... حقاً وتخمد أن تراه النار
من آل أحمد كل فخر لم يكن ... يُنمى اليهم ليس فيه فخار
كالبدر تحت غمامة في قسطل ... ضحيانُ لا يخفيه عنك سرار
في جحفل هتم الثنايا وقعه ... كالبحر فهو غطامط زخار
غمر الرّعان الباذخات وأغرق ... القنن المنيفة ذلك التيار
زجل يبرح بالقضاء مضيقه ... فالسهل يم والجبال بحار
لله غزوتهم غداة فراقس ... وقد استشبت للكريهة نار
والمستظل سماؤه من عثْير ... فيها الكواكب لهذم وغرار
وكأن غيضان الرماح حدائق ... لمع الأسنة بينها أزهار
وثمارها من عظلم أو ايدع ... ينع فليس لها سهوله ثمار

---

(١) ان العقيدة الاسماعيلية تنزه الخالق عن الصفات كالعالم والقادر والصانع و ... الخ فان اطلاق الصفات عليه يوجب الكثرة في ذاته عندهم ، وهم يروون عن الامام الباقر محمد بن علي زين العابدين قوله « ان الله عالم على المعنى انه يؤتي العلم من يشاء لا على معنى ان العلم قائم بذاته وانه تعالى قادر على معنى ان القدرة قائمة بذاتها » ولما كان الامام قائماً مقام الأمر والكلمة في هذا العالم فجميع صفات الباري واقفة عليه ومن هنا نجد ان اطلاق كلمة « الواحد القهار » على المعز انما هي حسب الاعتقاد .

والخيل تمرح في الشكيم كأنها عقبان صارت شاقها الاوكار
من كل يعبوب سبوح سلهب حص السياط عنانه الطيار
لا يطبيه غير كبة معرك أو هيبوة من مأقط ومغار
سلط السنابك للجبين مخدم وأذيب منه على الأديم نضار
وكأن وفرته غدائر غادة لم يلقها بؤس ولا إقتار
وأحم حلكوك واصفر فاقع منها وأشهب أمهق زحمار
يعقلن ذا العقال عن غاياته وتقول أن لن يخطر الأخطار
مرت لغايتها فلا والله ما علقت بها في عدوها الأبصار
وجرت فقلت أسابح أم طائر هلا استثار لوقعهن غبار
من آل أعوج والصريح وداحس فيهن منها ميسم ونجار
وعلى مطاها فتية شيعية ما إن لها إلا الولاء شعار
من كل أغلب باسل متخمط (١) كالليث فهو لقرنه هصار
قلق إلى يوم الهياج مغامر دم كل قيل في ظباه جبار
ان تخب نار الحرب فهو بفتكه ميقادها مضرامها المغوار
فأداته فضفاضة وتريكة ومثقف ومهند بتار
أسد إذا زارت وجار ثعالب ما ان لها إلا القلوب وجار
حفوا برايات المعز ومن به تستبشر الأملاك والأقطار
هل للدمستق بعد ذلك رجعة قضيت بسيفك منهم الأوطار
أضحوا حصيداً خامدين وأقفرت عرصاتهم وتعطلت آثار
كانت جناناً أرضهم معروشة فأصابها من جيشه اعصار
أمسوا عشاء عروبة في غبطة فأناخ بالموت الزؤام شيار

(١) المتخمط : المتكبر الغضبان .

واستقطع الخفقان حب قلوبهم وجـــلا الشرور وحلت الأدعار
صدعت جيوشك في العجاج وعانشت[1] ليـــل العجاج فوردها إصدار
ملأوا البـــلاد رغائباً وكتائباً وقواضباً وشوازباً ان ساروا
وعواطفاً وعوارفـــاً وقواصفاً وخوائفاً يشتاقها المضمار
وجداولاً وأجـــادلاً ومقاولاً وعواملاً وذوابلاً واختاروا
عكسوا الزمان عواثناً ودواخناً فالصبح ليــل والظلام نهار
سفروا فأخلت بالشموس جباههم وتمجرت بغمامها الأقمـــار
ورسوا حجى حتى استخف متالع وهموا ندى فاستحيت الأمطار
وتبسموا فزها وأخصب ماحل وافـــتر في روضاته النوار
واستبسلوا فتخاضع الشم الذرى وسطوا فذل الضيغم الزئار
أبناء فاطم هل لنا في حشرنا لجـــأ سواكم عاصم ومُجـار
أنتم أحبـــاء الاله وآله خلفـــاؤه في أرضه الابرار
أهلُ النبوة والرسالة والهـــدى في البينات وسادة أطهار
والوصي والتأويـــل والتحريم والتحليل لا خلف ولا انكار
ان قيل من خير البريـــة لم يكن إلاكم ، خلـــق إليه يشار
لو تلمسون الصخر لانبجست به وتفجرت وتدفقت أنهـــار
أو كان منكم للرفات مخاطب لبوا وظنوا أنـــه انشار
لستم كأبنـــاء الطليق المرتدى بالكفر حتى عض فيـــه إسار
أبنـــاء نثلة ما لكم ولمعشر هم دوحة الله الذي يختار
ردوا إليهم حقهم وتنكبوا وتحملوا فقـــد استحم بوار
ودعوا الطريق لفضلهم فهم الألى لهم بمجهـــلة الطريق منار

---

(١) عانشه معانشة وعناشا: عانقه في الحرب .

كم تنهضون بعبء عار واصم   والعار يأنف منكم والغار
يلهيهم زمر المثاني كلما   ألهاكم المثني والمزمار
أعمز دين الله ان زماننا   بك فيه بأوٌ جلّ واستكبار
ها ان مصر غداة صرت قطينها   أحرى لتحسدها بك الأقطار
الارض كادت تفجر السبع العلى   لولا يظلك سقفها الموار
والدهر لاذ بحقويتك وصرفه   وملوكه وملائك أطوار
والبحر والثيناك شاهدة بكم   والشامخات الشم والاحجار
والدر والظلمات والذؤباب و   الغزلان حتى خرنق وفرار
شرفت بك الآفاق وانقسمت بك الا   رزاق والاجال والاعمار
عطرت بك الافواه إذ عذبت لك الا   مواه حين صفت لك الاكدار
جلت صفاتك أن تحد بقولي   ما يصنع المصداق والمكثار
والله خصك بالقرآن وفضله   واخجلتي ما تبلغ الاشعار

داعي الدعاة وقاضي القضاة سيدنا النعمان:

ولد سيدنا القاضي النعمان بن أبي عبدالله محمد بن منصور بن حيون التميمي سنة ٣٠٢ هجرية في مدينة المهدية من أبوين اسماعيليين فنشأ على حب المذهب الاسماعيلي والتفاني في خدمته، عين خلفاً لابيه قاضي قضاة المذهب الاسماعيلي وكبيراً لدعاته في عهد الامام المعز لدين الله فاخلص لمولاه وافاد عقيدته بكثرة مؤلفاته في مختلف العلوم الاسماعيلية، واليه يرجع الفضل في تعميم الفقه الجعفري، وضرب بسهم وافر في جميع نواحي النشاط العلمي، فترك عدداً كبيراً من المؤلفات الثمينة (في المناظرة والتأويل والفقه والارشاد والوعظ) .

يقول عنه الداعي ادريس عماد الدين بكتابه عيون الأخبار بأنه كان مشرعاً كبيراً ، وقال ابن خلكان ايضاً : كان النعمان من اهل الفقه والدين والنبل لا مزيد عليه ، وهكذا كان للنعمان اثر لا يعد في النهضة الثقافية وحق للعلماء أن يسموه (المشرع الاسماعيلي) ولا غرو فقد استمد علمه ونبوغه من الامام الذي كان يتناول مؤلفاته بالارشاد والتصحيح ويوضح له الفكرة ، ويروي ابن خلكان[1] ان النعمان ألف لأهل البيت آلاف الأوراق ، بأحسن تأليف ، واملح سجع ، وعمل في المناقب والمثالب كتاباً حسناً ، وله ردود على المخالفين .

توفي القاضي النعمان في شهر جمادى الآخر سنة ٣٦٣ هجرية وصلّى عليه الامام المعز ، وورث من بعده ابناؤه زعامة القضاء الاسماعيلي في مصر ، ومن مؤلفاته التي ذكرها المستشرق الروسي البروفسور (ايفانوف) في كتابه المرشد الى الأدب الاسماعيلي[2] .

في الفقه

١ – كتاب الايضاح .
٢ – مختصر الايضاح .
٣ – الأخبار في الفقه .
٤ – مختصر الآثار فيما روي عن الأئمة الأطهار .
٥ – الاقتصار .
٦ – المنتخبة .
٧ – دعائم الاسلام في ذكر الحلال والحرام والقضايا والاحكام[3] .

---

(١) ابن خلكان في الوفيات ج ٢ ص ١٦٦ .
(٢) المرشد الى الادب الاسماعيلي ص ٣٧ – ٣٨ – ٣٩ – ٤٠ .
(٣) طبع الجزء الأول في عام ١٩٥٣ في دار المعارف بمصر بتحقيق أصف علي فيض وطبع الجزء الثاني عام ١٩٥٩ في دار المعارف بمصر بنفس التحقيق.

٨ – منهاج الفرائض .
٩ – الاتفاق والافتراق
١٠– المقتصر .
١١– الينبوع .

في الاخبار

١٢– شرح الأخبار في فضائل الأئمة الاطهار في ستة عشر جزءاً .
١٣– قصيدة ذات المحن .
١٤– قصيدة ذات المنن .

في الحقائق

١٥– تأويل دعائم الاسلام .
١٦– تأويل الشريعة .
١٧– أساس التأويل .
١٨ – شرح الخطب التي لأمير المؤمنين .
١٩ – كتاب التوحيد والامامة .
٢٠ – اثبات الحقائق في معرفة توحيد الخالق .
٢١ – حدود المعرفة في تفسير القرآن والتنبيه على التأويل .
٢٢ – نهج السبيل إلى معرفة علم التأويل .
٢٣ – الراحة والتسلي .

في الرد على المخالفين

٢٤ – اختلاف اصول المذاهب (١) .

(١) حققه مصطفى غالب وتصدره دار الاندلس في بيروت .

٢٥ — الرسالة المصرية في الرد على الشافعي .
٢٦ — الرد على احمد بن سريج البغدادي .
٢٧ — ذات البيان في الرد على ابن قتيبة .
٢٨ — دامع الموجز في الرد على العتقي .

في العقائد

٢٩ — قصيدة المختارة .
٣٠ — كتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة « طبع » .
٣١ — كتاب الطهارة .
٣٢ — الارجوزة .
٣٣ — الدعاء .
٣٤ — عبادة يوم وليلة .
٣٥ — مفاتيح النعمة .
٣٦ — كيفية الصلاة على النبي .
٣٧ — التعقيب والانتقاد .
٣٨ — التقريع والتعنيف .
٣٩ — كتاب الحلى والثياب .
٤٠ — الشروط .
٤١ — منامات الأئمة .
٤٢ — تأويل الرؤية .

في التاريخ والوعظ

٤٣ — رسالة الى المرشد الداعي بمصر في تربية المؤمنين .
٤٤ — المجالس والمسايرات والمواقف والتوقيعات .

٤٥ — معالم الهدى .
٤٦ — المناقب لأهل بيت رسول الله .
٤٧ — افتتاح الدعوة .

وهنالك عدد آخر من الكتب التي تنسب للقاضي النعمان موجودة لدى الاسماعيلية السوريين منها :

١ — الرسالة المذهبة في فنون الحكمة وغرائب التأويل .
٢ — رسالة الرشد والهداية .
٣ — اجوبة الامام المعز على القاضي النعمان .
٤ — البيان في معرفة إمام الزمان .

وذكر الأستاذ ايفانوف ايضاً بعض مؤلفات نسبها للامام المعز لدين الله وهي :

١ — الروضة .
٢ — الرسالة الى حسن القرمطي .
٣ — المناجاة .
٤ — الرسالة المسيحية .

ونحن نقدم الآن للقراء رسالة الإمام المعز إلى الحسن بن أحمد القرمطي:

بسم الله الرحمن الرحيم

رسوم النطقاء ، ومذاهب الأئمة والأنبياء ، ومسالك الرسل والأوصياء ، السالف والآنف منا صلوات الله علينا وعلى آبائنا أولي الأيدي والأبصار في متقدم الدهور والأكوان ، وسالف الأزمان والأعصار ، عند قيامهم

بأحكام الله وانتصابهم لأمر الله ، الإبتداء بالاعذار ، والإنتهاء بالإنذار ، قبل انفاذ الأقدار في أهل الشقاق والآصار ، لتكون الحجة على من خالف وعصى ، والعقوبة على من باين وغوى حسب ما قال الله جل وعز : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً [١] » و « إن من أمة إلا خلا فيها نذير [٢] » وقوله سبحانه « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين [٣] » ، « فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق [٤] » .

أما بعد أيها الناس فإنا نحمد الله بجميع محامده ، ونحمده بأحسن مماجده ، حمداً دائماً أبداً ، ومجداً عالياً سرمداً ، على سبوغ نعمائه وحسن بلائه ، ونبتغي إليه الوسيلة بالتوفيق والمعونة على طاعته والتسديد في نصرته ، ونستكفيه ممايلة الهدى والزيغ عن قصد الهدى ، ونستزيد منه إتمام الصلوات وإفاضات البركات وطيب التحيات ، على أوليائه الماضين ، وخلفائه التالين ، منا ومن آبائنا الراشدين المهديين المنتخبين ، الذين قضوا بالحق وكانوا به يعدلون .

أيها الناس « قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها [٥] » ، ليذكر من يذكر ، وينذر من أبصر واعتبر ، أيها الناس إن الله جل وعز إذا أراد أمراً قضاه وإذا قضاه أمضاه ، وكان من قضائه فينا قبل التكوين أن خلقنا أشباحاً ، وأبرزنا أرواحاً ، بالقدرة مالكين ، وبالقوة قادرين ، حين لا سماء مبنية ، ولا أرض مدحية ،

(١) الاية ١ من سورة الاسراء .
(٢) الاية ٢٤ من سورة فاطر .
(٣) الاية ١٠٨ من سورة يوسف .
(٤) الاية ١٣٧ من سورة البقرة .
(٥) الاية ١٠٤ من سورة الانعام .

ولا شمس تضيء ولا قمر يسري ، ولا كوكب يجري ولا ليل يجن ، ولا أفق يكن ، ولا لسان ينطق ، ولا جناح يخفق ، ولا ليل ولا نهار ، ولا فلك دوار ولا كوكب سيار ، فنحن أول الفكرة وآخر العمل ، بقدر مقدور ، وأمر في القدم مبرور ، فعند تكامل الأمر وصحة العزم ، وانشاء الله جل وعز المنشآت ، وابداء الامهات من الهيولات ، طبعنا أنواراً وظلماً ، وحركة وسكوناً ، وكان من حكمه السابق في علمه ما ترون من فلك دوار ، وكوكب سيار ، وليل ونهار ، وما في الآفاق من أثار معجزات وأقدار باهرات ، وما في الأقطار من الآثار ، وما في النفوس من الأجناس والصور والأنواع ، من كثيف ولطيف ، وموجود ومعدوم ، وظاهر وباطن ، ومحسوس وملموس ، ودان وشاسع ، وهابط وطالع ، كل ذلك لنا ومن أجلنا ، دلالة علينا وإشارة إلينا يهدي به الله من كان له لب سجيح ، ورأي صحيح ، وقد سبقت له الحسنى ، فدان بالمعنى ، ثم أنه جل وعلا أبرز من مكنون العلم ومخزون الحكم ، آدم وحواء أبوين ذكراً وأنثى سبباً لإنشاء البشرية ، ودلالة لإظهار القدرة القوية ، وزاوج بينهما فتوالد الأولاد ، وتكاثرت الأعداد ، ونحن ننتقل في الأصلاب الزكية ، والأرحام الطاهرة المرضية ، كلما ضمنا صلب ورحم أظهر منا قدرة وعلم ، وهلم جرا إلى آخر الجد الأول ، والأب الأفضل سيد المرسلين ، وإمام النبيين ، أحمد ومحمد صلوات الله عليه وعلى آله في كل ناد ومشهد ، فحسن آلاؤه ، وظهر بالأحدية ، ودان بالصمدية ، فعندها سقطت الأصنام . وإنعقد الإسلام ، وانتشر الايمان وبطل السحر والقربان ، وهربت الاوثان ، وأتي بالقرآن ، شاهداً بالحق والبرهان ، فيه خير ما كان وما يكون الى يوم الوقت المعلوم ، منبئاً عن كتب تقدمت في صحف قد

نزلت ، تبياناً لكل شيء ، وهدى ورحمة ونوراً وسراجاً منيراً ، وكل ذلك دلالات لنا ، ومقدمات بين أيدينا وأسباب لاظهار أمرنا هدايات وآيات وشهادات وسعادات قدسيات ، إلاهيات أزليات كائنات منشآت ، مبدئات معيدات ، فما من ناطق نطق ، ولا نبي بعث ، ولا وصي ظهر إلا وقد أشار الينا ولوح بنا ، ودل علينا ، في كتابه وخطابه ، ومنار اعلامه ومرموز كلامه ، فيا هو موجود غير معدوم ، وظاهر وباطن ، يعلمه من سمع النداء ، وشاهد ورأى ، من الملأ الأعلى ، فمن أغفل منكم أو نسى ، أو ضل أو غوى ، فلينظر في الكتب الأولى والصحف المنزلة وليتأمل الى القرآن ، وما فيه من البيان ، وليسأل أهل الذكر إن كان لا يعلم ، فقد امر الله عز وجل بالسؤال ، فقال (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) [١] .

وقال سبحانه وتعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون[٢]) الا تسمعون قول الله حيث يقول (وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) [٣] وقوله تقدست اسماؤه « ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم[٤] وقوله له المزة (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كَبُرَ على المشركين ما تدعوهم اليه) [٥] ومثل ذلك في كتاب الله تعالى كثير ، ولو لا الاطالة لأتينا على كثير منه .

---

(١) الاية ٩٧ سورة النحل .
(٢) الاية ١٢٢ سورة التوبة .
(٣) الاية ٢٨ سورة الزخرف .
(٤) الاية ٢٤ سورة آل عمران .
(٥) الاية ١٣ سورة الشورى .

وبما دل به علينا أنبأ به عنا قوله عز وجل (كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة ، والزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة ، زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم) [١] وقوله في تفضيل الجد الفاضل والأب الكامل محمد ، صلى الله عليه وعليه السلام ، اعلاماً بجليل قدرتنا وعلو امرنا (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) [٢] هذا مع ما اشار وأبان وأوضح ، في السر والاعلان . من كل مثل مضروب وآية وخبر واشارة ودلالة حيث يقول (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) [٣] وقال سبحانه وتعالى (ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب)[٤] وقوله جل وعز (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق)[٥] فان اعتبر معتبر وقام وتدبر ما في الأرض وما في الأقطار والآثار ، وما في النفس من الصور المختلفات والأعضاء المؤتلفات والآيات والعلامات والاتفاقات والاختراعات والاجناس والأنواع ، وما في كون الابداع من الصور البشرية والآثار العلوية ، وما تشهد به حروف المعجم ، والحساب المقوم ، وما جمعته الفرائض والسنن وما جمعته السنون من فصل وشهر ويوم ، وتضيف القرآن من تحزيبه واسباعه ومعانيه وارباعه ، وموضع الشرائع المتقدمة والسنن المحكمة ، وما جمعته كلمة الاخلاص في تقاطيعها وحروفها وفصولها ،

---

(١) الاية جزء ٣ سورة النور .
(٢) ٨٧ سورة الحجر .
(٣) الاية ٤٣ سورة العنكبوت.
(٤) الاية ١٩٠ سورة آل عمران .
(٥) الاية ٣٥ سورة فصلت .

وما في الأرض من اقليم وجزيرة ، وبر ، وبحر ، وسهل وجبل ، وطول وعرض وفوق وتحت ، الى ما اتفق عليه في جميع الحروف من اسماء المدبرات السبعة والايام السبعة النطقا والاوصيا والخلفا ، ومـــا صدرت به الشرائع من فرض وسنة وحدوسة ، وما في الحساب من آحاد وأفراد وأزواج وأعداد تثاليثه وترابيعه واثنا عشريته وتسابيعه ، وأبواب العشرات والمئين والالوف ، وكيف تجتمع وتشتمل على ما اجتمع عليه ما تقدم من شاهد عدل وقول وصدق وحكمة حكيم وترتيب عليم ، فلا إله إلا هو له الاسماء الحسنى والأمثال العلى « وان تعـــدوا نعمة الله فلا تحصوها »[1] « وفوق كل ذي علم عليم »[2] « ولو ان ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفذت كلمات الله[3]» وليعلم من الناس من كان له قلب أو القي السمع وهو شهيد ان كلمات الله الازليات ، واسماؤه التامة وأنواره الشعشعانيات ، وأعلامه النيرات ومصابيحه البينات ، وبدائعه المنشآت ، وآياته الباهرات ، واقداره النافذات لا يخرج منا ، ولا يخلو منا عصر ، وانا لكما ، قال الله سبحانه وتعالى « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم »[4] فاستشعروا النظر فقد نقر في الناقور ، وفار التنور وأتى النذير بين يدي عذاب شديد ، فمن شاء فلينظر ، ومن شاء فليتدبر ، وما على الرسول إلا البلاغ المبين » .

---

(١) الاية ٣٤ سورة ابراهيم .
(٢) الاية ٧٦ سورة يوسف .
(٣) الاية ٢٧ سورة لقمان .
(٤) الاية ٧ سورة المجادلة .

وكتابنا هذا من فسطاط مصر ، وقد جئنا على قدر مقدور ووقت مذكور ، فلا ترفع قدماً ، ولا تضع قدماً الا بعلم موضوع وحكم بجموع واجل معلوم وأمر قد سبق ، وقضاء قد تحقق . فلما دخلنا وقد قدر المرجفون من أهلها أن الرجفة تنالهم ، والصعقة تحل بهم ، تبادروا وتعادوا شاردين وجلوا عن الاهل والحريم والاولاد والرسوم ، وأنا لنار الله الموقدة التي تتطلع على الافئدة فلم أكشف لهم خبراً ، ولا قصصت لهم أثراً ولكني أمرت بالنداء وأذنت بالامان لكل بادىء وحاضر ومنافق ومتشاقق أو عاص ومارق ومعاند ، ومنابق ، ومن أظهر صفحته وأبدى لي سوءته . فاجتمع الموافق والمخالف ، والباين والمنافق ، فقابلت الولي بالاحسان والمسيء بالغفران . حتى رجع الناد والشارد ، وتسوى الفريقان ، واتفق الجمعان ، وانبسط القطوب ، وزال الشحوب ، اجريا على العادة بالاحسان والصفح والامتنان والرأفة والغفران ، فتكاثرت الخيرات وانتشرت البركات كل ذلك بقدرة ربانية ، وأمرة برهانية ، فأقمت الحدود بالبينة والشهود ، في العرب والعبيد ، والخاص والعام ، والبادي والحاضر ، باحكام الله عز وجل وادابه وحقه وصوابه ، فالولي آمن جذل ، والعدو خائف وجل .

فأما أنت الغادر الخائن ، الناكس البائن ، عن الهدى آبائه وأجداده ، المنسلخ عن دين أسلافه وأنداده ، والموقد لنار الفتنة ، والخارج عن الجماعة والسنة ، أفلم أغفل أمرك ، ولا خفي عني خبرك ، استتردوني اثرك وانك مني لبمنظر ومسمع ، كما قال الله عز وجل « انني معكما أسمع وأرى[1] » ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا [2] فعرفنا أي رأي أصلت وأي طريق

---

(١) الاية ٤٦ من سورة طه .

(٢) الاية ٢٨ من سورة مريم .

سلكت ، أما كان لك بجدك ابي سعيد أسوة ، وبعمل ابي طاهر قدوة ؟ أما نظرت في كتبهم وأخبارهم ولا قرأت وصاياهم وأشعارهم ؟ أكنت غائباً عن ديارهم وما كان من اثارهم ؟ ألم تعلم انهم كانوا عباداً لنا أولي بأس شديد وعزم شديد وأمر رشيد وفعل حميد ، يفيض اليهم موادنا وينشر عليهم بركاتنا ، حتى ظهروا على الأعمال ودان لهم كل امير ووال ، ولقبوا بالسادة فسادوا ، منحة منا واسماً من أسمائنا ، فعلت اسماؤهم ، واستعلت هممهم واشتد عزمهم ، فسارت إليهم وفود الآفاق وامتدت نحوهم الأحداق ، وخضعت لهيبتهم الأعناق ، وأن يكونوا لبني العباس أضداد ، فعبثت الجيوش وسار كل خميس بالرجال المنتجبة والعدد المهذبة ، والعساكر الموكبة ، فلم يلقهم جيش الا كسروه ، ولا رئيس الا أسروه ، ولا عسكر الا كسروه والحاظنا ترمقهم ، ونصرنا يلحقهم ، كما قال الله جل وعز : « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا »[1] « وان جندنا لهم الغالبون »[2] وان حزبنا لمنصورون .

فلم يزل رأيهم وعين الله ترمقهم ، الى أن اختاره لهم ما اختاروه من نقلهم من دار الفناء إلى دار البقاء ، ومن نعيم يزول إلى نعيم لا يزول ، فعاشوا محمودين وانتقلوا مفقودين إلى روح وريحان وجنات النعيم ، فطوبى لهم وحسن مآب .

ومع هذا فما من جزيرة في الأرض ولا اقليم الا ولنا فيه حجج ودعاة يدعون الينا ويدلون علينا ، ويأخذون تبعتنا ، ويذكرون رجعتنا وينشرون علمنا وينذرون بأسنا ويبشرون بأيامنا ، بتعاريف اللغات

---

(١) الاية ٥١ سورة غافر .
(٢) الاية ١٧٣ سورة الصافات .

واختلاف الألسن ، وفي كل جزيرة واقليم رجال منهم يفقهون وعنهم يأخذون وهو قول الله عز وجل « وما ارسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم [1] »

وانت عارف بذلك ، فيا أيها الناكث الحانث ما الذي ارداك وصدك ؟ أشيء شككت فيه أم امر استربت به ، ام كنت خلياً من الحكمة ، وخارجاً عن الكلمة ، فأزالك وصدّك ، وعن السبيل ردك ، إن هي الا فتنة لكم ومتاع الى حين ، وأيم الله لقد كان الاعلى لجدك ، والارفع لقدرك والافضل لجدك ، والاوسع لوفدك ، والانضر لعودك ، والاحسن لعذرك ، الكشف عن احوال سلفك وان خفيت عليك ، والقفو لآثارهم وإن عميت لديك ، لتجري على سننهم وتدخل في زمرهم ، وتسلك في مذهبهم ، أخذاً بأمورهم في وقتهم ، وزمرهم في عصرهم فتكون خلفاً قفا سلفا بجد وعزم مؤتلف ، وأمر غير مختلف ، لكن غلب الران على قلبك ، والصدى على لبك فأزالك عن الهدى ، وأزاغك عن البصيرة والضيا ، وأمالك عن مناهج الأوليا ، وكنت من بعدهم كما قال الله عز وجل « فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا [2] » ثم لم تقنع في انتكاسك وترديتك في ارتكاسك ، وارتباكك وانعكاسك ، من خلافك الابا ، ومشيك القهقرى ، والنكوص على الاعقاب ، والتسمي بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، وعصيانك مولاك ، وجحدك ولاك حتى انقلبت على الادبار ، وتحملت عظيم الاوزار ، لتقيم دعوة قد درست ، ودولة قد طمست ، إنك لمن

---

(١) الاية ٤ سورة ابراهيم .
(٢) الاية ٥٩ سورة مريم .

الغاوين ، وانك لفي ضلال مبين ، أم تريد أن ترد القرون السالفة ، والاشخاص الغابرة ؟ اما قرأت كتاب السفر ، وما فيه من نص وخبر فأين يذهبون ان هي الا حياتكم الدنيا ، تموتون وتظنون أنكم لستم بمبعوثين « قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير[١] ». اما علمت أن المطيع اخر ولد العباس ، واخر المتراس في الناس ، اما تراهم (كانهم اعجاز نخل خاوية ، فهل ترى لهم من باقية [٢]) ختم والله الحساب ، وطوى الكتاب ، وعاد الامر الى اهله ، والزمان الى اوله ، وازفت الآزفة ، ووقعت الواقعة ، وقرعت القارعة ، وطلعت الشمس من مغربها ، والآية من وطنها وجيء بالملائكة والنبيين وخسر هنالك المبطلون ، هنالك الولاية لله الحق ، والملك لله الواحد القهار ، فله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر الله من يشاء « يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد [٣] » فقد ضل عملك وخاب سعيك ، وطلع نحسك ، وغاب سعيك حين آثرت الحياة الدنيا على الآخرة ، ومال بك الهوى فأزالك عن الهدى ، فان تكفر أنت ومن في الأرض جميعاً فأن الله هو الغني الحميد .

ثم لم يكفك ذلك ، مع بلائك وطول شقائك ، حتى جمعت ارجاسك وافجاسك وحشدت أوباشك واقلاصك ، وسرت قاصداً الى دمشق وبها جعفر بن فلاح في فئة قليلة من كتامة وزويلة ، فقتلته وقتلتهم ، جرأة

(١) الاية ٧ سورة التغابن .
(٢) الاية ٧ ـ ٨ سورة الحاقة .
(٣) الاية ٢ سورة الحج .

على الله ورد لأمره ، واستبحت أموالهم ، وسبيت نساءهم ؛ وليس بينك وبينهم ترة ولا ثأر ولا حقد ولا أضرار ، فعل بني الاصفر والترك الخزر ، ثم سرت أمامك ولم ترجع ، وأقمت على كفرك ولم تقلع حتى أتيت الرملة وفيها سعادة بن حيان في زمرة قليلة وفرقة يسيرة ، فاعتزل عنك إلى يافا ، مستكفياً شرك وتاركاً حربك ، فلم تزل ماكثاً على نكثك باكراً وصابحاً ، وغادياً ورائحاً ، تقعد لهم بكل مقعد ، وتأخذ عليهم بكل مرصد ، وتقصدهم بكل مقصد ، كأنهم ترك وروم وخزر ، لا ينهك عن سفك الدماء دين ولا يردعك عهد ولا يقين ، قد استوعب من الردى خيرومك ، وانقسم على الشقاء خرطومك ، أما كان لك مذكر ، وفي بعض أفعالك مزدجر ، أو ما كان لك في كتاب الله عز وجل معتبر حيث يقول « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً [١] » فحسبك بها فعلة يلقاك يوم ورودك وحشرك حين لا مناص ، ولا لك من الله خلاص ، ولم تستقبلها وكيف تستقبلها واني لك مقبلها هيهات هيهات ، هلك الضالون ، وخسر هنالك المبطلون وقل النصير ، وزال العشير ، ومن بعد ذلك تماديك في غيك ، ومقامك في غيك ، عداوة الله ولأوليائه وكفراً لهم وطغياناً ، وعمى وبهتاناً ، أتراك تحسب انك مخلد أم لأمر الله راد ؟ أم « يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون [٢] » هيهات لا خلود لمذكور ، ولا حر لمقدور ، ولا طافىء لنور ، ولا مقر لمولود ، ولا قرار لموعود ، لقد خاب منك

---

(١) الاية ١٣ من سورة النساء .
(٢) الاية ٣٢ من سورة التوبة .

الامل وحان لك الاجل ، فان شئت فاستعد للتوبة باباً ، وللنقلة جلباباً ، فقد بلغ الكتاب أجله ، والوالي أمله وقد رفع الله قبضته عن أفواه حكمته ، ونطق من كان بالأمس صامتاً ، ونهض من كان هناك خائفاً ونحن أشباح فوق الأمر والنفس ، دون العقل وأرواح في القدس نسبة ذاتية وآيات لدنية نسمع ونرى « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا [1] » « وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون [2] » ونحن معرضون ثلاث خصال والرابعة أردى لك وأشقى لبالك ، وما أحسبك تحصل إلا عليها ، فاختر : إما قدمت نفسك لجعفر بن فلاح وأتباعك بأنفس المستشهدين معه بدمشق والرملة من رجاله ورجال سعادة بن الحيان ، ورد جميع ما كان لهم من رجال وكراع ومتاع إلى آخر حبة من عقال ناقة وخطام بعير وهي أسهل ما يرد عليك ، وأما أن تردهم أحياء في صورهم وأعيانهم وأموالهم وأحوالهم ولا سبيل لك إلى ذلك ولا اقتدار ، وإما سرت ومن معك بغير زمام ولا أمان فأحكم فيك وفيهم بما حكمت ، وأجريكم على احدى ثلاث اقصاص وإمامنا بعد ؟ وامـا فدى ، فعسى ان يكون تمحيصا لذنوبك واقالة لعثرتك ، وإن أبيت الا فعل اللعين (فاخرج منها فانك رجيم ، وان عليك اللعنة الى يوم الدين [3]) ؟ اخرج منها فما يكون لك ان تنكب فيها ، وقيل اخسئوا فيها ولا تكلمون ، فما انت الا كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار ، فلا

---

(١) الاية ٢ من سورة الشورى .
(٢) الاية ١٩٨ من سورة الاعراف .
(٣) الاية ٣٤ – ٣٥ سورة الحجر .

سماء تظلك ولا ارض تقلك ولا ليل يجنك ، ولا نهار يكنك ، ولا علم يسترك ، ولا فئة تنصرك ، قد تقطعت بكم الاسباب ، واعجزكم الذهاب فانتم كما قال الله عز وجل « مذبذبين بين ذلك لا إلى هـؤلاء ولا الى هؤلاء [١] » لا ملجأ لكم من الله يومئذ ولا منجى منه ، وجنود الله في طلبك قافية ، لا يزال ذو احقاد ، وثوار امجاد ، ورجال انجاد فلا تجد في السماء مصعداً ، ولا في الارض مقعدا ، ولا في الارض ولا في البحر منهجاً ، ولا في الجبال مسلكاً ، ولا الى الهواء سلماً ، ولا الى مخلوق ملتجأ ، حينئذ يفارقك اصحابك ، ويتخلى عنك احبابك ويخذلك اترابك فتبقى وحيداً فريدا وخائفا طريداً ، وهائماً شريداً ، قد الجمك العرق وكظك القلق وأسلمتك ذنوبك ، وازدراك حزبك ، كلا لا وزر الى ربك .

---

(١) الاية ١٤٣ سورة النساء .

الامام
العزيز بالله نزار

ولد الإمام العزيز بالله نزار ابن الإمـام المعز لدين الله في يوم الخميس الرابع عشر من محرم سنة ٣٤٤ هجرية بالمهدية ، وأصبح ولياً للعهد في يوم الخميس الرابع من ربيع الآخر سنة ٣٦٦ هجرية وتولى الإمامـة والخدمة بعد وفاة أبيه في يوم الجمعة الحادي عشر من ربيع الآخر سنة ٣٦٦ هجرية وتولى الامامة والخدمة بعد وفاة أبيه في يوم الجمعة الحادي عشر من ربيع الآخر سنة ٣٦٥ هـ . وقيل في الرابع عشر من ربيع الآخر سنة ٣٦٥ هجرية .

كان الإمام العزيز قائداً شجاعاً وحاكماً مدبراً وخليفة عادلاً كريماً يعفو عند المقدرة حسن الخلق قريباً من الناس ، وكان أديباً فاضلاً له شعر حسن . قال يوم وفاة أحد أولاده :

نحن بنـو المصطفى ذوو محن يجرعها في الحيـاة كاظمنـا
عجيبـة في الأنام محنتنـا أولنـا مبتلى وخاتمنـا
يفرح هذا الورى بعيـدهم طـرا وأعيـادنا مآتمنـا

وكان لا يحب سفك الدماء محباً للصيد ، له معرفة بالخيـل [1] في

---

(١) خطط المقريزي ج ٤ ص ٦٦- ابن خلكان ج ٢ ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

عهده وصلت الاسماعيلية إلى درجة عظيمة من الرقي والازدهار .

ولقد أنفق الأموال الطائلة على تشييد المباني [1] وإنشاء الجسور والمرافيء وتقوية الجيش والبحرية ، فازداد عدد الاسطول وعين الأتراك قواداً لجيشه كما عين يعقوب بن كلس وزيراً له وخلع عليه ولقبه بالوزير الأجل وأثبت اسمه على الطراز ، وكان هذا الوزير عالماً محباً للعلماء ، مشجعاً لهم ، يحضر الفقهاء والفلاسفة المناظرة بين يديه ويوزع عليهم المنح والعطايا .

ويحدثنا ابن خلكان عن الوزير ابن كلس فيقول [2] كان يعقوب يجمع عنده العلماء . وكان في داره قوم يكتبون القرآن الكريم ، وآخرون يكتبون كتب الحديث والفقه والأدب والطب ويعارضون ويشكلون المصاحف وينقطونها .

وكان ابن كلس يشرف بنفسه على المجالس التأويلية في كل ليلة جمعة من كل أسبوع ، له مؤلفات عديدة منها :

١ — كتاب الفقه .

٢ — الرسالة الوزيرية .

٣ — كتاب في آداب الرسول .

٤ — كتاب القراءات .

٥ — كتاب علم الأبدان وصلاحها .

وتوفي الوزير ابن كلس في ليلة الأحد الخامس من ذي الحجة سنة ٣٨٠ هـ . فرثاه مائة شاعر وصلى عليه الإمام العزيز .

---

(١) قال ابن خلكان في وفيات الاعيان جـ ٣ ص ٥٣ في أيام العزيز بني قصر البحر بالقاهرة الذي لم يبن مثله في شرق ولا غرب ، وقصر الذهب وجامع القرافة والقصور بعين شمس .

(٢) وفيات الاعيان جـ ٢ ص ٣٣٤ .

وقد اهتم الإمام العزيز بانشاء دور للكتب وشحنها بالمؤلفات الفخمة التي تبحث في جميع انواع العلوم ، ووجه اهتمامه الزائد لمكتبة القصر فرعاها بنفسه وأنفق عليهـا الأموال الطائلة حتى قيل أنهـا حوت مائـة وستون ألف مجلد جلها في الفلسفة والطب والتـاريخ والأدب والفقه . كذلك شجع العلمـاء والشعراء والمؤلفين ووهبهم الأمـوال وخصص لهـم المنح والعطايا ، وأنشأ في الجامع الأزهر مدرسة علميـة انفق عليها من جيبه الخاص فتخرج منها علماء كان لهم شأن عظيم في عالم الفكر والتأليف .

وفي سنة ٣٦٨ هجرية سير القائد جوهر بعساكر كثيرة لقتال أفتكين والقرامطة فاحتل الرملة وحاصر دمشق ثم عاد لمنازلة القرامطة في الرملة وعسقلان فجرى ، بينهما قتال شديد استمر طويلاً فخرج الامـام العزيز بنفسه الى الرملة لقتال افتكين وصحبه ، فدخلت الجيوش الاسماعيليـة الرملة ، وأسر افتكين في شهر محرم سنة ٣٦٨ هجرية فأحسن اليه الامام العزيز واكرمه اكراماً زائداً وصحبه الى القـاهرة حيث وصله بالعطايا والخلع حتى قال افتكين (احتشمت من ركوبي مـع الخليفة مولانا العزيز بالله ونظري اليه بما غمرني من فضله واحسانه) ، فلما بلغ الامام ذلك قال (أحب ان ارى النعم عند النـاس ظاهرة ، وارى عليهم الذهب والفضة والجواهر ، ولهم الخيل واللباس والضياع والعقار ، وان يكون ذلك كله من عندي)[1] .

ويحكى بان صاحب الاندلس المستنصر بن عبد الرحمن الناصر الاموي قد كتب كتاباً الى الامام العزيز يسبه فيه ويهجوه فكتب اليه الامام

---

(١) خطط المقريزي ج ٤ ص ٦٧ .

« اما بعد فانك قد عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لاجبناك والسلام » .

ولقد اعتنى الامـــام العزيز بشؤون الشام فاختار لولايتها غـــلامه (بنجوكتين) التركي وأمره أن يفتح حلب لانتشار الدعوة فيها فسار بنجوكتين الى دمشق ومنها الى حلب فاصطدمت جيوشه بجيوش البيزنطيين على ضفاف العاصي فهزمهم وأسر قائدهم وطاردهم حتى انطاكية فقتل منهم خلق كثير وكان ذلك سنة ٣٨١ هجرية (١) .

والخلاصة قد وصلت المملكة الاسماعيلية في عهده إلى درجة عظيمة من الرقي والتمدن ، فعاشت الرعية بالخير والهناء والرخاء واتسع نطاق الدعوة اتساعا عظيماً ، ويقول المقريزي (كان يضرب بأيام الخليفـــة العزيز المثل في الحسن وقد كانت كلهـا أعياداً وأعراساً لكثرة كرمه ومحبته للعفو واستعماله لذلك) .

ولقد فتحت له حمص وحماه وشيزر وحلب ، وخطب له المقلد بن المسيب بالموصل واعمالها وخطب له باليمن وعظم شأنه .

هـذا ما جعل الشعراء يتسابقون في تخصيص القصائد الخالدة لمدحه ومن تلك القصائد ما قال الشاعر الاسماعيلي في قصيدته (ذات الدوحة) التي نقدمها للقراء نظراً لما تتمتع به من مكانة سامية في عـــالم الأدب والشعر والفلسفة ولما يتخللها من المصطلحات الاسماعيلية :

سئمت من البـين الذي ليس يصدق ... فلست بغـير الحق والصدق انطق
أأمدح رهطا غـــير رهط محمد ... وفي الجيد عهد للامـــام موثق
ولا فضل لي في ذابل الفضل فضل من ... بهـــم يحرم الله الأنام ويرزق
أيمـــة دين الله قـــد قام دينه ... وانوار هذا الخلق من قبل يخلق

(١) ابن الاثير جـ ٩ ص ٣١ .

محبتهم فرض على الناس واجب ... وعصيانهم كفر الى النار موبق
هم العروة الوثقى هم منهج الهدى ... هم الغاية القصوى التي ليس تلحق
ولولاهم لم يخلق الله خلقــه ... ولم يكن في الدنيا ضياء ورونق
هم دوحة الدين التي تثمر الهدى ... وباليمن والتقوى تظــل وتسبق
تجير من الايام من يستظلهـا ... وتحمي من الموت المجهول وتطلق
سقاها غمام الوحي علماً فاينعت ... بمكنون عــلم الله فالدين مونق
جرت في تخوم المحكمات عروقها ... وفوق الثريا فرعهـا متملق
هم الاصل منها والأئمة فرعها ... ففي كل عصر نورهـا يتألق
الى ان تسامت بالعزيز ولم تكن ... بغـير ابي المنصور لو كان يوثق
فباهت على الأيام ايامــه التي ... تكاد لها صم الجنــادل تورق
سحائب جود لا يغيب غمامها ... وبحر سمــاح بالفدى يتدفق
لئن فقد الناس المعز لدينــه ... لقد قام بالدين العزيز الموفــق
تجددت الدنيا علينــا بيمنه ... فلا العيش مذموم ولا الدهر أخرق
ولا الجود ممنوع ولا المجد خامل ... ولا العرف مقطوع ولا النكر مطلق
تضوع نشر العدل في كل بـلدة ... ونشر الثناء الطيب للطيب يعبق
ملئت قلوب العارفـين بحبــه ... فكــل على مقداره يلشــوق
فلا صامت الا بحبــك ناطق ... ولا مضمر الا بشكـرك ينطق
فضائـل مولانا العزيز جليــلة ... اذا عد فضل فهو بالفضل يسبق
غرست على بيت من الشعر دوحة ... لها اغصن في وزنه حـين تبسق
فألفت من بيت بيوتــاً كثيرة ... ولكنهــا مع ذاك لا تتفرق
مشبع وشبع عـن يمين ويسرة ... على كل حرف منه بيت مغلــق
بمدح امــير المؤمنين لأنهــا ... لعمري به من سائر الخلق اليق
عليه صلاة الله ما لاح كوكب ... وما ناح في الايك الحمام المطوق

كسا الدين والدنيـا نزار جلاببا   من اليمن والايمـان لا تتمزق
كسا عـدله الايام نوراً وبهجة   فها ألسن الايام بالشكـر تنطق
كسا الدين بالمعروف والجود جنة   تحصنـه ممن يحيد ويمـرق
كسا الدين والدنيا حدائق نعمة   فروض ترى الايمـان بالزهر مونق
كسا الدين والدنيا نزار سلامة   تزيد على طول الزمان وتسبق
كسا الدين والدنيا نزار جلاببـا   مجددة في نعمـه ليست تخلـق
كسا الدين والدنيا نزار جلاببـا   من اليمن والاقبال فالدهر مطرق
كسا الدين والدنيا نزار جلاببا   من اليمن والايمان فالشك مغلق
كسا الشرق والغرب الامام غرائبـا   من الجود والاقبال فالدهر مشـرق
كسا الدين من لا دين الا بحبـه   عـلواً فسيف الحق بالحق مطلق.
كسا الدين والدنيا العزيز جلاببا   بايامه اللاتي بها العـز يورق
كسا الدين والدنيـا نزار هداية   يبيت بها قلب المعـاني يخفق
كسا الدين والدنيا نزار جلاببـا   ترى النور من أغصانهـا يتألق
كسا الدين والدنيا نزار جلاببـا   من اليمن تردي للطغـاة وتوثق
كسا الدين والدنيا نزار جلاببـا   من اليمن والايمان فالامر موثـق

* * *

مرض الإمام العزيز وهو في بلدة بلبيس ، واشتد به المرض يوم الاثنين ٢٨ رمضان سنة ٣٨٢ هجرية فاستدعى الدعاة والرؤساء ، منهم القاضي محمد بن النعمان وابا محمد الحسن بن عمار الكتامي وأمين الدولة ، ونص أمامهم على إمامة ابنه الحاكم من بعده ، وتوفي في نفس اليوم بمدينـة بلبيس وحمل الى القاهرة حيث دفن عند أبيـه المعز في حجرة القصر وكان ذلك في ٢٨ من رمضان سنة ٣٨٦ هجرية .

* * *

الامام
الحاكم بامر الله

ولد الامام الحاكم بأمر الله أبو علي منصور في ليلة الخميس الثالث والعشرين من ربيع الاول سنة ٣٧٥ هجرية بالقصر الملكي في القاهرة (١)، واصبح ولياً للعهد في شعبان سنة ٣٨٣ (٢) وتولى الخلافة والامامة بعد وفاة ابيه في ٢٨ رمضان سنة ٣٨٦ هجرية ، وكان عمره انذاك ١١ سنة و٥ اشهر و٦ ايام . قام بواجبه نحو مملكته وامته خير قيام ووجه اهتمامه الزائد للناحية العلمية فازدهرت الحضارة والثقافة واضحت مصر منهلا لطلاب العلم والمعرفة .

كان الامام الحاكم خليفة عظيما اشتهر بالسخاء والبذل ، انشأ ديوان (المنفرد) خاصة لاضافة الاموال المصادرة من الاغنياء والخارجين على القانون الى اموال الرعية ، واصدر في رجب سنة ٤٠٣ هجرية نظاماً خاصاً للبر والعطايا توزع بموجبه الاموال على الفقراء والمعوزين والمحتاجين (٣)

---

(١) قيل ليلة الجمعة ٢٤ ربيع الاول والاصح ليلة الخميس .

(٢) وفيات الاعيان جـ ٢ ص ١٨٥ .

(٣) النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ١٨٠ ـ خطط المقريزي جـ ٣ ص ٢٣ .

وقد كثرت الانعامات في عهده على جميع المستحقين فتوقف امين الامناء حسين بن طاهر الوزان في إمضائها فكتب اليه الامام الحاكم بخطه بعد البسملة :

الحمد لله كما هو اهله

أصبحت لا أرجو ولا أتقي ... إلا إلهي وله الفضل

جدي النبي وإمامي أبي ... وديني الاخلاص والعدل

المال مال الله عز وجل ، والخلق عباد الله ، ونحن امناء في الارض ، أطلق ارزاق الناس ولا تقطعها والسلام [١]

وامر بانشاء دار الحكمة لتكون جامعة علمية ففتحت ابوابها في ١٠ جمادى الآخر سنة ٣٩٥ هجرية وأوعز بنقل بعض الكتب الثمينة من مكتبة القصر الى دار الحكمة ، وأمها الناس على اختلاف طبقاتهم وتباين ثقافتهم ، فمنهم من كان يحضر لقراءة الكتب ومنهم من يحضر للنسخ ومنهم من يحضر للتعلم ، وجعل فيها ما يحتاج الناس اليه من الحبر والاقلام والورق[٢]، وخصص قسماً منها لاجتماع الدعاة والفقهاء لتنظيم الدعوة الاسماعيلية ولالقاء مجالس الحكمة التأويلية فدخل كثير من الناس في المذهب الاسماعيلي ، وازدحمت دار الحكمة بالمستجيبين وقيل بأن بعض الناس كانوا يموتون من كثرة الازدحام ، وخصص يومان في الاسبوع لحضور تلك المجالس ، ولقد كانت دار الحكمة من اعظم وافخم المؤسسات العلمية وارقاها في ذلك العصر ، انفقت عليها الاموال الطائلة وفرشت بأحسن الاثاث وزينت باجمل النقوش وكان الامام يشرف بنفسه على اقامة المناظرات بين العلماء والفقهاء ويهبهم العطايا والمنح [١]

---

(١) تاريخ الانطاكي ص ٢٠٦ — ٢٠٧ خطط المقريزي ج ٢ ص ٣٣٢ — ٣٣٤
(٢) خطط المقريزي ج ٢ ص ٣٣٤ .

ولقد اجرى الامام الحاكم كثيراً من الاصلاحات والارشادات الاجتماعية كان لها الاثر الكبير في خلق مجتمع قوي صالح مؤمن بالقيم الروحية والانسانية وحرم بيع الخمور وشربها، كما منع النساء من التبرج والخروج لزيارة القبور ودخول الحمامات العامة، ومحى صورهن من الحمامات [1] ومنع الرجال من التسكع في الشوارع والوقوف أمام الحوانيت، وحرم تناول بعض الاطعمة كـ (الملوخية) وأمر بأن لا يقبل أحد الأرض ولا يقبل أحد ركابه ويده عند السلام عليه في الموكب ومنع الالقاب وأكثر من الخروج لوحده ليلا والجلوس مع المؤمنين الموحدين المخلصين .

وفي يوم الاثنين السابع عشر من ربيع الأول سنة ٣٩٣ هجرية بدأ في إكمال جامع الأزهر وبنى جامع راشدة وشيد عدة مساجد في مدينة القاهرة وحمل اليها من المصاحف والآلات الفضية والستور والحصر السامانية ما له قيمة طائلة .

وفي سنة ٤٠٣ هجرية أمر باحصاء المساجد التي لا غلة لها فكانت ٨٣٠ مسجداً، فرصدت لها النفقة اللازمة .

وفي سنة ٤٠٥ هجرية وقف الضياع والاموال على العلمـــاء والفقهاء والمستشفيات ووزع أمواله الخاصة على المساجد والفقراء ودور العلم .

هذا من ناحية التنظيمات الداخلية أما من الناحية الخارجية فقد عين الولاة الموثوق بهم على الاقاليم والجزر، ونظم الدعوة تنظيماً دقيقاً فوزع الدعاة الاكفاء على الجزر والأقاليم والبلدان فانتشرت الاسماعيلية بواسطتهم وعظم أمرها ونبغ دعاة علماء كان لهم شأن عظيم في نهضة مصر العلمية .

ومع هذا لم يخل عهده من الثورات والحروب وكان يرسل الجيوش

(١) وفيات الاعيان جـ ٢ ص ١٨٧ .

لقمعها بالشدة والحزم ولقد ارسل جيشاً لقتال الروم في غزة وعسقلان بقيادة خادمه (يمن) فقتل من الروم خمسة آلاف ودخل جيشه مدينة (مرعش) .

كما قضت جيوش الامام على ثورة ابي ركوة الأموي وعسكره بعد ان قتل منهم ستة آلاف وأسر مائة وقبض على ابي ركوة فأعدم .

وأرسل جيشاً آخر نحو سنة ٤٠٠ هجرية بقيادة (علي بن صالح) الى بغداد فاجتاحها واستولى على بلاد فارس .

وفي سنة ٤٠٨ هجرية استدعى الامام الحاكم كبير دعاته واحد المقربين اليه الموثوق بهم سيدنا الحمزة بن علي الفارسي الملقب بـ (الدرزي) وأمره أن يذهب الى بلاد الشام ليتسلم رئاسة الدعوة الاسماعيلية فيها ويجعل مقره (وادي التيم) لأن الأخبار التي وردت الى بيت الدعوة تفيد بأن اسماعيلية وادي التيم تسيطر عليهم التفرقة والاختلافات الداخلية حول تولي رئاسة الدعوة هناك . ولقبه الامام (بسند الهادي) .

تمكن سيدنا (الدرزي) في وقت قليل من السيطرة على الموقف في وادي التيم وإعادة الهدوء والسكينة في البلاد ، وعمل جاهداً لتوسيع وانتشار الدعوة الاسماعيلية في تلك البلاد .

لبث سيدنا (الدرزي) رئيساً للدعوة الاسماعيلية وكبيراً لدعاتها في بلاد الشام حتى أعلنت وفاة الإمام الحاكم وولاية ابنه الظاهر .

لم يعترف (الدرزي) بوفاة الإمام الحاكم مدعياً بأن وفاته لم تكن سوى نوع من الغيبة لتخليص أنفس مريدي الإمام من الادران وبقي متمسكاً بامامة الحاكم ومنتظراً عودته من تلك الغيبة وبذلك أعلن إنفصاله عن الاسماعيلية التي لا تعتقد بالغيبة وتقول بفناء الجسم وبقاء سر الإمامة بالروح فينتقل بموجب النص الى امام آخر وهو المنصوص عليه من قبل الامام المتوفى ،

وسميت الفرقة التي تبعت سيدنا (الدرزي) بالدرزية نسبة اليه .

وهكذا يتبين للقارىء الكريم بان الدرزية والاسماعيلية عقيدتان من اصل واحد ، شاءت الارادة السماوية تفريقهما ومع هذا لا تزال القلوب تحن الى اللقاء بكل اتحاد على أساس الحب والاخلاص لما فيه الخير والفلاح للجميع ، فعسى ان تتحقق هذه الأمنية .

اعتاد الامام الحاكم كما اسلفنا سابقاً ان يخرج وحيداً لتفقد شؤون مملكته في الليل وللنزهة خارج مدينة القاهرة وفي ليلة الاثنين ٢٧ شوال سنة ٤١١ هجرية خرج الامام كعادته ولم يعد فاعلنت غيبته ووفاته في ذلك التاريخ .

وهنالك اختلافات كبيرة واراء متضاربة حول وفاة وغيبة الامام الحاكم لم يتفق المؤرخون عليها حتى الآن ، كل ما قيل بهـذا الشأن لا يتعدى التخمين والافتراض الغير مدعوم ببراهين تاريخية دامغـة . قال البعض من اولئك المؤرخين بان شقيقته قد دبرت مؤامرة سرية للقضاء عليه فلما خرج للنزهة فتك به بعض المجهولين واخفوا جسده الطاهر عن الانظار . وقيل ايضاً ان بعض اللصوص قد اعترضوه وقتلوه ولما علموا انه الخليفة اخفوا جثته عن الانظار .

والحقيقة التي لا غبار عليها ان وفاة الامام الحاكم لم تكن سوى وفاة طبيعية بعد ان سلم شؤون الامامة لولده الظاهر ، وهـذه الوفاة حيرت عقول العلماء والمؤرخين الذين لا يزالون حتى الآن يتحرون عن اسبابهـا وهناك اقوال كثيرة لهم في هذا الشأن لا يمكن الاعتماد على صحتها كقولهم مثلا بأن الامام الحاكم كان حاكماً ظالما يميل إلى سفك الدمـاء كما وانه كان مريضاً في عقله .

ونحن مع استغرابنا لهذه الاقوال والاتهامات التي لا أساس لها من

الصحة نقول بأن المتعمق بدراسة تاريخ حياة الامام الحاكم يتضح له بأنه كان على عكس ما قيل فيه تماماً والبرهان على ذلك ما قـــاله الانطاكي (اظهر الحاكم من العدل مـا لم يسمع به ، وكان له جود عظيم وعطايا جزيلة وصلات واسعة[1] وكان نصيراً للعلوم والآداب يغدق المنح على الاساتذة ودور العلم ويوزع امواله الخاصة على المساجد والفقراء.

وقال عبد الله عنان أيضاً متحدثاً عن زهده وتقشفه وتواضعه قال : كان الامام الحاكم يحتقر الألقاب كما يحتقر متاع هـذه الدنيا ، اشتهر بالزهد والورع ، وادهش الناس بتصوفه الفلسفي ، اقتصر طعامه على أبسط ما تقتضيه الحياة من القوت المتواضع .

ونحن ازاء تلك الاقوال لا يسعنا الا ان نرد على هؤلاء المؤرخين بقولنا ، ان كل ما احيط بشخصية الامام الحاكم لم يكن الا من قبيل الدس والتحامل والعصبية الرعناء أو بالأحرى الحـكم السريع على الامور قبل التشبع من دراستها ، فامام ينحدر من العترة الطاهرة ويتمتع بالعصمة لا يمكن ان يصدر عنه الا الخير العميم لصالح البشرية جمعاء لأنه وجد في الكون لانقاذ الأنفس وانارة ظلمات القلوب وبعث الحياة في النفوس المجدبة الضعيفة وتخليصها من الادران في عالم الكون والفساد .

والخلاصة لقد كان حياة الامام الحاكم سلسلة من الاعمـــال الخيرية والاصلاحات الاجتماعية المتعددة منذ اللحظة التي بدأ بها مسؤوليته اماماً للاسماعيلية وخليفة للمسلمين في مصر ، وفي عهده تقدمت الثقافة تقدماً

(١) تاريخ الانطاكي وهو كاتب مسيحي منصف ص (٢٠٦ - ٢٠٧) .

عظيما ونبغ شعراء ودعاة افذاذ كان لهم الأثر الكبير في انتشار الدعوة الاسماعيلية وازدهار علومها في القرن الرابع عشر، ونبغ من المؤلفين الاسماعيليين أمثال احمد حميد الدين بن عبد الله الكرماني والقاضي عبد العزيز بن محمد بن النعمان والفيلسوف ابو علي الحسن بن الحسن بن الهيثم، وداعي الدعاة سيدنا افتكين الضيف، والداعي السوري أبو الفوارس ابن يعقوب، والداعي زياد بن محمد وغيرهم من كبار رجالات المذهب الاسماعيلي ورجـال الفلسفة والفقه واساتذة دار الحكمة .

داعي الدعاة وحجة العراقين سيدنا احمد حميد الدين بن عبدالله الكرماني :

كان سيدنا احمد حميد الدين الكرماني داعياً للامام الحاكم وحجة في العراقين للامام العزيز أيضاً . اشتهر بتفانيه في خدمة المذهب الاسماعيلي والدفاع عنه بقلمه وحججه وبيانه، وقد أظهر للوجود مؤلفات عظيمة تبحث في الفلسفة والفقـه والتأويل فأحدثت انقلاباً فكرياً في جميع الأوساط واحتلت المكان اللائق في القلوب :

كانت ولادة سيدنا الكرماني سنه ٣٥٢ هجرية في القاهرة ونشأ وتأدب في بيت الدعوة الاسماعيلية حيث تلقى أصول المذهب الاسماعيلي على أيدي كبار رجالات الدعوة في القاهرة، عرف بنبوغه وذكائه واخلاصه التام لامام زمانه، فجعله كبيراً لدعاته في العراقين أي فارس والعراق ولقبـه (بحجة العراقين) بعد ان استمال والي الموصل المقلد بن يوسف فاعتنق الاسماعيلية وخطب للامام العزيز على منبر الموصل سنة ٣٨٢ هجرية، وبعد وفاة الامام العزيز استدعاه الامام الحاكم الى القاهرة ورفع منزلته ولقبه بداعي الدعاة وأمره ان يلقي مجالس الحكمة التأويلية في كل اسبوع . (١٦)

لبث في القاهرة حتى عام ٤٠٨ هجرية حيث أعيد بعد ذلك إلى مقره السابق لتنظيم أمور الدعوة في بلاد فارس ، فاعتكف هناك مدة وجيزة للتأليف والوعظ حتى انتقل إلى جوار ربه سنة ٤١١ هجرية قبل وفاة الامام الحاكم بعشرة ايام ودفن في بلاد فارس .

وهكذا يكون قد قضى هـــذا العالم الكبير تسعة وخمسين عاماً في خدمة الأئمة ، فقدم للاسماعيلية ما يقارب الاربعين مؤلفاً جلها في الفلسفة والتأويل والفقه الاسماعيلي ومن مؤلفاته :

١ — كتاب تنبيه الهادي والمستهدي .
٢ — كتاب معاصم الهدى .
٣ — كتاب المصابيح في إثبات الامامة .
٤ — كتاب راحة العقل في جزءين .
٥ — كتاب الاصابة في تفضيل علي على الصحابة .
٦ — الاقوال الذهبية .
٧ — فصل الخطاب وابانة الحق المتجلي عن الارتياب .
٨ — المحصول .
٩ — الوديعة .
١٠ — الرسالة الدرية .
١١ — رسالة النظم .
١٢ — الرسالة الرضية .
١٣ — الرسالة المضيئة في الأمر والآمر والمأمور .
١٤ — الرسالة اللازمة .
١٥ — الرسالة الزاهرة .
١٦ — الرسالة الحاوية في الليل والنهار .

١٧ – الروضة في الأزل .
١٨ – مباسم البشارات .
١٩ – الرسالة الواعظة .
٢٠ – الكفاية في الرد على الهاروني .
٢١ – خزائن الادلة .
٢٢ – كتاب الرياض .
٢٣ – كتاب المعاد .
٢٤ – كتاب الفهرست .
٢٥ – التوحيد في المعاد .
٢٦ – تاج العقل .
٢٧ – ميدان العقل .
٢٨ – النقد والالزام .
٢٩ – كتاب المقاييس .
٣٠ – المجالس البغدادية .
٣١ – رسالة المقادير والحقائق .
٣٢ – كتاب الكيل للنفس .
٣٣ - رسالة اسبوع دور الستر .

هذا ما اتصل بي معرفته من كتب سيدنا الكرماني وكلها تقريباً موجودة في خزائن بيوت الدعوة الاسماعيلية وهناك عدد آخر من مؤلفات الكرماني تشير اليه بعض المخطوطات الاسماعيلية ضربت صفحاً عن ذكرها تلبية لرغبة بعض الدعاة الذين لا يزالون يحرصون على سرية المؤلفات الاسماعيلية واكتفينا بما اوردناه .

وقبل ان ننتهي من بحثنا التاريخي عن سيدنا الكرماني لا بد لنا من

الاشارة الى كتابه المسمى راحة العقل الذي طبع مؤخراً بالقاهرة بعد ان حققه الدكتور كامل حسين ومصطفى حلمي من جامعة فؤاد الاول .

بعد ان استعرضنا مقدمة هـــذا الكتاب ونصوص الكتاب نفسه ومقابلته للمخطوط الذي يوجد في المكتبة الاسماعيلية السورية تبين لنا ان المحققين قد مرا بابحاث هذا الكتاب القيم مرور الكرام فلم يتفهما ما فيه من الغـــاز ورموز وأسرار ، ودليلنا على ذلك تفسيرهم للأسوار السبعة والشوارع السبعة وللسور الاخير الذي يحتوي على أربعـــة عشر شارعاً . وقد كان هذا التفسير مدعاة للهزء والسخرية لأنه لا ينطبق على الحقائق الاسماعيلية ولا يوافق العقائد ، وليس هو من الابحاث التي تستحق الاعجاب والتقدير ، فهذه الرموز وتلك الاشارات لا يفهمها الا اسماعيلي صميم تثقف في مدرسة الاسماعيلية وعرف كل العلوم التي لها صلة بالاسماعيلية وخاصة بالامامة .

وهذه المحاولات الأدبية والتفسيرات الغريبة التي جاءا بها تدل دلالة واضحة على ان الدكتور كامل حسين وهـــو الاختصاصي بالدراسات الاسماعيلية قد انجز تحقيق كتاب راحة العقل بسرعة وكتب مقدمته بدون ان يصل الى ما نرجوه له من معرفة وتوفيق .

الامام

الظاهر لاعزاز دين الله ابو الحسن علي

ولد الامام الظاهر لاعزاز دين الله أبو حسن علي في يوم الاربعاء ١٠ رمضان سنة ٣٩٥ هجرية بالقاهرة .

كان عمره ستة عشر عاماً عندما أصبح اماماً وخليفة . في عهده تعرضت المملكة المصرية لقحط شديد استمر عدة سنوات ، فتفشت المجاعة وانتشرت الامراض في جميع البلاد وارتفعت أسعار المواد الغذائية وكثر النهب والسلب [١] ولكن الامام تيقظ للأمر وعمل على انقاذ البلاد من الخطر المحدق موزعاً الاموال الطائلة والأطعمة والأدوية على أفراد الشعب وضرب بيد من حديد على اللصوص والمارقين العابثين في النظام ، فاستتب الأمن وتحسنت حالة البلاد ونشطت الزراعة وازدهرت التجارة .

وجه عنايته الخاصة لدار العلم الاسماعيلية فنظمها تنظيماً دقيقاً واختار لها الدعاة والمدرسين ذوي الاخلاق الكريمة والعلوم الغزيرة ،

---

(١) خطط المقريزي ج ٢ ص ١٧٦ ـ ابن الاثير ج ٩ ص ١٥٤ .

ووزع المتخرجين من تلك الدار في البلاد وخاصة في بغداد وفارس حينما حصل الاختلاف بين الاتراك أنفسهم فاستجاب لدعوتهم خلـق كثير . ألـّف الامام فرقة خاصة من الشباب الاسماعيلي الأقوياء وجعلهم على أتم الاستعداد لتنفيذ الأوامر في كل لحظة وأمر بتلقينهم العلوم وتدريبهم تدريباً فنياً على جميع الاسلحة وفنون القتال .

وفي سنة ٤١٨ هجرية وقع الامام الظاهر الهدنة مع امبراطور الدولة الرومانية وخطب للامام في عاصمة القسطنطينية .

وفي سنة ٤٢١ هجرية أمر بجمع الدعاة والفقهاء والوزراء والقواد ونص بحضورهم بولاية العهد لابنه المستنصر بالله وهو ابن ثمانية أشهر ، فوزعت العطايا لهذه المناسبة الكريمة ، وأقيمت الافراح في جميع انحاء المملكة .

اقتفى الامام الظاهر أثر آبائه الصالحين فاعتنى بدور العـلم وشجع العلماء وخصص لهم الأموال ، وعـين الجوائز الكثيرة لمن يحفظ كتاب (دعائم الاسلام) وكتاب (مختصر الوزير) من أفراد الرعية ، فحفظها خلق كثير .

وهكذا كان الامام الظاهر خير خلف لأحسن سلف ، حسن السيرة والسياسة منصفاً للرعية يسعى دائماً لراحة ورفاهية شعبه باذلاً في سبيل ذلك الأموال الطائلة .

توفي في الخامس عشر من شعبان سنة ٤٢٧ هجرية ، ودفن في مقبرة القصر بالقاهرة .

الامام

المستنصر بالله معد ابو تميم

ولد الامام المستنصر بالله في يوم الثلاثاء العشرين من جمـادي الآخر وقيل في السادس عشر منـه سنة ٤٢٠ [1] في مدينة القاهرة ، وبويع بالخلافة يوم الأحـد في ١٥ شعبان سنة ٤٢٧ هجرية وهو في السابعة من عمره .

حصلت في عهده مجاعة دامت سبع سنوات ، ففقدت المواد الغذائية من الاسواق ، وارتفعت الاسعار ، عندئذ اخرج من خزائنه الخاصة الاموال والثياب ووزعها لاعانة الشعب ، وحاولت بعض البلدان المحكومة الانتفاض ونقض البيعة وإقامة الدعوة للخليفة العباسي فسير عليهم الجيوش وحصلت الحروب والثورات فاستقدم أمير الجيوش بدر بن عبد الله الجمالي واسند اليه منصب الوزارة ولقب بالسيد الأجـل كما اسندت اليه رئاسة الدعوة الاسماعيلية . عمل أمير الجيوش جاهداً لاصلاح احوال البلاد وقضى على الثورات ، فاستقرت الامور وعم الهدوء والسكينة جميع انحاء البلاد وتحسنت

(١) خطط المقريزي ج ٢ص ٢٧٩ .

الحالة الزراعية وهبطت أسعار الحاجيات فعاش الشعب بالرخاء والطمأنينة.

عهد الامـام المستنصر الى الداعي علي بن محمد الصليحي بتولي رئاسة الدعوة الاسماعيلية في بلاد اليمن فسار الى (حصن مسار) بجبل جرارة واخذ يستميل الناس اليه حتى اجتمع من قبائل سنحان وهمدان وحمير خلق كثير[١] فجهزهم لاحتلال عاصمة اليمن (صنعاء) مقر دولة (نجاح) فاحتلها وقضى على نفوذ دولة نجاح في اليمن وضم اليه قبيلة زبيد وخطب للامام المستنصر في جميع انحاء اليمن وعلت مكانته فيها وبسط سلطانه على جميع البلاد واصبحت صنعاء عاصمة له ، يحدثنا القرشي قائلا : لم يقع لأحد فيمن ملك اليمن ما وقع لعلي بن محمد الصليحي ، فانه استولى على اليمن سهله وجبله وشماله وغربه وشرقه في المدة اليسيرة وقهر ملوكه وأقام الخطبة للامام المستنصر واعيد مجد الاسماعيلية الى اليمن بعد أن ضعف اثر وفاة ابن حوشب واختلاف بنيه من بعده[٢].

وعندما حدثت الفتنة في مكة سنة ٤٥٥ هجرية عهد الامام الى رئيس دعاته في اليمن الصليحي ليذهب على رأس حملة الى مكة ويقضي على الفتنة.

سار الصليحي الى مكة واستمال اهلها وتعاون مع اميرها لنشر الأمن والطمأنينة فيهـــا ، فطابت قلوب الناس وتدنت اسعار الحاجيات وكسا الصليحي البيت الحرام بثياب بيض[٣].

كذلك أرسل الامـام المستنصر الداعي الحارث ارسلان البساسيري ليتولى شؤون الدعوة في بغـــداد فخرج سنة ٤٤٨ هجرية يدعو الناس للانضواء تحت العلم الاسماعيلي والاستقاء من معينه الذي لا ينضب ، فعظم

---

(١) ابن خلدون ج ٢ ص ٢١٥ .
(٢) بلوغ المرام ص ٢٥ .
(٣) ابو المحاسن ج ٥ ص ٧٢ .

أمره وكبر شأنه وأقام الخطبة للامام المستنصر في مساجد بغداد ففر الخليفة العباسي القائم وغادر البلاد[١] واقيمت الدعوة في البصرة وخطب للامام فيها .

وفي سنة ٤٥٩ هجرية اغتيل رئيس دعاة اليمن الصليحي بينما كان في طريقه الى البيت الحرام ليؤدي فريضة الحج فاسندت رئاسة الدعوة هناك لولده (المكرم أحمد) فتغلب على جميع العقبات والمصاعب التي اعترضته ، وتزوج بداعية صنعاء السيدة الحرة ابنة أحمد بن محمد بن جعفر ابن موسى الصليحي وسلمها زمام الامور في اليمن ، فتفانت هذه الداعية العظيمة في خدمة امامها وعملت على انتشار الدعوة الاسماعيلية في جميع البلاد المجاورة .

وهكذا فان الدعوة الاسماعيلية في عهد الامام المستنصر كانت منظمة يدير شئونها دعاة أكفاء علماء كان لهم اكبر الأثر في القضاء على الثورات الداخلية واستئصال الفتن من الجذور ، فعظم امرهم وانتشرت عقيدتهم في أغلب البلاد ؛ فاتسعت رقعة المملكة واستقرت أمورها الداخلية والخارجية .

لبث البساسيري في بغداد حتى هوجمت من قبل (طغرل بك) فقتل البساسيري وأعيد الخليفة العباسي الى بغداد وكان ذلك سنة ٤٥١ هجرية .

وفي سنة ٤٧٩ هجرية أمّ القاهرة الداعي الاسماعيلي الكبير (ناصر خسرو) داعي بلاد خراسان وفارس و (حسن الصباح) داعي جبال الطالقان والري وديار بكر والشام ، ليتدربا في بيت الدعوة وليتلقيا الدروس النهائية على يدي الامام المستنصر ، وبعد ان انتهت مدة

(١) وفيات الاعيان جـ ٢ ص ١٥١ ـ خطط المقريزي جـ ٢ ص ٢٧٩ .

تدريبها عقد الامـــام اجتماعاً كبيراً ضم أغلب الدعـــاة ونص على امامة ولده الأكبر نزار من بعده وكان ذلك عام ٤٨٠ هجرية .

توفي الامام المستنصر في ١٨ ذي الحجة سنة ٤٨٧ هجرية في ليـلة الخميس بعد ان أقام بالخلافة ستين عاماً توصل خلالها الى مـا لم يتوصل اليه أحد قبله من الأئمة الذين تولوا شئون مصر في العهـد الفاطمي ، كما بلغت الدعوة الاسماعيلية الذروة وانتشرت في اغلب البـلاد العربية على ايدي علماء وفلاسفة كبار نذكر منهم :

سيدنا المؤيد في الدين داعي الدعي الداعاة :

ولد هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي السلماني[1] في مدينـــة شيراز سنة ٣٩١ هجرية من أبوين اسماعيليين ، وتلقن اصول المذهب الاسماعيلي على يدي والده داعي دعاة بلاد فارس ، وبعد وفاة أبيه عين داعياً لبلاد فارس وحجة للامام المستنصر فيها .

استطاع ان يدخل الملك أبي كاليجار في المذهب الاسماعيلي كما أدخل غيره من الوزراء والأمراء وكان يفحمهم ويقنعهم بغزارة علمه وشدة معرفته في أصول العقائد الاسماعيلية وخاصة نبوغه في علم التأويـل التي تتركز عليه العقائد الفلسفية الاسماعيلية .

عظم أمر المؤيد في تلك البلاد فسارت سيرته في الآفاق ، ولقـــد استدعي الى بيت الدعوة في مصر نحو عام ٤٣٨ ليلقي بعض المجالس التأويلية وليتدرب التدريب النهائي على يدي الامام ، فوصل القـاهرة ودخل القصر معززاً مكرماً . وتدرج في المناصب الكبرى حتى توصل الى رتبة رئيس الدعاة ، ومن القاهرة وجه المؤيد رسائله المشهورة الى الفيلسوف

(١) هو ابو نصر هبة الله بن موسى بن ابي عمران ، صاحب اكبر منصب من مناصب الدعوة الفاطمية . المقاد ــ ص ١١٦ .

ابي العلاء المعري ينتقده فيها لتحريمه اكل اللحوم وشرب الألبان [١] ، ومن ثم أوفده الامام المستنصر الى اليمن ليلقي بعض الدروس في مدرسة الدعاة وليشرف على تنظيم بيت الدعوة هناك ، ومن ثم ارسل الى حلب فتمكن من استمالة اهلها واقامة الدعوة الاسماعيلية فيهـــا باسم الامام المستنصر وأعيد الى مقر عمله في بلاد فارس حيث توفي في مدينة شيراز عام ٤٧٠ هجرية .

وبعد ان قاربنا من الانتهاء لا بد لنا من التعرض لبعض ما جاء بكتاب سيرة المؤيد في الدين الذي حققه الدكتور كامل حسين :

جاء فيها أن المؤيد في الدين كان يوجه بعض الانتقادات الى امامه المستنصر ، قائلا بأنه كان العوبة في أيدي والدته ووزرائه .. إلى آخر ما هنالك من أقوال عجيبة غريبة لا تتفق وواقع من توصل الى مركز المؤيد في الدين في مراتب الدعوة ولا يمكن أن تصدر مثل هـــذه الأمور عن رجل يعتقد بأن الامام يتمتع بالعصمة ولا يمكن ان يخطىء أبداً ، والظاهر ان هذه الأقوال لفقت وأضيفت على (سيرة المؤيـــد) إما من قبل النساخ أو من قبل أشخاص غايتهم تشويه الحقائق والدليل على ذلك أن النسخ المخطوطة الموجودة لدينا لا يوجد فيهـا أي نص أو انتقاد من هذا النوع ومن المستحيل أن تصدر عن حجة الإمام أو داعي دعاته هكذا انتقادات بعد أن اشتهر عن المؤيد صلاحه وتقواه وطاعته لإمامه ، ومن الرجوع إلى ديوانه الشعري وأقوله بالإمام تتضح الحقيقة التي كان يجب على الدكتور كامل حسين وهو الاختصاصي بالابحـــاث الفاطمية ان يراعيها مراعاة دقيقة حتى لا تمر عليه أقوال من شأنها تشويه

---

(١) وقد استعار من اسمه « موسى بن ابي عمران » تفسيراً لوقوفـه من رهين المحبسين المعري موقف المقتبس من نار الطور .

التاريخ والحقائق ؛ نعود فنقول بان المؤيد في الدين كان غزير العلم ، اتحف المكتبة الاسماعيلية بمجموعة من المؤلفات الثمينة نذكر منها :

١ – المجالس المؤيدية .

٢ – ديوان المؤيد في الدين .

٣ – شرح المعاد .

٤ – الايضاح والتبصير في فضل يوم الغدير .

٥ – سيرة المؤيد في الدين .

٦ – الابتداء والانتهاء .

٧ – جمع الحقائق في تحريم اللحم والالبان .

٨ – تأويل الأرواح .

٩ – نهج العبادة .

١٠ – المسائل والجواب .

١١ – الرسالة الدرية .

الامام

المصطفى بالله نزار

ولد الامام المصطفى بالله نزار ابن الامام المستنصر في ١٠ ربيع الأول سنة ٤٣٧ هجرية في مدينة القاهرة وأصبح ولياً لعهد الإمامة سنة ٤٨٠ هجرية بموجب النص عليه من والده أمام نخبة من رجالات الدعـوة الاسماعيلية وأعلنت ولايته للعهد على الجمهور ، عندما انتقل الإمـام المستنصر في ١٢ ذي الحجة سنة ٤٨٧ هجرية ثم أقصي الإمام نزار عن الخلافة نتيجة لمؤامرة دنيئة حاكها الوزير الافضل بدر الجمالي الذي كان يخشى ان يتسلم نزار شؤون الخلافة فيبعده عن الوزارة نظراً لما كان يتمتع به من سمعة سيئة ونفوذ عظيم في البلاد ، وتعددت أقوال المؤرخين في أسباب الخلاف بين نزار والافضل .

ولقد أتى المؤرخ ابن الأثير على ذكر اسباب هذا الخلاف فقـال :

كان الإمام المستنصر قد عهد لولده نزار بالإمامة والخلافة سنة ٤٨٠ هجرية بمدة طويلة ، إلا أن الافضل رئيس الوزراء سعى لخلعه وبايع أخيه الأصغر احمد المستعلي ، وسبب نقمة الافضل انه ركب مرة أثناء

خلافة المستنصر ودخل القصر راكباً من باب الذهب بينما كان نزار خارجاً من نفس الدهليز فصاح به (إنزل يا أرمني يا كلب عن الفرس إذا ما كنت داخلاً إلى القصر ، ما أقل أدبك) فحقدها عليه وخشي إذا ما أضحى خليفة أن يقضي عليه ويبعده عن الوزارة فسعى لخلعه خوفاً منه وبايع أخاه المستعلي [١] .

غادر الإمام نزار القاهرة بصحبة نخبة من رجال دعوته الذين فضلوا المسير معه على العيش تحت كنف المغتصبين وهذا ما سبب انقساماً داخلياً في الاسماعيلية فانقسمت الى فريقين ، الاولى ظلت على اخلاصها للامام نزار وسميت بالاسماعيلية النزارية أو (الاغاخانية) كما يسمونها الآن ، وهي موضوع بحثنا في هذا الكتاب ، أما الفرقة الثانية فصارت من أتباع الخليفة أحمد المستعلي ، فسميت بالمستعلية المعروفة الآن بطائفة (البهرة) في الهند أو الطيبية في اليمن .

أقول غادر الإمام نزار القاهرة إلى الاسكندرية بدعوة من حاكمها المخلص ناصر الدولة افتكين والقاضي جلال الدين بن عمار فبايعه جميع أهلها كما أتته البيعة وكتب الولاء من سائر بلاد فارس وسوريا وجبال الطالقان وغيرهما من البلدان الأخرى والقلاع الاسماعيلية ، وقد خشي الافضل ان تزداد قوة الامام نزار في الاسكندرية فيصبح خطراً على مركز الخلافة في القاهرة ، فسار اليه على رأس جيش لجب وحاصر الاسكندرية إلا أنه غادرها مدحوراً مقهوراً ليعود ثانية على رأس جيش أوفر عدداً من ذي قبل ففتح الاسكندرية وألقى القبض على حاكمها أفتكين وعلى القاضي جلال الدين وعدداً من رجالات الدعوة النزارية وقيل أنه قبض

---

(١) ويقال ان المستنصر كان حفيداً للوزير بدر الجمالي .

على الإمام نزار فسلمه للمستعلي الذي أمر أن يبنى عليه حائطاً فمات ، وقيل في رواية ان الامير نزار قتل في القاهرة سنة ٤٨٨ هجرية .

غير أن أغلب المصادر التاريخية لا تؤيد هذا القول وخاصة المصادر الاسماعيلية النزارية التي هي بين أيدينا إذ يقول أكثرها بأن الإمام نزار قد تمكن من مغادرة الاسكندرية سراً أثناء الحصار واتجه إلى بلاد فارس حيث إستقر به المقام في جبال الطالقان واسس الدولة النزارية هناك .

اما سبب هذه الاخبار والباعث اليها فهو ان المستعلين عمدوا لذلك بقصد الطعن في نسب الائمة الذين ينحدرون من نزار وهم اصحاب الحق الشرعي بموجب النص .

ولقد عثرنا مؤخراً على مخطوط اسماعيلي في بيت أحد المشايخ الاسماعيليين في القدموس يسمى كتاب الاخبار والآثار للداعي المغربي الشيخ محمد ابي المكارم ، الذي ذكر فيه قصة فرار الامام نزار من الاسكندرية فقال :

عندما اشتد الحصار على الاسكندرية من قبل الجاحد المارق الذنديق الارمني الافضل غادرها مولانا الامام نزار عليه السلام مع أهـل بيته متخفياً بزي التجار نحو سجلماسة حيث مكث عند عمتـه هناك بضعة اشهر حتى عادت اليه الرسل التي أوفدهـا لإبلاغ الحسن بن الصباح عن محل اقامته فسار الى جبال الطالقان مع اهل بيتـه ومن بقي معه من دعاته وخدمه حيث استقر بقلعة الموت بين رجال دعوته المخلصين وعمل مع الحسن بن الصباح على تأسيس الدولة النزارية وبعـد ان تم له ذلك اصابه مرض شديد استدعى على اثره دعاته ونص على امامة ابنه (علي) وذلك سنة ٤٩٠ هجرية ، وتوفي في اليوم الثاني ودفن في قلعة الموت .

الداعي الفيلسوف الحكيم سيدنا ناصر خسرو :

ولد الشاعر الحكيم والفيلسوف الاسماعيلي الكبير الرحالة العظيم سيدنا ابو معين ناصر بن خسرو القبادياني المارديني سنة ٣٩٤ هجرية في بلدة (بلخ) .

تأدب وتعلم على ايدي الفلاسفة والدعاة الاسماعيليين ، فأظهر نبوغاً عجيباً وشاعرية فذة ، وتفوق في علوم الرياضيات ، واختير ليكون وزيراً للمالية في عهد الملك السلجوقي ، ولكنه مج الوظيفة فاستقال من منصبه وقام برحلة طويلة وصفها في كتابه (سفر نامه) ووصل الى القاهرة اثناء خلافة الامام المستنصر ، فرحب به وادخله بيت الدعوة ليتلقى اخر تدريب فيه على اصول العقائد الاسماعيلية ، ومن ثم عين داعياً لبلاد بدخشان وخراسان حيث انتشرت الاسماعيلية على يديه انتشاراً منقطع النظير ، ولما شعر بنشاطه الخليفة العباسي لاحقه فتوارى عن الانظار وقاسى المصاعب والاهوال وهو ينشر دعوته بكل امانة واخلاص ، ولكنه اضطر لمغادرة البلاد والإلتجاء الى قلعة جبل (ليمغان) وبقي فيها يعيش عيشة التقشف والزهد مرتدياً الخشن من اللباس ويقتات بالاعشاب حتى انتقل الى جوار ربه سنة ٤٨١ هجرية .

شيخ الجبل الاول سيدنا عبد الملك بن عطاش :

ولد شيخ الجبل الاول سيدنا الحكيم أحمد بن عبد الملك بن عطاش في بلاد فارس سنة ٤٣٧ هجرية من ابوين اسماعيليين ، كان والده عبد الملك حكيما متعمقاً في علوم الفلسفة الروحية الاسماعيلية والفقه الاسماعيلي

فنشأ ابنه مقتفياً اثر ابيه فأصبح في مدة وجيزة من اكبر علماء ايران واعظم دعاة المذهب الاسماعيلي فيها عرج ، على بيت الدعوة الاسماعيلية في القاهرة سنة ٤٧٠ هجرية لينهي دراسته المذهبية على يدي الامام ، ثم عين كبيرا لدعاة بلاد فارس والري وما وراء النهر .

وصل الى الري عام ٤٨٤ هجرية متفقداً شؤون الدعوة فيها فبث دعاته وتلاميذه في جميع انحاء البلاد لينشروا الدعوة الاسماعيلية بين الناس ، ومن اعظم دعاته ، ابو نظم ، والحسن الصباح ، وأبو مؤمن وغيرهما من الدعاة الافذاذ الذين نشروا الدعوة في اذربيجان ودمشق وصيدا وعكا والطائف وغيرهما من البلاد الاخرى .

وقد بذل جهوداً جبارة في سبيل تأليف جيش اسماعيلي تمكن بواسطته من الاستيلاء على عدد من الحصون المنيعة بالقرب من اصفهان ، كقلعة (خالنجان) و (شيركو) و (خورخوس) وغيرهما من الحصون المنيعة ، التي أصبحت فيما بعد أكبر عوناً له في تحقيق أمانيه ، فاستقرت أحواله واستتب الأمن في مناطق نفوذه وعظم أمره ، وشيد مدرسة لتنشئة الدعـاة القديرين والتلامذة المخلصين لعقيدتهم فوزعهم على مختلف المناطق فتمكنوا من استمالة ٣٠٠٠٠ من أهالي تلك البلاد .

شعر السلطان محمد السلجوقي بان الاسماعيلية تنتشر بسرعة وأصبح خطرها يهدد دولته ويحيط ببلاده من جميع الجهات ، فخاف منهم وأمر بتعبئة الجيوش لقتالهم وخرج بنفسه على رأس تلك الجيوش سنة ٤٩٤ هجرية فتمكن من اجتياح بعض المعاقل الاسماعيلية بعد ان دافعوا عنها دفاع الابطال واستشهد منهم عدد كبير .

وسرعان ما وصلت النجدات الاسماعيلية من بقية القلاع فتمكنت من

دحر الجيوش الممتدية ، ولكن السلطان عاد لقتال الاسماعيليين ثانية بعد ان جمع فلول جيشه المهزوم وزوده بالعتاد والمؤن والاسلحة الكثيرة في شعبان سنة ٤٩٥ هجريه فاحاطت جيوشه بقلعة (شاه دزه) مقر قيادة الفدائية الاسماعيلية ومركز شيخ الجبل ، ويحدثنا ابن الاثير عن ذلك الحصار بقوله [١] : خرج السلطان محمد السلجوقي على رأس عساكر جرارة لقتال الاسماعيلية فحاصرهم في شعبان سنة ٤٩٥ هجرية وتجمع لحربهم جموع كثيرة فما احاطوا بجبل قلعة (شاه دزه) ورتب الامراء لقتالهم فكان يقاتلهم كل يوم امير فضاق الامر بهم واشتد الحصار عليهم فاستبسلوا في معاقلهم ونفذت الاطعمة منهم ففتحت قلعتهم بعد حصار طويل وأخذ شيخ الجبل اسيراً فترك اسبوعاً في السجن ، ثم أمر به فشهر في جميع البلاد وسلخ جلده فتجلد حتى مات ، وقتل ولده كما أن زوجته فضلت ان تقذف بنفسها من اعلى القلعة على ان تؤخذ اسيرة من قبل الاعداء وهكذا انتهت حياة هذا البطل الشهيد حيث لفظ انفاسه الاخيرة رافع الرأس موفور الكرامة .

وكان قتله بعد الاسر ، مخالفاً للعادات والتقاليد التي تقضي باكرام واحترام الاسير ، الا انه لا يستغرب أن يقوم بمثل هذا التمثيل قوم عرفوا بالسلب والنهب بالاضافة الى انهم مغتصبون لا يمكنهم تثبيت دعائم دولتهم الا بهذا النوع من التمثيل الشنيع سيما اذا كان الثائر من أهل البلاد الاصليين او كان من السلالة الطاهرة النبوية الشريفة .

* * *

---

(١) ابن الاثير ج ١٠ ص ١٠٨

الامام

علي الهادي بن الامام نزار

ولد الامام علي الهادي بن الامام نزار سنة ٤٧٠ هجرية في مدينة القاهرة ، وارتحل مع والده الامام نزار الى قلعة آلموت ، وبعد وفاة ابيه سنة ٤٩٠ هجرية أصبح بموجب النص اماما للاسماعيلية وكان لا يتجاوز العشرين من عمره فعمل على تنشئة الاسماعيلية وتنظيم دعوتها السرية في مختلف البلدان .

وقد انتشر المذهب الاسماعيلي في عهده انتشاراً قويا على أيدي داعيته وحجته الحسن بن الصباح (شيخ الجبل الثاني) اشهر الدعاة بقدرته الفائقة في العلوم وبمعلوماته الفلسفية وحججه القوية .

عمد الامام الى تأليف جيش قوي من الاسماعيلية قسّمه الى فرقتين ، الفرقة الاولى اسماها (الفدائية) وهي المكلفة ببذل التضحيات السريعة المستعجلة وتنفيذ الاوامر السرية الهامة ، ولقد تدرب أفراد تلك الفرقة اعظم تدريب على استعمال كافة انواع الاسلحة وعلى الفروسية ، كما لقنوا مختلف العلوم الفلسفية واتقنوا أغلب لغات اهالي تلك البلاد ، اما الفرقة

الثانية فقد سميت ب (الرفقاء) وهم المكلفون بنشر الدعوة الاسماعيلية باساليبهم الخاص في مختلف الاقطار والاقاليم ، وهم المدافعون عن مذهبهم بالعلم والفلسفة ، وعلى الغالب كانوا يتولون الوظائف الادارية في البلاد التي يوفدون اليها لنشر الدعوة .

وبواسطة هذا الجيش المنظم القوي توصلت الاسماعيلية الى درجة عظيمة من الرقي والتمدن ، فآلت اليها القلاع والحصون وقويت شوكة الاسماعيلية فهابها الملوك وخافها الامراء والسلاطين .

ولقد اجتاحت الدعوة الاسماعيلية خراسان وما وراء النهر فملكوا كثير من القلاع كقلعة (قهستان) و (جور) و (خوسف) و (زوزن) و (قاين) و (تون) والاطراف المجاورة لها وقلعة (خالنجان) بقرب اصفهان وقلعة (ستاوند) و (كردكوه) و (الناظر) بخوزستان وقلعة (الطنبور) و (خلادخان) وغيرهما من القلاع والحصون المنيعة ، وفي سنة ٥٢٠ هجرية عظم أمر الاسماعيلية في بلاد الشام وقويت شوكتهم وازداد نفوذهم فملكوا بانياس في ذي القعدة وانتشرت دعوتهم في حلب ودمشق والقدموس ومصياف والخوابي وغيرها من البلاد السورية [١] .

كذلك تعرض الاسماعيلية لغارات عنيفة وحصار مستمر من قبل السلاطين السلجوقين الذين حاولوا القضاء عليهم خشية ان يصبحوا خطراً يهدد كيان دولتهم بعد ان عظم أمرهم وانتشرت فدائيتهم في مختلف البلدان .

الا ان الاسماعيليين قد استبسلوا في معاقلهم ودحروا الحملات التي كانت تهاجمهم ، وفي سنة ٥٢٢ هجرية أمر الوزير المخلص ابو النصر أحمد

---

(١) ابن الاثير ج ١٠ ص « ١٠٨ – ١١١ – ١١٢ » .

بن الفضل وزير السلطان سنجر بغزو قلاع الاسماعيلية ومدنهم في خراسان وقتلهم اينما كانوا فظفر بهم بعد ان دافعوا عن معاقلهم دفاع الابطال ، ونهب اموالهم وسبى حريمهم وجهز الجيوش لقتالهم في (طريثيت) و (بيهق) من اعمال نيسابور فاحتلت جيوشه الجرارة قرية (طريثيت) وقتلوا كل من عثروا عليه في طريقهم من الاسماعيلية وقبضوا على النساء والاطفال ، فأمر قائد الحملة أن يحفر خندقاً خارج البلدة وتضرم النار فيه ، فجعل يأتي بالاطفال والنساء الاسماعيلية الى النار افواجاً ويلقيهم فيها حتى قتل منهم خلق كثير [1] ولم يسلم من تلك المجزرة البشرية الا الداعي الاسماعيلي لتلك القرية (الحسن بن سميك) الذي رفض الاستسلام وصعد (منارة القرية) ثم رمى نفسه عنها فمات وذهبت روحه الطاهرة الى خالقها تشكو ظلم الانسان وعنته .

وفي سنة ٥٢٣ هجرية في العاشر من شعبان أمر نظام الملك الوزير السلجوقي أن يقبض على نجار اسماعيلي اسمه (طاهر) فقتل ومثل به وجر برجليه في الاسواق وهو ميت ، فعظمت هـــذه الجريمة الوحشية لدى الاسماعيليين لأن هذا النجار كان أحد أعيان الفدائيين ، فحزن عليه شيخ الجبل الحسن الصباح وأوفد أحد فدائيته وأمره أن يثأر لاخيـــه النجار من نظام الملك فأغمد هذا الفدائي خنجره في صدر نظام الملك وكان ذلك في ١٠ رمضان سنة ٥٢٣ هجرية .

وهكذا يتضح لنا بان الامام علي الهادي قد قضى مدة إمامته متنقلاً بين القلاع والحصون الاسماعيلية لغارات كثيرة وحروب كبيرة واضطهادات وحشية ، وكان الاسماعيليون يتعرضون للقتل والتمثيل اينما وجدوا وكيفما

---

(١) ابن الاثير جـ ١٠ ص « ٢٢٤ » .

رحلوا حتى قتل منهم خلق كثير .

وبالرغم من هذا فقد تمكنوا من نشر دعوتهم فقويت شوكتهم حتى هابهم الملوك وخافهم الامراء والقواد واهتزت لعظمتهم وتضحيتهم وتفانيهم في خدمة الامام والبلاد .

وفي سنة ٥٣٠ هجرية توفي الامام علي الهادي بعد ان مكث في الامامة أربعين عاماً ودفن في قلعة (لامسار) بعد ان نص على امامة ولده محمد المهتدي .

الحسن بن الصباح شيخ الجبل الثاني

ولد الحسن بن علي بن محمد بن جعفر بن صباح الحميري سنة ٤٣٢ هجرية في بلدة (معصوم) من مقاطعة الري وهو ينتسب الى ملوك اليمن الحميريين .

تثقف وتأدب علي الموفق لدين الله النيسابوري في مدينة نيسابور مع الشاعر عمر الخيام والوزير نظام الملك ، فتواثقت عرى الصداقة بينهم وتعاهدوا فيما بينهم على اقتسام السعادة التي يحصلوا عليها في حياتهم العملية .

انتهت مدة دراستهم وذهب كل منهم يطلب عملا لنفسه ، اما الحسن ابن الصباح فقد عكف على دراسة العلوم الفلسفية والرياضيات وتعلم المذهب الاسماعيلي على شيخ الجبل الأول عبد الملك بن عطاش فاظهر تفوقاً كبيراً ونبوغاً أدهش اساتذته ومؤدبيه ، فأوفد الى القاهرة لانهاء دراسته المذهبية في دار الحكمة سنة ٤٧٩ [1] هجرية ابان خلافة الامام المستنصر وبقي هناك ثمانية عشر شهراً ومن ثم عين كبيراً لدعاة الشام

---

(١) وصل الحسن الى مصر سنة ٤٧١

وديار بكر والجزيرة والروم ، وقبل ان يغادر القاهرة قابل الامـــام المستنصر وسأله (من إمامي بعدك يا مولاي) فقال له (ولدي الأكبر نزار) وعاد الى خراسان فدخل ما وراء النهر وتمكن من الاستيلاء على قلعة (آلموت) الحصينة من أعمال اصفهان فجعلها مقراً له ونظم شؤون الاسماعيلية تنظيماً دقيقاً ، وأوفد الدعاة إلى جميع البلدان والأقاليم ، ووجه اعتناءه الزائد لتنشئة الفرقة الفدائية التي كان يرأسها فتمكن بواسطتها من الاستيلاء على عدد من المناطق المجاورة لمقره وعلى الحصون والقلاع ، وبعد استشهاد شيخ الجبل الأول عبد الملك بن عطاش عين مكانه فأصبح يلقب (بشيخ الجبل الثاني) وعندما حصل الخـلاف في مصر على تولي الخلافة الفاطمية كما ذكرنا سابقاً أوفد بعض لتبليغ الإمام نزار انه يرحب بأن ينقل مقره الى قلاعه ، فحضر الإمـام نزار الى آلموت وأضحت رئاسة الدعوة الاسماعيلية فيها فعظم نفوذهم وخفقت ألويتهم في البلاد .

وفي سنة ٥٠٠ هجرية فكر فخر الملك بن نظام الملك وزير السلطان سنجر أن يثأر لأبيه وهاجم قلاع الاسماعيلية ، فأوفد اليه الحسن بن الصباح أحد فدائيته فقتله بطعنة خنجر ، ولقد كانت قلاعه في حصار مستمر من قبل السلجوقيين .

وفي سنة ٥٠١ حوصرت قلعة (آلموت) من قبل السلطان السلجوقي واشتد الحصار عليها فأرسل السلطان رسولاً إلى الحسن بن الصباح يطلب منه الاستسلام ويدعوه لطاعته ، فنادى الحسن أحد فدائيته وقال له ألقي بنفسك عن هذا البرج ففعل وقال للثاني أطعن نفسك بهذا الخنجر ففعل ، فقال للرسول اذهب وقل لمولاك انه لدي سبعون الفاً من رجالي الأمناء المخلصين أمثال هؤلاء الذين يبذلون دماءهم في سبيل عقيدتهم المثلى .

والخلاصة كان الحسن بن الصباح رجلاً شهماً تقياً ورعاً ، ويحكى انه أمر باعدام أحد أبنائه عندما علم بأنه لا يسير على الطريق القويم ويشرب الخمر سراً [١] ، أو على الجملة كان موفقاً في جميع الحروب التي خاضها ، مما جعلهم يوجسون خيفة منه فهابوه واحترموه وليس بغريب ان يخلد ذكره التاريخ وهو أعظم شخصية سياسية علمية في القرن الرابع الهجري ، ولقد أفاد الدعوة الاسماعيلية بما قدمه من خدمات جل أن يحصى عددها طوال خمسة وثلاثين عاماً قضاها في خدمة ثلاثة من الأئمة الاسماعيليين المستنصر ونزار وعلي الهادي وتوفي هذا البطل الكبير والعلامة العظيم سنة ٥٢٨ هجرية ودفن في قلعة (آلموت) وصلى عليه الإمام علي الهادي .

وقبل أن ننهي حديثنا عن الصباح لا بد لنا من التعرض لأقوال المؤرخين فيه وبفرقة الفدائية الاسماعيلية التي كان يرأسها .

قالوا أن الحسن بن الصباح زنديق مارق يرأس فرقة من الحشاشين من القتلة واللصوص المجرمين قاطعي الطرق ، يستخدمهم لتنفيذ مآربه الشخصية وغاياته السياسية ، وكان عندما يريد استخدامهم يقدم لهم الحشيش والنساء ، وبعد أن يشربوا الحشيش ويأتوا الفحشاء يشعرون بالقوة والشجاعة فيؤدون مهمتهم على أكمل وجه دون خوف أو وجل ... الخ ... [٢] .

والذي نريد ان نقوله الآن هو ان الحقيقة قد خفيت على اولئك المؤرخين وليس تأثير الفدائيه وإنصياعهم التام وطاعتهم العمياء لأوامر

---

(١) كان الحسن في سبيل نجاح سياسته لم يعف عن اغتيال الوزراء والعلماء من اتباع المذهب السني وفي سبيل هذه المبادىء قتل أحد أبنائه لاتهامه بشرب الخمر والزنا ، وطرد من قلعة آلموت رجلاً من انصاره لأنه كان يتسلى بمزمار ، كذلك أقدم على قتل ابنه الثاني بتهمة الاشتراك في قتل أحد دعاته المقربين اليه .

(٢) امثال جرجي زيدان ، وعمر ابو النصر ، وغيرهما من القدماء والمحدثين .

رؤسائهم آت الا تبادل الثقة بين الرئيس والمرؤوس والايمان القوي بعقيدتهم المثلى وإمامهم المعصوم الذي يبذلون أرواحهم رخيصة في سبيله ، وان الاسماعيلية قد نالها من التحامل والدس والتجني الذي ما زال أثره باقياً حتى الآن في كتب التاريخ ولا أدري كيف يحلل الإمام الاسماعيلي أو شيخ الجبل الاسماعيلي لفدائيته شرب الحشيش وارتكاب الفحشاء والمعاصي ، ويحرم عليهم شرب الدخان من جهة ثانية وها ان التاريخ يثبت لنا بأن شيخ الجبل الحسن بن الصباح قد أقدم على جلد ولده الوحيد حتى مات امام ناظريه نظراً لأنه شرب الخمر ، فهل يعقل بعد هذا ان يحلل الفسق والحشيش لاتباعه ؟

فالحقيقة التي رجحها المستشرق الروسي الكبير (ايڤانوف) وغيره من العلماء الذين اهتموا بالابحاث الاسماعيلية هي ان كلمة (حشاشون) التي اطلقت على فرقة الفدائية محرفة عمداً واصلها على اربعة اوجه .

١ — (assassant) (أساسان) معناه القتلة وهذه لفظة كان يطلقها الفرنسيون الصليبيون على الفدائية الاسماعيلية الذين كانوا يفتكون بملوكهم وقادة جيوشهم فخافوهم ولقبوهم بـ (الأساسان) .

٢ — (Asoassins) نسبه الى رئيس الفدائية (الحسن بن الصباح) اي (حساسان) .

٣ — حساسون — ذوي حس وشعور .

٤ — عساسون — يقضون الليالي في قلاعهم وحصونهم .

وهكذا يتبين لنا بأن الأعداء قد عمدوا الى تحريف هذه الكلمات بقصد النيل من سمعة الحسن بن الصباح وفدائيته ، وليس هذا بجديد على اولئك المؤرخين الذين باعوا أقلامهم ووجدانهم في أسواق مادية محضة لارضاء رغبات ذوي الأغراض والحاجات ، ونحن نترك الحكم للتاريخ وللمؤرخين المنصفين .

الامام

محمد المهتدي بن الامام علي

ولد الامام محمد بن علي بن الإمام نزار الملقب بـ (المهتدي) سنة ٥٠٠ هجرية في قلعة (لامستر) واصبح إماماً للاسماعيلية بعد وفاة أبيه الإمام علي الهادي سنة ٥٣٠ هجرية .

كان أول عمل قام به أن نقل مقره إلى قلعة (آلموت) ووجه إهتمامه لبعث الجيش الاسماعيلي (الفدائية) من جديد وتدريبه تدريباً كاملاً ليستطيع الدفاع عن القلاع والحصون الاسماعيلية وللوقـــوف في وجه الغزاة .

ولقد وجه عنايته ايضاً لتنظيم الدعاة وتلقينهم أصول العقائد الاسماعيلية وتدريبهم على المباحثة والمناقشة في الفلسفة والفقه الاسلامي والعقائـــد الاسلامية ، كما أوجد بينهم نظام الشيفرة ليستعملوه في اتصالاتهم الداخلية والخارجية فاستعملوا الأعداد للدلالة على الأحرف الأبجديـة ، وتعرضت الاسماعيلية أيضاً لكثير من الهجمات الداخلية والغزوات الخارجية ، ففي سنة ٥٣٢ هجرية خرج لحربهم الخليفة العباسي (الراشد بالله) على رأس

جيوش جرارة وقاتلهم حتى استولى على بعض قلاعهم بعد أن دافعوا عنها طويلا ، ولكنهم اضطروا للاستسلام بالنظر لوفرة جيوش الخليفة ولانقطاع الامدادات والمؤن عنهم ، ونهبت قلاعهم كما سبيت نساؤهم وقتل اطفالهم ومثل فيهم ، حتى لم يبق احد منهم على قيد الحياة .

عاد الخليفة العباسي الى بغداد بعد ان انتهى من جريمته النكراء وامر ان يلقى القبض على الداعي الاسماعيلي (ابراهيم الاستربادي) واعدمه فوراً ، واستبيحت دماء الاسماعيلية فثار عليهم الناس وقتلوا منهم ستة آلاف اسماعيلي ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى سار اليهم السلطان السلجوقي (كبر يارق) بجيوش كثيرة فاحتل بعض القلاع الواقعة في مملكته بعد قتال شديد استمر عدة اشهر ودمر معالمها واحرق ساكنيها .

ونتيجة لتلك النكبات التي المتْ بالاسماعيلية تفرق عدد كبير منهم ودخلوا الاراضي السورية فانتشروا في مدنها والتجئوا الى القلاع الاسماعيلية الواقعة في المنطقة الغربية في سوريا كالقدموس ومصياف والمرقب ، والكهف ، والخوابي .

وذهب قسم آخر بزعامة الداعي (بهرام) فدخلوا دمشق ودعوا الناس الى مذاهبهم ، وساعدهم (طاهر بن سعد المزدغاني) صاحب دمشق وسلمهم قلعة بانياس من منطقة الحولة فعظم أمرهم فيها وتوسعوا في تلك المنطقة فملكوا عدداً كبيراً من القلاع والحصون .

شعر صاحب دمشق بما توصل اليه الاسماعيلية من مكانة في النفوس فخافهم ودبر مؤامرة للتخلص منهم ، فأولم وليمة في مقره بدمشق دعا اليها كبار الاسماعيلية ، وقبل أن يدخلوا القصر احاطهم بجنده وأفنوهم عن بكرة ابيهم ، وامر عسكره أن ينادوا بقتل الاسماعيلية في انحاء المدينة

فُقتل منهم عشرة آلاف اسماعيلي ونهبت اموالهم وشردت نساؤهم وأطفالهم.

كذلك هوجمت القلاع الاسماعيلية الاخرى من قبل السلطان السلجوقي (مسعود) فدافعوا عنها دفاع المستميت حتى تمكنوا من دحر جيوشه والقضاء عليها .

وهاجم الاسماعيلية خراسان فاحتلوا قسماً كبيراً من أراضيها .

وكذلك تعرضت المدن الاسماعيلية في المغرب لهجمات الافرنج فاستولوا على مدينة (المهدية) وقتلوا أميرها الاسماعيلي ونهبوا وقتلوا وسبوا كل من كان في تلك المدينة .

هكذا في عهد الامام محمد المهتدي تعرضت الاسماعيلية في جميع البلدان التي يقطنوها إلى غزوات واضطهادات كثيرة من الملوك والامراء . هذا ما جعلهم يتخلون عن بعض الحصون المنيعة والقلاع الحصينة عدا عما فقدوه من الأرواح والممتلكات .

وبالرغم من هـــذا فقد ثأروا لكرامتهم وقتلوا الخليفة العباسي (الراشد بالله) وصاحب دمشق ، وقائد جيوش الافرنج في طرطوس ، وغيرهم من القواد والامراء ، فعظم أمرهم وخافهم النـــاس وانتشرت دعوتهم في أغلب المدن السورية ، حلب ، دمشق ، صور ، صيدا ، طرابلس ، قدموس ، مصياف ، المرقب ، الكهف ، بانياس ، سرمين ، ابزاعة ، حماه ، حمص ، الخوابي ، وسادت كلمتهم وخفقت ألويتهم على رؤوس الروابي والقلاع ، وعاشوا بسلام فترة وجيزة من الوقت .

وفي ٥٥٢ هجرية توفي الامام (المهتدي) ودفن في قلعة (آلموت) بعد أن نص على إمامة ولده حسن .

رسالة الامام محمد المهتدي

الى اتباعه في سوريا[1]

أيها الاخوان الكرام واهل السلام .

اخلصوا الينا بقلوبكم ، وارحلوا الينا بنفوسكم ، ان عهدنا واصل اليكم ، وقد أمرنا ان يتلى عليكم فتتلقوه بقلوب صادقة ونفوس طائعة غير آبقة ، وقد ارسلنا اليكم باباً من ابوابنا وداعي من دعاتنا ، وهذا العهد يتلوه ويوضحه ولا يخفيه .

انني انا المولى محمد بن علي بن نزار ، لعن الله من انكر الحق واخفاه ، وقد عهدنا الى الداعي زين بن ابي الفرج بن ابي الحسن بن علي ، ان يوضح الحق حتى ينجلي ، أنا مولاكم محمد بن حسن بن نزار من افاق نوري على النهار .

اخواننا :

اطيعوا مولاكم وحافظوا على محبة اخوانكم ، فقد اشرقت الأرض بنور ربها ، وقد بان أوان الحق المبين عند انقضاء دور الاربعين وانتهاء

(١) عثرنا على هذه الرسالة ضمن مخطوط اسماعيلي وهو موجود الان بمكتبتي الخاصة ص (٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦) تأليف الداعي ابراهيم بن ابي الفوارس وكان الفراغ من تلك الرسالة سنة ٨٩٠ هجرية في السادس عشر من شوال .

مدة السبعين تتمة هذه الخلائق اجمعين واشراق الارض بنـــور اليقين ، وسيظهر الحق بكلمته على قلوب العارفين الذين هم على عبادتهم عـاكفين ولطاعتنا ملازمين ، وكل ما نريده من مريدينا ومخلصينا أن ينبذوا البغضاء ، ويعيشوا باتحاد وتضامن فمن كان على بينة من ربـــه ويتلوه شاهداً منه ، ومن سمع ما امرناه وقام بتنفيذ ما فرضناه من عهد قـد عهدناه ، فوجهنا مصروف اليه ونفوسنا مقبـــلة عليه ، انا الذي ظهرت بالناسوتية واختفيت باللاهوتية ، انا شمس اليقين وقبلة العارفين ونجـــاة الطالبين ، فمن عرفني نجا ، وها قد سمعتم مني بواطن جواهر القدرة الالهية واشرقت عليكم بانوار عزتي الجبروتية ، وامرتكم بأمر فامتثلوه ، وفرضت عليكم عهداً واجباً فاسمعوه ، ولا تكونوا لعهدنا ناكثين ولأوامرنا غـــير طائعين لأن الرفيق رب على التحقيق ، فمن خلصت نيتـه لمولاه وصفت سريرته لاخوانه بالدين تحدثت روحه بالعـالم الروحاني ، وتنزهت عما هو فـــان ، وصارت في دار الكرامة التي لا تتحول ، لأنكم اخوان صدق وايمان واصحاب نور وبرهان وهذه شرائط عشرة وفرائض عسيره ، فمن لزمها نجا ، ومن تخلف عنها ضل وغوى وكانت الجحيم هي المـأوى فما بعد الصبح خفى ، ومهما امركم داعينا فامتثلوه ومن واحب فـــاطيعوه انا مولاكم محمد بن علي بن نزار ، فقد جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ، وانزلنا عليكم رحمتنا وشملتكم عين عنايتنا ، واصطفيناكم من بين خليقتنا ، وجعلناكم أبناء دعوتنا ، فطاعتنا عليكم فرض وهي نجاتكم ليوم الفصل والعرض ، ان الله اصطفى للمؤمنين انفسهم واموالهم ، بالرضا والتسليم والصبر وحسن اليقين ، أعاذنا الله واياكم ايها المؤمنين الموحدين المهتدين ممن كان لعهدنا ناسياً وقلبه عن معرفة مولاه قاسياً .

أيها المؤمنين الموحدين العابدين :

اركبوا طريق من كان قبلكم من المريدين الذين كانوا لنا طائعين ، وبواجب ما فرض عليهم قائمين ، فهم في روح وريحان وجنات النعيم في مقعد صدق عند مليك مقتدر يرقى له الجنات ويشاهد بعينه الرحمات ويعرض عليه الحور والولدان ، شرابهم السلسبيل ونديمهم الجليل ، وساقيهم الخليل وعن يمينهم اسماعيل والبشير لهم جبرائيل ، وخادمهم عزرائيل ، فيا له من مقام محمود وشاهد ومشهود وحاضر موجود وشقي ومسعود فعند معانيه الحق المبين ، دعينا له خاضعين وما افترضه علينا سامعين ، والحمد لله رب العالمين .

الامام محمد بن علي بن نزار بن المستنصر
التوقيع بالخاتم الامامي الرسمي

الامام

حسن بن محمد بن علي

ولد الامام حسن بن محمد بن علي بن نزار الملقب بـ (القاهر بقوة الله) سنة ٥٢٠ هجرية في قلعة (الموت) وأصبح بعد وفاة أبيه سنة ٥٥٢ هجرية إماماً بموجب النص ، وكان عمره آنذاك ٢٨ سنة واحتفلت الاسماعيلية في جميع البلدان لهذه المناسبة احتفالات عظيمة استمرت اسبوعاً ، ووزع الامام الاموال والصدقات على الفقراء والمعوزين من أبنــــاء الاسماعيلية والشعوب الفقيرة المجاورة للقلاع الاسماعيلية .

وعين الداعي الأجل سيدنا (محمد كيا بزرك آميد) نائباً عنه وكبيراً لدعاته وكان هذا الداعي موضع ثقـة الامام ومقدراً لدى الجميع نظراً للمكانة العلمية السامية التي كان يحتلها .

عمل الداعي محمد بكل اخلاص وتفاني فنظم الدعوة ووزع الدعاة الأكفاء على جميع المناطق التي يمكن ان تتسرب اليها الدعوة الاسماعيلية ، ووجه عناية خاصة للفرقة الفدائية التي كانت تحتل المكان الأول في الجيش الاسماعيلي . وانشأ مدرسة خاصة لتثقيف (المغاوير) أو الفـــدائية

وتدريبهم التدريب الكامل على استعمال الاسلحة وتلقينهم أغلب اللغات المستعملة في ذلك الوقت . كما درب البعض منهم على تعاطي الأعمال التجارية والصناعية ليتمكن من توزيعها خفية بصفة (تجار أو صناع) على البلاد المجاورة . ويحكى بأن هذا الداعي كان له ولد اسمه (حسن) قيل انه تآمر على أبيه وارتكب بعض المحرمات ، فحكم عليه بالموت ، فجلد حتى مات أمام أبيه .

وهكذا أصبح سيدنا الإمام (محمد) مثالاً رائعاً للعدل والصدق والوفاء ، فتناقلت أخباره الركبان ، وأقبل الناس عليه زرافات ووحدانا لينهلوا من معينه الذي لا ينضب .

ولم يخل عهد الامام القاهر من الحروب والغزوات وهجمات الاعداء التي استمرت عدة سنين وكان النصر دائماً حليف الاسماعيلية نظراً لما كانوا عليه من قوة وعظمة وتضحية .

وبعد ان دحروا تلك الحملات والجيوش استتب لهم الامر وقرروا ان يتوسعوا قليلاً فاحتلوا قسماً كبيراً من البلاد المجاورة لهم وقضوا على التركمان واجلوهم عن بلادهم .

ولقد سببت تلك الحروب الضعف في الاقتصاديات ففكر الامام في تقويتها عن طريق تعاطي التجارة والصناعة فأمر الشعب الاسماعيلي ان يمتهن التجارة ويتعاطى الصناعة وجعل من قلاعه اسواقاً تجارية تعج بآلاف التجار القادمين من مختلف المناطق .

وأمر الدعاة ذوي المقدرة لمعاطاة التجارة ظاهراً وزودهم بالاموال الطائلة ، وبذلك توصلوا الى بث مذهبهم سراً وهم متخفين بزي التجار في الهند وفارس ، واليمن ، والعراق ، واذربيجان ، وخراسان ،

وتركيا ، وسوريا فازداد نفوذهم واحتلوا المكان اللائق بهم كأمة تؤمن بالقيم الروحية وتعمل جاهدة لما فيه الخير والفلاح لصالح البشرية جمعاء .

شعر الامام (القاهر) بأن الدعوة في العراق قد انتابها بعض الفتور فأوفد ابن عمه وكبير دعاته الموثوق بهم (ابا الحسن سنان ابن سليمان بن محمد) ليذهب الى البصرة مركز الاسماعيلية في العراق وأمره أن يشرف على تنظيم شؤون الدعوة الاسماعيلية هناك ، وزوده بتعاليم وارشادات عظيمة كانت اكبر عون له لاداء مهمته .

وكان هذا الداعي من أذكى الدعاة واعرفهم بأصول الفقه والفلسفة الاسماعيلية واقوام حجة ومنطقاً ، غادر (سنان راشد الدين) قلعة (آلموت) سنة ٥٥٦ هجرية واستقر بالبصرة فتمكن بوقت قليل من اعادة النشاط الاسماعيلي الى جميع البلدان العراقية بشكل أقوى واوسع من ذي قبل وتوفي الامام (القاهر بقوة الله) سنة ٥٥٧ هجرية ودفن في قلعة (آلموت) بعد ان نص على ولده (الحسن علي) .

الامام

الحسن علي بن الامام حسن قاهر

ولد الامام حسن علي بن محمد بن علي بن نزار سنة ٥٣٩ هجرية في قلعة (آلموت) .

تولى الامامة بعد وفاة ابيه سنة ٥٥٧ هجرية واحتفلت الاسماعيلية لمدة عشرة ايام ، ووزع الامام المنح والعطايا للفقراء والبائسين من ابناء الشعب ، وعرف ذلك (بعيد القيامة) نظراً لما تخلله من الاحتفالات الكثيرة والافراح العظيمة ، واتت رسائل التهنئة والولاء من جميع القلاع والحصون الاسماعيلية .

كان الامام حسن علي عالماً تقياً ورعاً لا نظير له في العلوم الفلسفية وعلوم ما وراء الطبيعة ووجه اهتمامه لتنظيم الدعوة الاسماعيلية فوزع الدعاة الاكفاء على الاقاليم الخاضعة للنفوذ الاسماعيلي ، وارسل داعي دعاة العراق سيدنا (سنان راشد الدين) سنة ٥٥٨ هجرية لتولي شؤون الدعوة في شمالي سورية بعد ان اصبحت الاسماعيلية على وشك الانقراض في تلك البلاد نظراً للخلافات الداخلية التي نشأت بين بعض الدعاة

وصل سيدنا (سنان راشد الدين) الى حلب واعاد النظام الى صفوف الاسماعيلية ، وجعل الناس يتوافدون اليه لسماع احاديثه الشيقة وحججه القوية فأدهش العلماء والفقهاء بما أظهر من مقدرة علمية فائقة جعلته يحتل مكانا سامياً في القلوب وارتفعت منزلته وقوي نفوذه ، وتدرج في مراتب الدعوة الاسماعيلية حتى اصبح حجة الامام وباباً من ابوابه ، ونقل مقره الى جبال مصياف حيث عمل على تقوية الدعوة وتوزيعها من هناك على جميع البلدان السورية .

والخلاصة : في عهد الامام (حسن علي) اتسعت رقعة البلاد الاسماعيلية وازداد نفوذهم في جميع المناطق السورية حتى اصبحوا بالفعل سادة للمناطق التي يقطنونها واستقلوا استقلالا ادارياً ، ومع هذا تعرضوا لهجمات وغزوات كثيرة شنها بعض الامراء الصليبيين ولكن الغزاة كانوا دائماً يعودون بخفي حنين .

وفي السادس من ربيع الاول ٥٦١ هجرية توفي الامام الحسن علي ودفن في (آلموت) .

* * *

الامام

أعلا محمد بن الحسن على

ولد الإمام أعلا محمد بن حسن قاهر سنة ٥٥٣ هجرية في قلعة (آلموت) تولى الإمامة بعد وفاة أبيه سنة ٥٦١ هجرية واحتفلت الاسماعيلية بتولي هذا الإمام وهو لا يتجاوز الثامنة من عمره مهام الإمامة وأتته رسائل التأييد من جميع القلاع والحصون ، كان الإمام أعلا محمد عالماً فاضلاً تعمق في دراسة العلوم الروحانية والفلسفية والفقهية ، وقيل (كانت علومه ومعارفه وأحاديثه تحير العقول) .

قضى على دعاية الأعداء التي كانوا يروجونها في البلاد ضد الاسماعيلية وذلك بأن أسس مدرسة خاصة لتلقين الدعاة (أصول الدعاية وأساليبها الحديثة) وهكذا قد حارب اعداءه بنفس السلاح الذي شهروه ضده .

ووجه عناية خاصة (للمناظرات العلمية) فخصص يوماً واحداً من كل اسبوع لاجراء المناظرات الفلسفية والفقهية بين الدعاة ، يحضرها بنفسه ليحكم بين المتناظرين فيعليهم ويرقيهم في مراتب الدعوة حسب ما يظهروه من كفاءة علمية وهذا ما ساعد الدعاة على تفهم اصول المذهب الاسماعيلي ،

فأظهروا نبوغاً منقطع النظير في جميع العلوم التي درسوها وتناقشوا فيها .

لم تتعرض الاسماعيلية ابان إمامته لأي هجمات خارجية فعاشت مع الأعداء بسلام مستمر نظراً لما كان يتمتع به الإمام أعلا محمد من مكانة علمية فائقة ، جعلته يكتسب حب واحترام جميع الطوائف والشعوب إلا أن الاسماعيلية في سورية قد تعرضت لغزوات بعض الأمراء الصليبيين ولنقمة صلاح الدين الأيوبي الذي جرد عليهم الحملات ، ولكن شيخ الجبل وحجة الإمام في سوريا (سنان راشد الدين) تمكن من رد جميع المحاولات والقضاء على كل من تسول له نفسه الاعتداء على القلاع الاسماعيلية وكان يرسل فدائيته الشجعان للقضاء على كل من يفكر بأذاهم أو محاربتهم .

فخافه الأمراء وهابه السلطان صلاح الدين فاضطر إلى توقيع معاهدة صداقة وعدم إعتداء معه وتقرب إليه السلطان فساعده سنان في بعض حروبه مع الصليبيين .

وهكذا قد توصلت الاسماعيلية في عهد الإمام أعلا محمد إلى درجة عظيمة من السؤدد والمجد والفخار فعاشوا بسلام مستمر طوال مدة إمامته التي استمرت ٤٦ سنة بالرغم من حدوث بعض الاصطدامات التي كانت تعود عليهم بالنصر .

توفي الإمام أعلا محمد بعد أن نص على إبنه جلال الدين وكانت وفاته سنة ٦٠٧ هجرية ودفن في قلعة (آلموت) .

شيخ الجبل الثالث سنان راشد الدين

هو سنان بن سليمان بن محمد ويكنى بـ (أبي الحسن) و (راشد الدين) ولد في آلموت سنة ٥٢٨ هجرية وتثقف في مدرسة الإمام (القاهر

بقوة الله) ، ثم أوفد إلى العراق فاستقر بالبصرة حتى سنة ٥٥٨ هجرية فأوفد لإدارة شؤون الاسماعيلية في جبال السماق وحلب من سوريا بعد أن ظهر للإمام تأخر أحوالهم بسبب إنشقاق بعض الاسماعيلية إثر وفاة الداعي الاسماعيلي الكبير سيدنا (أبو محمد) شهاب الدين أبو الفرج الملقب بالفراسة ، فجاء إلى سوريا وأصلح أمور الاسماعيلية في جهات حلب ثم أقام في قلعة الكهف مقر الداعي السابق (ابي فراس) حيث اسس مدرسة لتثقيف الشباب الاسماعيلي وتدريبهم على اعمال الفدائية .

وبعد مدة امر بالذهاب الى مصياف فاتخذها مقراً له وعاصمة للدولة الاسماعيلية التي كانت مستقلة استقلالا تاماً عن الدولة السورية .

لعب دوراً رئيسياً في السياسة السورية والمصرية وكان حجر الثقل في العالم الاسلامي ، ووقف سداً منيعاً في وجه الصليبيين الذين تسللوا الى داخل البلاد السورية ، وملكوا شواطىء البحر المتوسط وكانت قوة فدائيته تهدد جميع الملوك والخلفاء والحكام وكان يستعملهم في سبيل مصلحة البلاد العليا ، والفدائي الذي ارسله ليقتل (ريمون) حاكم القدس الصليبي ، والفدائي الذي ارسله للفتك بحاكم مدينة طرابلس ، والفدائي الذي تمكن من اغتيال حاكم مدينة صور الصليبي .

وعندما أصبح صلاح الدين الايوبي سلطاناً على مصر أذاق الاسماعيليين فيها العذاب وفتك بآل الخليفة الفاطمي (العاضد) وكانوا احدى عشر ولداً وأربع بنات وأربع زوجات واقارب آخرون يربو عددهم على ١٧٠ شخصاً واحرق المكتبة الاسماعيلية الموجودة في دار الحكمة بعد ان بعثر محتوياتها . تألم شيخ الجبل سنان راشد الدين من تلك الاعمال فأوفد احد فدائيته الامناء المخلصين وامره بأن يذهب الى القاهرة ويهدد

صلاح الدين ، وتمكن ذلك الفدائي المدعو (حسن الاكرمي) [1] من دخول القصر الملكي والوصول الى حجرة رقاد السلطان صلاح الدين الايوبي فوجده غارقاً في احلامه يغط في سبات عميق ، فترك له خنجراً مسلولاً منطعاً رأسه بالدم بقرب الوسادة كما ترك بطاقة كتب عليها :

من احد فدائية سيد الاسماعيلية وشيخ الجبل وحجة الامام (سنان راشد الدين) الى يوسف صلاح الدين السلطان الايوبي لمصر وتوابعها .

اعلم ايها السلطان المغتصب العاتي الظالم الفاسق أنك وان اقفلت الأبواب ووضعت الحراس بالسلاح لا تستطيع ان تنجو من القصاص ، ومن انتقام الاسماعيلية ، أراك قد بالغت في القحة وتطاولت في الجريمة واستبديت وظلمت وقتلت وصلبت دون ان تحسب حسابا لشيخ الجبل الاسماعيلي الذي يقف لك بالمرصاد ، لو اردنا قتلك الليلة لفعلنا ، ولكن عفونا عنك لعلك تقدر هذا ، واننا ننذرك لتصلح من سيرك وتعيد الحق المغتصب الى ذويه ، ولا تحاول ان تعرف من أنا فذلك صعب عليك وبعيد عنك بعد السماء عن الارض اذ قد اكون أخاك أو خادمك او حارسك او زوجك وانت لا تدري والسلام .

أغار صلاح الدين الايوبي سنة ٥٧١ هجرية على بعض القرى الاسماعيلية في جهات حلب فخرب بذاعة واعزاز ، ووثب عليه فدائي اسماعيلي طعنه بسكين في رأسه فجرحه جرحاً بليغاً ، وتمكن صلاح الدين من القاء القبض على هذا الفدائي فقطعه ارباً ، ووثب عليه آخر فقبض عليه وأعدم فوراً فعاد السلطان مذعوراً والتجأ إلى خيمته خشية الاغتيال .

وفي سنة ٥٧٢ هجرية قصد السلطان صلاح الدين في جيش عظيم

---

(١) جاء في كتاب بيت الدعوة الاسماعيلية ص (١٠٥) (حسن الاكرمي العراقي) .

مدينة مصياف معقل الاسماعيلية ونصب عليهـا المنجنيقات ثم عسكر بضواحيها وأرسل لشيخ الجبل سنان راشد الدين كتاباً يطلب إليه التسليم فأجابه سنان بكتـاب آخر رفض فيه شروط التسليم وذكر إستعداده لمحاربته ، وفي الليلة نفسها أرسل إليه أحد الفدائية فدخل خيمة صلاح الدين وبدل موضع المصابيح التي كانت تنير الخيمة ووضع له خنجراً على وسادته مع كتاب تهديد جاء فيه :

إنا منحنـاك ثوباً للحيـاة فان ... كنت الشكور وإلا سوف نخلعه
قد قام قف إلى قاف يزعزعـه ... كضفدع تحت صخر رام يقلعـه
ما يستحي ثعلب صفر همتـه ... يرسل إلى أسد الغابات يفزعه

إستفاق صلاح الدين ورأى الخنجر والكتاب فاعتقد بأن (سنان راشد الدين) من أشرف وأنبل الرجال إذ لو أراد قتله لما تأخر عنه بعد أن أصبحت حياته بيد ذلك الفدائي الذي تمكن من الدخول عليه رغم العيون والحراس التي تحرسه ، فاستدعى خاله أمير حماه شهاب الدين الحارمي وكان صديقاً حميماً لشيخ الجبل ، فأتى إلى مصياف وتوسط بينهما حتى تمكن من عقد معاهدة للصلح تنص على اشتراك الفرسان الاسماعيليـة في الحروب الصليبية التي يقوم فيها صلاح الدين بعد أن عهد إلى ابن أخيه الأمير محمد الأيوبي بأن يتولى قيادة هذه الفرقة الاسماعيلية التي كان لهـا أكبر الفضل بمعركة (حطين – القدس) .

تضاربت أقوال المؤرخين بمركز (سنان راشد الدين) بالنسبة للدعوة الاسماعيلية وذهبت تلك الأقوال كل مذهب فكان فريق يقول بأن سنان كان إماماً ، وفريق قال بأنه كان حجة للإمام أعلا محمد أو (الكيـا محمد) كما تسميه الاسماعيلية بفارس ، والحقيقة لم يكن سنان راشد الدين سوى حجة للامام المعصوم وباب من أبوابه .

والخلاصة كان (سنان راشد الدين) بطل من أبطال التاريخ وعلم من أعلام الاسماعيلية وأكبر عقلية حربيـة في منتصف القرن الخامس هجري يتغنى بذكراه الذين سطروا على صفحات التاريخ البطولات التي لا يزال أثرها باق وليس بغريب أن يبقى سنان راشد الدين أبد الدهر موضع مناقشات تاريخية .

وقبل أن ننهي بحثنا عن سنان راشد الدين لا بد لنا من التعرض بايجاز للفدائية التي كان يستعملها لتحقيق مصلحة البلاد العليا .

فهذه الفرقة الفدائية أو بالأحرى فرقة (المغاوير) الاسماعيلية التي دوخت الملوك وأنزلت الرعب في قلوب الصليبيين ، اقتبس تنظيمها من تنظيم فدائية الحسن بن الصباح شيخ الجبل الثاني الذي هو بحق عميد وموجد هذه المدرسة التي أخذت عنها الدول الكبرى في عصرنا الحاضر ، وقد جاء على ذكرها المؤرخون فقالوا عنهم بأنهم يشربون نوعاً من الحشيش حتى يفقدوا الوعي فيقوموا بأعمال خارقة للعادة بسبب استيلاء هذا المخدر على عقولهم ، هذا مع العلم بأنه قد ثبت طبياً بأن مدمن الحشيش لا يستطيع الاتيان بأي عمل من أعمال البطولة التي كان يقوم بها فدائية بني اسماعيل ، بل بالعكس يستولي عليه الخوف والوجل فيخاف من ظله .

وليس من شك بأنه قد غاب عن اولئك المؤرخين والكتاب ذلك السر الخفي الذي يدفع هذه الفرقة للقيام بأعمال البطولات ، دون أن يدور بخلدهم بأن مرجعه الطاعة العمياء والاعتقاد المتين بولاية الامام التي توجب على المريد المؤمن التضحية الجسدية في سبيل عقيدته المثلى ومذهبه القويم ، وسرعان ما يتضح لمن يطالع العقائد الاسماعيلية بامعان ، بأن هذه العقائد توجب على معتنقها الطاعة العمياء بلا قيد ولا شرط . نعود لنقول

بان هؤلاء المؤرخين لو كلفوا انفسهم قليلا من الجهـــد لدراسة المعتقدات الاسماعيلية لما خفيت عليهم طاعــــة الاسماعيلية للأئمة وامتثالهم للاوامر الروحية العليا التي تصدر عن بيت الدعوة أو عن الامام نفسه أو عن من يمثله في الاقاليم والبلدان .

ولحن نود أن نتساءل الآن ما هو نوع المخدر الذي يستعمله (المغاوير) او الفدائية في الجيوش الحديثة ، وهم الذين اقتبسوا هذا النظام عـــن الفدائية الاسماعيلية ، وهل تقدم أمريكا وانـــكلترا والمانية وروسيا وفرنسا وسوريا ومصر وجميـع دول العالم الحشيش لفرق المغاوير فيها ؟

الامام

جلال الدين حسن بن أعلا محمد

ولد الامام حسن بن أعلا محمد الملقب بـ (جلال الدين) سنة ٥٨٢ هجرية في قلعة آلموت وأصبح إماماً بعد وفاة أبيه سنة ٦٠٧ هجرية .

عمل على توثيق عرى الصداقة بين الاسماعيلية والعالم الاسلامي أكثر مما كانت عليه في عهد أبيه على أساس الصداقة التعاونية المتبادلة بينهما ، فعاشت الاسماعيلية ردحاً من الزمن عيشة هادئة تسودها الملاقات الودية مع الجوار ، وعمل الدعاة الاسماعيلية الموزعين في مختلف الأقاليم على نشر المذهب الاسماعيلي دون أن يتعرضوا لأي ضغط على حريتهم ودون أن يلاقوا ما كانوا يلاقونه من صعوبات ومشاق ، وذلك ما ساعدهم على اجتذاب خلق كثير إلى طرفهم ، كما ان الامام الاسماعيلي لم يعد متخفياً يعيش مستوراً بعيداً عن الأنظار ، بل ظهر إلى الوجود يفيد الناس من علمه وأدبه ، وقام بجولة تفقد خلالها شؤون أتباعـــه الاسماعيليين في جميع الأقطار . ولقد استغرقت جولته هذه عاماً ونصف العام ، وكان يقابل اينما توجه بالتعظيم والاجلال والاحترام من جميع الحكام والولاة ، وكان

يتصدق ويتبرع بانشاء (التكايا والحمامات ومراكز الضيافة في جميع المناطق التي زارها على نفقته الخاصة) .

وبالحقيقة كان عهد الامام جلال الدين حسن من العهود الذهبية التي مرت على الاسماعيلية حيث احتلت مكانها اللائق بين الامم العريقة بالبطولات والتضحية والعلوم ، فاتسعت رقعة البلاد التي يقطنها الاسماعيلية وازداد عددهم في اذربيجان ، وكوردستان ، وكيلان ، ومازندان ، وقزوين ، وخوزستان ، ولارستان ، وكرمان ، وطهران ، وشيراز ، وتبريز ، وساندريا ، وبغداد ، ومصر ، وسوريا ، والهند ، واصبحوا ذوي نفوذ قوي في جميع تلك البلدان .

والخلاصة فقد عظم مركز الاسماعيلية في العالم وتحسنت احوالهم وعلاقاتهم مع الناس وسادت كلمتهم في اغلب البلاد الاسلامية ، وعمل دعاتهم على نشر العلوم الاسماعيلية عن طريق افتتاح المدارس لتعليم الفلسفة واصول المذهب الاسماعيلي .

ولقد اعتنق المذهب الاسماعيلي عدد من الملوك والامراء ، ولقد اطلعنا في كتاب الميثاق على منشور مخطوط ارسله هذا الامام الى الاسماعيلية في جبال السماقة في سوريا يطلب اليهم فيه الاعتماد على الداعي الاسماعيلي (شمس الدين بن علي) وتصليح حمام قلعة الكهف التي تعرضت للانهيار ويستدل من هذا المنشور ان الامام جلال الدين حسن كان يتردد من وقت لآخر على قلعة الكهف مركز الدعوة الاسماعيلية في سوريا ، فيقيم فيها وقتاً ينصرف خلاله لاصلاح شؤون أتباعه ومريديه .

توفي الامام جلال الدين حسن سنة ٦١٨ هجرية بعد أن نص على ابنه علاء الدين الذي كان عمره آنذاك عشرة أعوام .

الامام

علاء الدين بن الامام جلال الدين

ولد الامام علاء الدين محمد بن الامام جلال الدين حسن سنة ٦٠٨ هجرية في قلعة آلموت وجلس على أريكة الامامة الاسماعيلية سنة ٦١٨ هجرية بعد وفاة ابيه ، واقيمت الافراح والاحتفالات في جميع الاقطار التي يقطنها الاسماعيلية وأتته كتب التهنئة والولاء من كافة القلاع الاسماعيلية ، ومع أنه كان في العاشرة من عمره فقد اظهر نبوغاً عظيما حير العقول وأنار ظلمات القلوب الجدبة ، وأظهر مقدرة فائقة في ادارة شؤون الاسماعيلية ، وكان أول عمل قام به أن أمر بتأسيس مكتبة اسماعيلية ضخمة احضر لها المؤلفات القيمة من مختلف الأقاليم وأنفق على تأسيسها وفرشها الاموال الطائلة من جيبه الخاص ، ووجه عناية خاصة لدور العلم ، فأوجد المدارس في القلاع الاسماعيلية وعين لها المدرسين الأكفاء ذوي المقدرة العلمية العظيمة ، وخصص يومان من كل اسبوع لالقاء المحاضرات والمناظرات العلمية من قبل اساتذة وطلاب تلك المدارس ، وكان يغدق المنح والعطايا على المتفوقين ويرقي الاساتذة المتناظرين .

وبذلك ازدهرت العلوم الاسماعيلية وخاصة العلوم الفلسفية والفقهية ، ومن الطلاب النجباء الذين اظهروا نبوغاً عظيماً في مختلف العلوم ، الداعي الاسماعيلي الفيلسوف نصير الدين الطوسي ، والشاعر الفيلسوف شمس الدين الطيبي حجة الامام وداعي (دعاته) وداعي دعاة الشام الفيلسوف الصوفي الشيخ محي الدين العربي ، والشاعر الصوفي العبقري (ابن الفارض) هذا من جهة ومن جهة ثانية فقد انتاب الاسماعيلية نكبات عديدة وشنت عليهم غارات كثيرة من قبل السلاطين السلجوقيين والتتر .

ففي سنة ٦٣٢ أغار (أرخـــان) على بعض الحصون الاسماعيلية في نيسابور فاحتلها بعد أن قتل ونهب واحرق كل شيء فيها .

علم الامام علاء الدين محمد بهذه النكبة المؤلمة والفاجعة العظيمة التي ألمت باسماعيلية نيسابور فأوفـــد الداعي كمال الدين بن اسماعيل ليطالب (آرخان) بالتعويضات عما أصاب الاسماعيلية في حصون نيسابور ، ولكن (آرخان) أساء الى هذا الداعي وهدده بخنجره فعاد وابلغ الامام مـا حدث ، فأمر الامام علاء الدين محمد أن يجهز جيشاً قوياً من الاسماعيلية لقتال (آرخان) والثأر منه ، سار ذلك الجيش الى (آرخـان) فاحتل بلاده بعد قتال شديد والقى القبض على (آرخـــان) عندما كان يحاول الفرار واعدم بعد أن حوكم أمام محكمة اسماعيلية الّفت هـــذه الغاية ، ووقعت معاهدة مــــع خلف (آرخان) منح بموجبها للاسماعيلية بعض الامتيازات الحليـة وسلمت اليهم قلعة (دامغان) كتعويض عن قتالهم وممتلكاتهم ، وفي عهد هذا الامام أغار (هولاكو) التتري على مدينة بغـداد فاحتلها واستباح لجيشه القتل والنهب ، لمدة اربعين يوماً ، والقى القبض على الخليفة العباسي المستعصم بالله ، وقتله شر قتلة ، ولما استقر هولاكو في مدينة بغداد نادى بالأمان وأعاد المياه إلى ما كانت عليه في السابق ، ووقع معاهـدة

صداقة وعدم اعتداء مع الامام علاء الدين محمد وعين بموجبها العلامة نصير الدين الطوسي وزيراً أولاً لهولاكو التتري ، كما سلمت اكثر المراكز العسكرية في جيشه للقادة الاسماعيليين. وضع الامام علاء الدين محمد دستوراً خاصاً للاسماعيلية حظر فيه على الاسماعيلي ارتكاب الموبقات والمعاصي ، وشدد في حضور الصلاة اليومية ، والاجتماعات الخاصة التي تلقى فيها الدروس المذهبية ، وعين لهذه الغـاية دعـــاة اكفاء تتفاوت درجة ثقافتهم ومقدرتهم العلمية حسب الدروس التي يلقونها .

والخلاصة فقد أدخل هـذا الامام اصلاحات كثيرة وتعديلات كبيرة على المدارس الاسماعيلية وعلومهـا حتى أضحت في وقت قليل تضاهي أعظم الجامعات العلمية في العالم .

ومما ساعد على هذه النهضة الثقافية ما أخرجه الدعاة الاسماعيلية من مؤلفات قيمة تبحث في جميع العلوم والفنون ، أمثـــال الشيخ محي الدين العربي ، والداعي شمس الـــدين الطيبي ، ونصير الدين الطوسي ، والشاعر ابن الفارض وغيرهم . توفي الامـــام علاء الدين محمد سنة ٦٥٣ هجرية ودفن في آلموت .

الامام ركن الدين
خورشاة بن الامام علاء الدين

ولد الامام ركن الدين خورشاه بن الامام علاء الدين محمد سنة ٦٢٩ هجرية في قلعة (آلموت) واصبح إماماً بعد وفاة أبيه سنة ٦٥٣ هجرية.

في عهده وقعت معاهدة سرية بين هولاكو التتري وأهالي قزوين الغيت بموجبها معاهدة الاسماعيلية والتتر.

علم الوزير الاسماعيلي الأول نصير الدين الطوسي بهذه المعاهدة فتوارى عن الانظار والتجأ الى قلعة آلموت حيث عرض الأمر على الامام ركن الـــدين خورشاه ، فأمره أن يشرف على استعدادات الجيوش الاسماعيلية لمقابلة الجيش التتري الذي سيغزو القلاع الاسماعيلية ، وسير الامام عائلته ونساءه بصحبة ولده الاكبر وولي عهده شمس الدين محمد إلى أذربيجان.

أرسل هولاكو التتري جيشاً بقيـــادة (بوكيان التتري) لاطراف (كوهستان) لمحاربة الامير ناصر الدين أمير تلك المقاطعة الذي كان يقيم في قلعة (سرخوست الاسماعيلية).

وأرسل جيشاً آخر لحصار بقية القلاع الاسماعيلية ، ولقد استمر ذلك الحصار مدة ستة أشهر نفدت بعدها مؤونة الاسماعيليين ، ففتحوا ابواب قلاعهم واشبكوا مع التتر في معارك قوية طاحنة قتل فيها اثني عشر ألف اسماعيلي وثلاثون الف تتري ، واحتلت الجيوش الغازية جميع القلاع الاسماعيلية ودمرتها عن بكرة ابيها فجعلتها قاعاً صفصفاً ، والقي القبض على الامام ركن الدين خورشاه مع ولده الاصغر مظفر الدين وابن اخيه سيف الدين وبعض دعاته وأخذوهم الى الخليفة في بغداد .

وفي طريق العودة بينا كانت الجيوش التترية تعبر نهر (جيحون) توفي الامام ركن الدين خورشاه وكانت وفاته سنة ٦٥٤ هجرية ودفن على ضفة ذلك النهر اليمني .

اما بقية الاسرى فسلموا لهولاكو الذي أمر باعدامهم جميعاً والتمثيل بجثثهم ، ولم تستمر إمامة ركن الدين سوى عاماً واحداً قضاه في الحروب والحصار ، وبانتهاء عهده ودعت الأئمة الاسماعيلية بلاد (آلموت) لتستقر في أذربيجان .

الامام
شمس الدين بن ركن الدين

ولد الامام شمس الدين محمد ابن الامام ركن الدين خورشاه سنة ٦٣٣ هجريـــة في قلعة (آلموت) ولقب بـ (اقاشمس) جلس على اريكة الامامة سنة ٦٥٤ بعد وفاة ابيه ، نقل مقر الامامة الى مقاطعة اذربيجان حيث امها آلاف الاسماعيلية الذين ظلوا على قيد الحياة بعد فاجعة آلموت والقلاع الاسماعيلية الاخرى .

تولى رئاسة الدعوة في عهده العلامـــة الفيلسوف الاسماعيلي الكبير جلال الدين الرومي فقام بتحقيق المشاريـــع العلمية وتأسيس الانظمة التي من شأنها النهوض بالاسماعيلية ، ولقد انشأ المدارس وأمر الدعاة بالتدريس والقاء المحاضرات الفلسفية التي تبحث في اصول المذهب الاسماعيلي ، ووزع عدداً ضخماً من الدعاة في بلاد الهند ، والصـــين ، وسوريـــا ، والعراق وتركيا ، وايران .

واعتنق حاكم الهند (برهان نظام شاه الدكني) المذهب الاسماعيلي واصبح من اكبر المؤيدين والدعاة له ، وبذلك اتسعت رقعة البلاد التي

يقطنها الاسماعيلية وتجدد نشاطهم بقوة في الاقطار التي حلوا فيها .

كان الامام شمس الدين محمد مثالاً يقتدى بـه لما يتمتع بـه من اخلاق كريمة وعلوم غزيره وصفات حميده قلما تحلى بها غيره ، وكان مقدراً ومحترماً لدى جميـع الطوائف على السواء عاش اكثر ايامـه زاهداً في الدنيا وما حوته من لذائذ وأطايب ، يلبس ماخشن من اللباس ويأكل ماتيسر من الطعام ، يقضي الليالي ساهراً ساهداً لرعاية مصالح رعيته وللاشراف على شؤونهم واموالهم الخاصة .

وكان داءب التنقل من منطقة لاخرى لارشاد ابناءه الاسماعيلية .

في عهده عاشت الطائفة الاسماعيلية بسلام وطمأنينة ، وكان يتولى رئاسة الدعوة في سوريـة شيخ الجبل الرابـع سيدنا العلامة الجليل موسى بن حسن القصار .

وهذا الداعي تلقى علومه في بيت الدعوة الاسماعيلية في قلعة (آ لموت) وتثقف على ايدي معلمين من مدرستها واظهر نبوغاً عجيباً في الفلسفة والفقـه الاسماعيلي ، وأبدع في عـلم التأويل وأصول المذهب الاسماعيلي .

أوفده الامام شمس الدين محمـد عندما كان في اذربيجان ليتولى رئاسة الدعوة الاسماعيلية في سوريـا وجعل مقره في مدينة حلب .

عمـل هذا الداعي العظيم على جمع شمل الاسماعيلية في سوريا بعدما انتابهم من تفرقة والحلال فنظم شؤونهم وانشأ لهم المدارس ودور العلم كما استقدم لهم الدعاة والمدرسين ، وعمل على تأسيس جيش قوي من الاسماعيلية واعاد الى الوجود الفرقـة الفدائية ، فاستعملها لتنفيـذ اغراضه السياسية ، وعقـد معاهدة صداقة مع السلطان الظاهر بيبرس الذي اعترف باستقلال الاسماعيلية في المناطق السوريـة على ان تصان حرياتهم الدينية وتحترم معتقداتهم ، وسمح لهم أن يرفعوا على مراكز

دعوتهم وحصونهم العلم الاسماعيلي المؤلف من (الأخضر والأحمر) واختار من علماء وفقهاء الاسماعيلية وزراء وقضاة لدولته ، وفرض على الاسماعيلية تقديم المساعدات والتضحيات والجنود لمساعدة السلطان بيبرس في حروبه مع الصليبين وعين حرس السلطان الخاص من شباب الفدائية الاسماعيلية وجرى توقيــع تلك المعاهدة عام ٦٦٠ هجريـــة .

قام الاسماعيلية بتنفيذ بنود تلك المعاهدة وارسلو سبعين مقدماً من جيشهم يرأس كل منهم ألف مقاتــل اسماعيلي وتولى منصب الوزراة صاحب مصياف (آغا شاهين) و (عـــلاء الدين حسن) وعز الدين ايك واسندت قيادة الاسطول للقائد الاسماعيلي (محمد البطرني) وأوفد السيد بدر الفقير ليمثل السلطان لدى الامبراطورية الرومانية في روما .

ولقد ساعد الاسماعيلية الملك الظاهر في امتلاك ساحل طرابلس ، وشنوا هجوماً عاماً عليه سنة ٦٦٤ هجريــة بقيادة ابراهيم بن حسن الحوراني وسعد بن دبــل ، واسماعيل ابو السباع وطردوا الصليبيــين من كافة البلدان الساحلية السوريـــة ، وهكذا قد انقذ العالم الاسلامي من براثن الصليبيين الذين عاثوا في البلاد فساداً وكانوا خطراً يهدد العالم الاسلامي في كل وقت .

توفي الامام شمس الدين محمد في مقاطعة اذربيجان سنة ٧١٠ هجرية ودفن هنـــاك ولا يزال ضريحه مزاراً مشيدا ومعتنى بـــه يزوره الاسماعيليون من جميـــع انحاء العالم [١] .

---

(١) تقول بعض المصادر التاريخية بان الامام شمس الدين محمد قد قطن (قونية) في آخر ايامه ودليلهم على ذلك ان السلطان محمد الفاتح عندما حاول الهجوم على القسطنطينية ، اشار عليــه احد قواده وهو من الاسماعيليين ان يذهب الى (قونية) ليستشير الامام بالامر وفعلا ذهب السلطان وقبل ان يصل الى الامام بخطوات قال له الامام شمس اذهب فقد فتحت القسطنطينيــة .

الامام

قاسم شاه

ولد الامام قاسم بن الامام شمس الدين محمد في مقاطعة أذربيجان سنة ٦٩٠ هجرية ، وأصبح إماماً بعد وفاة أبيـــه سنة ٧١٠ هجرية بموجب النص عليه حسب الشروط المتبعة في المذهب الاسماعيلي .

وجه اهتمامه لتنظيم الدعوة الاسماعيليـة في مختلف الاقاليم ، ووزع الدعاة الاكفاء ذوي المقدرة العلمية على الاقطار التي لم تصل اليها التعاليم الاسماعيلية بعد . وأوفد الداعي شاه نزاري الى وسط الهند ، والداعي بهاء الدين زكريا الى بالخشان والتيبت وكشمير ، والداعي شمس الدين علي في ملتان والمناطق المجاورة لها .

وعين اخيه الاوسط مؤمن شاه داعياً وممثلا له الى بلاد فارس وقزوين، وأخيه الاصغر كيا شاه داعياً لمنطقة آلموت والبلاد القريبة منها حتى حدود كيلان واستقر في بلدة (مآهيان) وبعد فترة وجـيزة من الوقت أتته رسائل اولئك الدعاة تبشره بنجاح دعوتهم وأن الاقبـال على اعتناق المذهب الاسماعيلي منقطع النظير ، ووصلته معـــلومات اخرى خطيرة

تقول بأن أخيه مؤمن شاه داعي بلاد فارس قد ادعى الامامة لنفسه وتمكن من استمالة بعض اهالي قزوين وايران ، فارسل الامام قاسم شاه الكتب مع دعاته المخلصين وطلب منهم ان يتجولوا في جميع البلدان الاسماعيلية ، ويعلنوا للناس بان اخيه مؤمن شاه قد انتحل الامامة بدون حق ، اذ لا يمكن أن يصبح إماماً الا صاحب النص الشرعي ، وانه يحظر على كافة الاسماعيلية اتباعه وتصديق دعواه .

وبالرغم من هذا بقي اتباع مؤمن شاه مخلصين له ولابناءه من بعده حتى اخرهم (الشاه محمد طاهر) الذي توارى عن الانظار ، ولقب اتباع مؤمن شاه (جون دهرميه) او (المؤمنية) ويستدل من المعلومات التاريخية التي بين أيدينا بأن هذه الفرقة بقيت محافظة على التعاليم الاسماعيلية وقد لعبت دوراً هاماً في تاريخ ايران والمناطق المجاورة ، ولا يزال قسم صغير من هذه الفرقة حتى الآن وهم يعيشون بقرب الحدود الروسية الايرانية وفي المناطق الروسية ، وامامهم من سلالة مؤمن شاه لا يزال مستوراً ومتواري عن الانظار غير معروف عنه شيء .

في عهد هذا الامام توفي داعي سوريا وشيخ الجبل سيدنا موسى حسن القصار ودفن في مدينة حلب باحتفال مهيب ، وسار وراء نعشه عشرون الف فدائي اسماعيلي ، وبانتهاء حياة هذا البطل العظيم زال نفوذ الاسماعيلية وسيطر عليهم الخمول والكسل فتفرق شملهم وانتابتهم المصائب والمحن من كل صوب ، وتألب عليهم الجوار فأذاقوهم الويلات واستبيحت دماؤهم وقتلوا اينما وجدوا ونهبت ممتلكاتهم واحتل السلطان قسم كبير من بلادهم ، كل هذا حدث لهم بعد وفاة الظاهر بيبرس وتولى السلطان المنصور قلاوون الحكم ، الذي مزق المعاهدة الاسماعيلية وهاجم قلاعهم بجيوش جرارة فاستولى على قسم منها بعد قتال مرير ،

وبعد هذه الفاجعة المؤلمة غادر اغلب الاسماعيلية قلاعهم الحصينة وتوغلوا مستترين في المدن السورية .

وهكذا ضعف مركز الاسماعيلية في سوريه وتعرضوا للاخطار بينما ازداد النفوذ الاسماعيلي في بقية الاقطار .

كان الامام قاسم شاه عالماً من العلماء قضى اكثر حيـــاته متجولاً يتفقد شئون أتباعه ويعيش عيشة الزاهد المتقشف .

توفي سنة ٧٧١ هجرية ودفن في مدينة (قائم اباد) من بلاد ايران بعد ان نص على امامة ولده اسلام شاه .

* * *

الامام
اسلام شاه

ولد الامام اسلام شاه بن الامـــام قاسم شاه سنة ٧٤٥ هجرية في مدينة (قائم أباد) وجلس على أريكة الامامة بعـــد وفاة ابيه سنة ٧٧١ هجرية .

جعل مقره موزعاً على ثلاث من المدن الاسماعيلية في بلاد ايران ، فكان يتنقل من (بابك) الى (كوهك) ثم الى (الديرشة) ليشرف على ادارة شؤون الاسماعيلية .

وجه عناية خاصة لتنشئة الشبيبة الاسماعيلية تنشئة صالحة تمكنهم من السير بخطى سريعة نحو الرقي والازدهار . وجعل من قصوره الثلاث مراكز علمية يؤمها طلاب العلم والمعرفة من مختلف البـلدان الاسماعيلية ، للارتواء من الفلسفة الاسماعيلية التي كان يشرف على تدريسها الامـــام بنفسه عدا عن الدعاة الذين اظهروا مقـدرة علمية فائقة في مناظراتهم ومحاضراتهم الفلسفية ، ووزع المتخرجين من تلك المدارس على المنـــاطق النائية البعيدة من الهند ، وكشمير وبنجاب والسند ، وخصص الامام

الاموال الطائلة لانشاء المدارس والمساجد ودور العبادة الخاصة ومراكز الاجتماعات ، والدور الواسعة لايواء الفقراء والعجزة من ابناء جميع الطوائف على السواء .

ومد يد المساعدة للاسماعيلية في سوريا الذين تأخروا عن موكب التقدم الاسماعيلي واصبحوا في حالة تهددهم بالانحطاط والانقراض السريع.

وقد كانت تتوافد اليه الاسماعيلية من جميع أقطار الارض في يوم عيد توليه الامامة ليقدموا له الهدايا والتحف وليساهموا بالاحتفالات العلمية والمناظرات الفلسفية العظيمة التي كان يجريها الدعاة تحت اشراف الامام وتوزع الاموال والهدايا على المتفوقين والفائزين في تلك المناظرات. وتوفي الامام اسلام شاه سنة ٨٢٧ هجريه في مدينة (كوهك) ودفن فيها ولا يزال ضريحه حتى الان مزاراً يرتاده المخلصون من ابناء الاسماعيلية .

الامام

محمد بن اسلام شاه

ولد الامام محمد بن اسلام شاه سنة ٧٧٢ هجرية في مدينة (بابك) الايرانية وتولى الامامة بعد وفاة ابيه سنة ٨٢٧ هجريـــة .

واقتفى اثر ابيه فوزع الدعاة على المناطق والاقاليم الـــتي يقطنها الاسماعيلية وعين لهم المراتب الفخمة وشيد لهم دوراً ليدرسوا فيهـــا اصول فقه الفلسفة الاسماعيلية وعـــين الداعي (تاج الدين صدر الدين) كبيراً لدعاته فأحسن القيام بالمهمة الملـــقاة على عاتقه ، وبذل اقصى جهوده لتوسيع رقعة البلاد الاسماعيلية وقدم المساعدات الكثيرة للمناطق الاسماعيلية المتأخرة وخاصة سوريا .

وقد اصبح الاسماعيليون في سوريا على وشك الاحتضار ، وسيطرت التفرقة على صفوفهم وخيم عليهم البؤس والشقاء فتشتت شملهم وتفرقوا في انحاء البلاد ليعيشوا بالسر والكتمان .

أراد الامام أن ينشر دعوته في السند فأرسل كبير دعاته (تاج الدين

صدر الدين) ليتولى رئاسة الدعوة فيها ، وتمكن هـــذا الداعي بوقت قليل من استمالة اكثر سكان تلك البلاد واقبلوا للاستماع الى ارشاداته القيمة وللارتشاف من معينه الغزير وعلومه الواسعة ، كان الامام محمد بن اسلام شاه تقيـاً عالماً عارفاً في اصول المذاهب جميعها متعمقاً في دراسة كافة علوم الاديان السماوية عالماً بالفلسفات الشرقية والعربية .

وكانت تأتيه الناس افواجاً يعرضون عليه مشاكلهم واختلافاتهم الدينية كما يأتيه العلماء والفلاسفة ليفصل بينهم في اختلافاتهم العلمية .

في عهده وصلت الاسماعيلية الى درجـــة علمية عظيمة جعلتها تحتل المكان العلمي الاول في بلاد الهند والسند وكشمير وايران .

توفي الامام محمد بن اسلام شاه سنة ٨٦٨ هجرية ودفن في مدينـة (بابك) .

* * *

الامام

المستنصر بالله (ثاني)

هو الامام علي شاه بن الامام محمد بن اسلام شاه كانت ولادته سنة ٧٠٦ هجرية في مدينة بابك لقبه (المستنصر بالله) تولى الامامة بعد وفاة أبيه سنة ٨٦٨ هجرية

وجه اهتمامه لترقية العلوم الاسماعيلية وادخل تجديدات كثيرة على النظام التعليمي في المدارس الإسماعيلية وقدم المساعدات المادية لطلاب العلم والمعرفة من الاسماعيلية ، وافرد في قصوره غرفاً خاصة لتلقى فيها الدروس الفلسفية والفقهية على جمهور المستجيبين ، وخصص يوماً واحداً من كل اسبوع لعقد المجالس التأويلية والمناظرات الفلسفية بين دعاة وعلماء المذهب الاسماعيلي ، واختار الدعاة ذوي المقدرة العلمية الفائقة وبعثهم الى الهند وكشمير وشرقي ايران فنشروا المذهب الاسماعيلي .

كان الامام المستنصر بالله حجة في العلوم الفلسفية والفقهية ، تقتدي به جميع الطوائف الايرانية والهندية ، ويأتيه العلماء من مختلف البلدان للاستماع الى احاديثه الذهبية ومحاضراته العلمية النادرة ،

في عهده ازدهرت الدعوة الاسماعيلية وازداد نفوذها في كل من ايران والهند وكشمير ، أما في سوريا فقد انتابها الضعف والانحـــلال نتيجة للنكبات والاضطهادات الكثيرة التي المت باسماعيلية سوريا .

ولقد اهتم الامام بهذه الامور الحيوية ، وامر كبير دعاته محمد نور حسن ليذهب الى سوريا ويدرس وضع الاسماعيلية فيها ثم يعود مستصحباً معه وفداً منهم يمثل مختلف الطبقات ليعرضوا قضيتهم أمام الامام .

عاد هذا الداعي من رحلته مستصحباً معه بعثة اسماعيليـــة سورية قوامها ثمانية أشخاص ، فرحب بهم الامام ، وعرضوا قضيتهم عليه ، وهي تتلخص بثلاثة اشياء :

١ — إن السلطات المسؤولة في سوريا تحاول بكل قواها القضاء على الاسماعيلية اينما وجدوا ، وتمنعهم من مزاولة نشاطهم الديني ، حتى باتوا يعيشون بالستر والكتمان .

٢ — كثرة الاختـــلافات بين صفوفهم لتولي المشيخة او بالأحرى رئاسة الدعوة .

٣ — ضعفهم المادي لعدم وجود رؤوس الاموال بين أيديهم .

أخذ الامام قضية الاسماعيلية السوريين بعين الاعتبار ووعدهم بالتوسط لدى المسؤولين في سورية ليمنحوهم كامل حريتهم وحقوقهم في اقامـــة شعائرهم الدينية ، وقدم لهم الامام الأموال اللازمة وأوفـد معهم بعض الدعاة ليحاولوا فض النزاع وتجديد النشاط الاسماعيلي في البلدان السورية

والخلاصة كان الامام المستنصر بالله يحتل مركزاً علمياً لا نظير له ، صنف كتاباً علمياً سماه (نصائح الجوان مرديه) وزعه على جميع الطبقات الاسماعيلية في العالم ، وهذا الكتاب عبارة عن دستور للمذهب الاسماعيلي

كا كان يتمتع بمكانة سياسية عظيمة كان لها اكبر الاثر في تسيير شؤون ايران وكشمير والهند الداخلية والخارجية ، وكان موضع اعجاب وثقة واحترام واجلال وتقدير جميع الطوائف والمذاهب على السواء .

توفي الامام المستنصر بالله (ثاني سنة ٨٨٠ هجرية ودفن في مـدينة (بابك) الايرانية .

الامام
عبد السلام شاه

هو الامام محمود بن الامام مستنصر بالله كانت ولادته سنة ٨١٤ هجرية في مدينة (بابك) لقب بـ (عبد السلام شاه) لأنه كان محباً للسلام ، أصبح إماماً بعد وفاة ابيه سنة ٨٨٠ هجرية واقتفى أثر اجداده وأبائه الصالحين ووزع على أتباعه الاسماعيلية توجيهاته القيمة وارشاداته القويمة .

ولقد وجه اهتمامه بصورة خاصة للناحية العلمية فكرس لها جهوده وخصص لها الاموال الطائلة واجرى بعض التعديلات على نظام الدعوة الاسماعيلية كابدال اسم (وكيل) ومرشد بكلمة (مكي) وناظر المالية (بكامريا) الخ . . . ، وكانت تأتيه الاموال والتحف والهدايا من جميع انحاء الهند والاقاليم الاسماعيلية ، وقدمت له الزكاة وخمس الاموال لجنة من كبار رجالات الدعوة الاسماعيلية وتقدم للامام في يوم عيد جلوسه على مسند الامامة من كل عام ، وكانت توزع هذه الاموال بواسطة لجنة خاصة لتنفق على المشاريع الحيوية والفقراء والمساكين وابناء السبيل .

انتشرت في عهده الاسماعيلية في مناطق وبلاد جديدة كبورما ومدغشكر ، وازداد عدد الاسماعيلية في مقاطعتي (ديز أباد وقاسم أباد) وتحسنت علاقاتهم مع الجوار فماشوا بإخاء ومحبة . وكان الامام يتمتع بمنزلة خاصة في نفوس جميع سكان ايران ، وخاصة الملوك الصفويين الذين كانوا يستشيرونه ويطلبون ارشاداته في جميع مشاكلهم السياسية والاجتماعية . كان الامام عبدالسلام شاه عالماً أديباً وشاعراً ذو موهبة خاصة ، أتحف المكتبة الاسماعيلية بمؤلفات قيمة لا تزال تتمتع بمركزها اللائق في نفوس وقلوب الاسماعيلية ، ومن تلك المؤلفات التي يعتز ويحرص عليها الاسماعيليون كتاب (مدائن الأسرار) وكتاب (العقائد الاسماعيلية) وديوان شعر من قصيدة واحدة اسمه (القصيدة) ويتألف من ٢٠٠ صفحة . في عهده عاشت الاسماعيلية برخـــاء وبحبوحة في جميع الأقطار التي يقطنونها ، وتحسنت أوضاع الاسماعيليين في سوريا بعـــد أن تلقـوا المساعدات والارشادات من الامام ، ومع هذا عاش أغلبهم بالستر والتقية دون أن يجرؤوا على التظاهر بمعتقداتهم خشية بطش الأعداء الذين كانوا لهم بالمرصاد ، وازداد نشاطهم في جهات حلب والخوابي والقدموس ومصياف واسكندرون وتوابعها .

وفي سنة ٨٩٩ هجرية توفي الامام عبد السلام شاه ودفن في مدينة (بابك) الايرانية .

الامام

غريب ميرزا

هو الامام عباس بن عبد السلام شاه كانت ولادته سنة ٨١٥ هجرية في مدينة بابل الايرانية اشتهر وعرف (بغريب ميرزا) تولى الامامة بعد وفاة ابيه سنة ٨٩٩ هجرية نقل مركز إمامته الى بلدة (نجدان) من مقاطعة (كاشان) وتقع هذه البلدة على سفح جبل ، تحيط بها السهول المنبسطة والحدائق الغناء والمزارع الخصبه الجميلة من كل الجهات ، وتبعد عشرون ميلاً عن بلده (محلات) ، وأغلب سكان تلك المقاطعة يمتهنون الزراعة ويعيشون في البساطة والعبادة والانقطاع (الدروشة) .

لم يكد يبزغ نجم الامام في تلك المنطقة حتى قدم المساعدات الكثيرة للمزارعين وانشأ لهم القرى الحديثة الأنموذجية ، وشيد أبنية عديدة واسعة لتصبح ملاجيء للمتعبدين المنقطعين عن العالم (الدراويش) الذين اموا تلك المقاطعة ليعيشوا بجانب امامهم المعصوم ، وكان يشرف على اموالهم بنفسه ويقدم لهم المساعدات والارشادات القيمة ، وكان أخيه الاصغر

الأمير (نور الدين) يساعده بذلك فسميت تلك الملاجيء « نور أباد » تيمناً به .

في عهده حصلت حروب كثيرة وثورات داخلية هامة أضرمتها القبائل التي كانت تقطن في غربي ايران وشرقيها ، وشنت قبائل التركان غاراتها على البلاد وأشعلت الثورات في انحائها .

أما الاسماعيلية فلم يمسوا بسوء وعاشوا في مقاطعتهم بعيدين عن المشاكل والسياسة ، وأم بلدة « نجدان » وفود الاسماعيلية من جميع الاقطار ليقدموا الزكاة والاخماس بين يدي الامام الذي بات يحبوهم بعطفه ويخصص لهم الهبات والعطايا للمشاريع الاصلاحية التي تحتاجها بلادهم .

لم تستمر إمامته سوى ثلاثة اعوام قضاها في الاشراف على تنفيذ المشاريع الحيوية والاصلاحات الضرورية .

وفي عهده بدأت الاسماعيلية في سوريا تنهض من كبوتها بفضل الداعي الكبير القاضي ابو النصر الديلمي ، وبفضل المساعدات الكثيرة التي قدمت لهم من بيت الدعوة في (نجدان) .

انتابت الامام عوارض مرضية توفي على اثرها سنة ٩٠٢ هجرية ودفن في مدينة (نجدان) ولا يزال ضريحه حتى الآن مزاراً يأتيه الاسماعيلية من الهند وايران والباكستان واذربيجان للزيارة ولا يزال أغلب سكان تلك المقاطعة من الاسماعيليين المخلصين للامام الحاضر الموجود في كل الوجود .

الامام ابو ذر علي

هو الامام نور الدين ابن الامام غريب ميرزا كانت ولادته سنة ٨٤٢ هـ. في مدينة (نجدان) لقبه (ابو الذر علي) جلس على أريكة الامامة الاسماعيلية بعد وفاة أبيه سنة ٩٠٢ هجرية ، وكانت ايران كلها على فوهة بركان بالنظر لقيام الثورات الداخلية وانبعاث الاضطرابات . عمل الامام متوسطاً لانهاء الخلافات التي كانت واقعة بين الامراء والقبائل الايرانية وعمل ايضاً على تقوية الروابط الودية فيما بينها .

وتزوج بالأميرة (صابره حانوت) وهي من العائلة الصفوية المالكة لبلاد ايران ، وبذلك ازداد التقارب بين الاسماعيلية والصفويين وأصبح الامام بعد هذا التقارب يسيطر على شؤون ايران السياسية وأعاد الأمن والنظام والطمأنينة إلى البلاد التي عاشت بسلام مدة وجيزة من الزمن .

ومن جهة ثانية قدم المساعدات لاتباعه الاسماعيليين وقوى دعوته في جميع البلدان ووزع الأموال والعطايا على المناطق الفقيرة ، وأرسل بعض الدعاة إلى البلاد السورية لتفقد أمور الاسماعيلية التي كانت قد تحسنت أحوالهم في عهد هذا الامام ، وكان يتولى رئاسة الدعوة في سوريا العالم الاسماعيلي الكبير (ابو الفوارس) المولود في قلعة المينقه سنة ٨٩١ هجرية.

أعلنت وفاة هذا الامام سنة ٩١٥ هجرية ودفن في مدينة (نجدان) ولا يزال ضريحه حتى الآن مشيداً في وسط روضة غناء تحف بها الزهور والأشجار الجميلة ويؤمه الاسماعيليون للزيارة والتبرك .

الامام
مراد ميرزا

ولد الإمام مراد ميرزا ابن الإمام ابو ذر علي سنة ٨٦٨ هجرية في مدينة (نجدان) الايرانية وجلس على أريكة الإمامة بعد وفاة أبيه سنة ٩١٥ هجرية .

وجه اهتمامه لتحسين وضع الاسماعيلية وتقويتهم في جميع البلدان التي يقطنونها ، وقد وزع عليهم الارشادات القيمة مصحوبة بالدعاة الأكفاء ذوي المقدرة العلمية والخبرة الفلسفية ليقودوهم الى شاطيء المعرفة الكلية لأصول المذهب الاسماعيلي ، وعمل على زيادة عدد المؤسسات العلمية وخاصة في البلدان النائية التي أدخلت اليها الاسماعيلية حديثاً ، وقد سيطر هذا الإمام سيطرة تامة على شؤون إيران السياسية واصبح المرشد الأول لملوك ايران الصفويين الذين يمتون اليه بصلة النسب من ناحية والدته « خواله » وأصبح الجيش الإيراني يضم بين صفوفه نخبة ممتازة من القواد والجنود الاسماعيلية ، وعمل على تعيين بعض العلماء الاسماعيلية في مناصب عالية ومراكز ممتازة في المملكة الايرانية .

في عهده نشطت الحركة الفكرية في جميع البلدان الاسماعيلية وازدهرت التجارة والصناعة فأصبح الفرد الاسماعيلي في مدة وجيزة من أغنى التجار وأمهر الصناع في البلاد التي يقطنها .

وكان ذلك كله بفضل إرشادات ومساعدات الإمام الذي لا يفتأ ساهراً على اتباعه المؤمنين الموحدين المخصلين له والمتفانين في سبيل عقيدتهم المثلى وهدفهم الأكمل ، أما النشاط الاسماعيلي في سوريا فقد كان يدعو إلى القلق نتيجة للاختلافات والاضطرابات التي حصلت بين الصفوف اثر وفاة الداعي السوري « ابو الفوارس » وعدم اتفاق المشائخ في تعيين خلف له .

ذهب وفد من الاسماعيلية السوريين لمقابلة الإمام وعرض هذا الخلاف عليه ولما مثل الوفد بين يدي الإمام قدموا له بعض الهدايا والتحف النادرة ، وقيل حملوا معهم بعض الكتب السرية التي كان يملكها الإمام وفي احمد ، وبقيت في بيت الدعوة بمصياف ، مع ما تجمع لديهم من أموال الزكاة والخمس . سُرّ الإمام سروراً عظيماً بتلك المؤلفات ووزع عليهم بعض الهدايا ومنحهم الرتب والألقاب وأعاد لهم الأموال لتنفق في بلادهم على المشاريع الاصلاحية والحركة العلمية ، ولمساعدة فقراء الاسماعيلية الذين يعيشون في المدن السورية ، وعين لهم الداعي ابو يزيد السرديني ليتولى رئاسة الدعوة خلفاً للداعي الفقيد (ابي الفوارس) وبما ان هذا الداعي كان يتمتع بثقة الجميع ومشهور بعفته وحياده التام فقد لاقى تعيينه التأييد التام من الجميع فعادوا من لدنه شاكرين تلك النعمة العظيمة .

كان الإمام مراد ميرزا من ألمع السياسيين في ذلك العصر وأقدر العلماء يتمتع بمقدرة علمية فائقة ، محباً للخير والسلام يقضي لياليه ساهراً يرعى تباعه ويرشدهم إلى طريق الخير والفلاح والنجاح .

وكانت تأتيه آلاف الاسماعيلية من جميع أنحاء العالم ليقدموا بين يديه الأموال والهدايا فيزودهم بالارشادات والتعاليم التي من شأنها أن ترفع مستواهم العلمي والصحي والاجتماعي .

أصيب الإمام بمرض شديد توفي على أثره في السابع من ذي القعدة عام ٩٢٠ هجرية ودفن في بلدة (نجدان) ولا يزال ضريحه هناك تحيط به روضة غناء وتحف به بساتين نضرة .

الامام
ذو الفقار على

هو الامام علي بن الامام مراد ميرزا كانت ولادته سنة ٨٨٦ هجرية في مدينة (نجـــدان) الايرانية ولقبه (ذو الفقار) جلس على اريكة الامامة سنة ٩٢٠ هجرية بعد وفاة ابيه .

أشرف بنفسه على تنظيم المعاهد العلمية الاسماعيلية المنتشرة في نواحي ايران ، والهند ، والسند ، وكشمير ، واذربيجان ،واحضر الاساتذة والمدرسين ذوي الاخلاق الفاضلة والمقدرة العلمية الفائقة وخصص الامـــوال الطائلة لتنفق على شراء المؤلفات القيمة التي تبحث في جميع العـــلوم ولتحقيق المشاريع الاصلاحية والاجتماعية في البلاد .

اما الاسماعيلية في سوريا فقد حلت بهم الويلات واذيقوا انواع العذاب والاضطهادات من قبل الحـكام فاستتروا عن العيون مدة من الزمن حتى هوجمت سوريا من قبل السلطان سليم الأول فهبوا لمساعـدته وقضوا على جيوش (قانصوه الغـــوري) وكان لهم الفضل الأول في دحر جيوشه

واغمد أحد الفدائية خنجره في صدر (قانصوه الغوري) ثم قذفوه بين سنابك الخيل ، وولت جيوشه الادبار .

دخل السلطان سليم الاول سوريا . وما كادت قدماه تطأ ارض حماه حتى عرج على (بعرين) حيث يقيم شيخ الاسماعيلية وكبير دعاتهم محمد الرفني فقدم له الشكر الجزيل المساعدات القيمة التي قدمها الاسماعيليون لجيوشه ، وعرض على هذا الداعي مبالغ كبيرة من الأموال فرفضها بإباء وعزة نفس قائلا له انما فعلنا واجبنا يا بني ، ليس لي عنـدك الا مطلب واحد ، هو عندما تطأ قدماك أرض دمشق سوف يقف جوادك بمكان فيها ويأبى المسير ، فاحفر موضع قدميه تعثر على ضريح العلامة الاسماعيلي الكبير الشيخ محي الدين العربي فأوليه عنايتك لأنه قد قدم خدمات علمية عظيمة للعالم الاسلامي ، فانحنى على يديه السلطان مقبلا وانصرف .

دخل السلطان سليم دمشق ووقف جواده على سفح جبل الصالحية ورفض المسير بعد كل المحاولات التي بذلت لاقناعه بالعدول عن قراره ، ذكر السلطان سليم وصية ذلك الشيخ فأمر أتباعه بأن يحفروا في موضع قدمي الجواد فعثروا على بقايا ذلك الجسد الطاهر فوضع ضمن نعش عظيم وأمر السلطان ان يهدم ضريح يزيـد وتنقل جميع محتوياته لتوضع على ضريح الشيخ محي الدين ، وشيد بقرب الضريح جامعاً عظيماً لا يزال قائماً حتى الآن .

اعتقد الاسماعيليون بأن السلطان سليم سوف يمنحهم كامل حريتهم في مزاولة شعائرهم الدينية ، وسوف يعيد لهم بعض القلاع التي فقدوهـا ويعوضهم عن ممتلكاتهم التي فقدوها ، ولكن السلطان سليم ما لبث بعدما استقر به المقام واستتب له الأمن في البلاد أن جرد الحملات على الاسماعيلية

القاطنين في القلاع واذاقهم الويلات ، فتواروا عن الانظار واستتروا عن العيون متفرقين في البلاد .

اهتم الامام بأخبار الاسماعيليين السوريين وسعى لدى السلطان سليم طالباً منه أن يمنحهم كافة الحريات ويعوض عليهم عما اصابهم من نكبات ومصائب نتيجة تهجمات الجيوش العثمانية عليهم .

أظهر السلطان سليم بعض الموافقة على تلك المطالب وأمر أن يمنح الاسماعيلية قليلاً من الحرية لمزاولة شعائرهم الدينية ، فتحسنت حالهم قليلاً ، غير أنه ما لبث طويلاً حتى نقض عهده بعد وفاة الامام .

وتوفي الامام (ذو الفقار علي) سنة ٩٢٢ هجرية في شهر ذي الحجة ودفن في مدينة (نجدان) الايرانية .

الامام

نور الدين شاه

هو الامام نور الدين ابن الامام ذو الفقار علي ، كانت ولادته سنة ٨٩٣ ﻫ في بلدة (نجدان) . جلس على مسند الامامة بعد وفاة أبيه سنه ٩٢٢ ﻫ لقبه (حق زمان) .

وجه اهتمامه لتحسين احوال الاسماعيلية في جميع البلدان التي يقطنوها ، وأمن لهم الرخاء والرفاهية ، وأغدق الأموال الطائلة لتحقيق المشاريع الاجتماعية والعلمية ، واعتنى عناية خاصة بالأخبار التي كانت تصله عن احوال الاسماعيليين في سوريا ، الذين اضحوا بحالة يرثى لها من الفقر والعوز والحرمان ، عدا عما يلاقونه من الاضطهادات ، وكان الإمام يمدهم بالأموال والارشادات القيمة .

أما بقية المناطق الاسماعيلية فقد سارت بتقدم مستمر نحو الرقي والازدهار ، واصبحوا يدعون لمذهبهم جهراً بدون خوف أو وجل .

كان الإمام نور الدين شاه عالماً متمتعاً في دراسة أصول الفلسفة الرومانية ميال لإجراء المناظرات والمناقشات العلمية مع أتباعه ودعاته .

أولى الثقافة والعلوم جل اهتمامه ، ووزع ما يأتيه من أموال وهدايا على دور العلم ، وإنشاء مكتبة عامة في قصره يرتادها جميع النـاس ، وقيل أنها كانت تحتوي على ستين ألف مجلد جميعها تبحث في الفلسفة والأدب والاجتماع .

انتابت العلاقات التي تربط الامام مـــع ملوك ايران بعض الفتور ، واعتكف الامام ببلدته (نجدان) لا يغادرها إلا عندما يقوم بجولة لتفقد أحوال اتباعه الاسماعيليين وليزودهم بالنصائح والارشادات التي من شأنها أن تؤمن لهم السعادة في الدارين .

وعلى الاجمال فقد كانت أحوال الاسماعيليين في عهده تدعو الى الراحة والاطمئنـــان ، وكانوا يعيشون برغد ، وعلاقاتهم مع جميـــع الجوار كانت ودية ، وأمر الإمام بأن تشيد المساجد الاسماعيلية في الهنـد ، واذربيجان ، وكشمير ، ومحلات من ايران .

ولقد مدح الإمام نور الدين شاه بقصائد خالدة الشاعر الاسماعيـلي (الخاكي الخرساني) أثارت حسد ونقمة ملوك ايران ، فأمروا بالقبض على ذلك الشاعر بتهمة (نشر عقائد لا تتفق مع عقائد الدولة) فالتجأ إلى معقل الإمام وعاش في كنفه يتغذى من علومه الفريدة وإرشاداته النيرة ، فجادت قريحته العامرة بأشعار خلدت الاسماعيلية أبد الدهر .

توفي نور الدين شاه سنة ٩٥٧ هجرية ودفن في مدينة (نجدان) الايرانية .

* * *

الامام

خليل اللّٰه علي

ولد الإمام خليل الله علي ابن الإمام نور الدين سنة ٩٣٢ هجرية في بلدة (نجدان) واصبح اماماً بعد وفاة أبيه سنة ٩٥٧ هجرية .

وجه اهتمامه لتنظيم الدعوة الاسماعيلية وأدخل بعض التعديلات الطفيفة على لباس موظفي الدعوة الاسماعيلية وأجبرهم على ارتداء الجبة الخضراء والعمامة الحمراء ، وخصص لهم الرواتب ووزع عليهم الأمـوال لتصرف بمعرفة لجنة خاصة على نشر الدعوة الاسماعيلية وتقوية مركزها في البلدان .

وأوفد العلامة الاسماعيلي الفيلسوف (داوود الحسني) وكيلاً عنه إلى بلاد السند وملحقاتها ، يعاونه الداعي (اليا وا هاشم) برتبة مرشد ديني .

عمل هؤلاء على نشر الدعوة الاسماعيلية في تلك البلاد فأقبلت الجماهير عليهم اقبالاً يبشر بسرعة الانتشار ، وغصت اماكن الاجتماعات بالاف المستخبين الذين حضروا من كل صوب لاستماع الوعظ والارشاد والاستفادة من الدروس والمحاضرات الفلسفية الـتي تبحث في اصول المعتقدات الاسماعيلية وكان يحكم تلك المقاطعة الأمير (محمد سمرة) فشعر بأن

الدعوة الاسماعيلية قد أوشكت أن تكتسح البلاد وبات خطرها يحيق بامارته ، فدبر مكيدة للايقاع بالدعاة الاسماعيلية ، ولكنهم تواروا عن الانظار ووزع هذا الأمير على الأهلين المناشير يحذرهم من حضور الاجتماعات التي يعقدها الاسماعيلية ، وشدد في البحث عن الداعيين داود الحسني والباوا هاشم فغادروا البلاد عائدين الى مقرهم ليعرضوا عليه الأمر .

وارسل الامام عدداً آخر من المرشدين الى الأقطار النائية من الهند والخالية من العمران وزودهم بالأموال والارشادات ، فتوغلوا في تلك المناطق الخالية من العمران وشيدوا فيها القرى والمزارع النموذجية ، ونشروا دعوتهم هناك بكل نشاط واخلاص .

أما الأسماعيليين السوريين فقد كانت اخبارهم تتوارد الى بيت الدعوة مبشرة بسوء حالهم ، وكيف ان التفرقة عادت الى صفوفهم ففرقتهم على المدن السورية ليعيشوا مستورين عن أعين الأضداد ، وانقسموا على أنفسهم فرق عديدة تبعت كل منها أحد المشائخ الذين كانوا ولا شك أسباب اضمحلال وتفرقة الاسماعيليين السوريين وذلك لاختلافهم بين بعضهم على تولي المشيخة والزعامة ، وبنتيجة حبهم للأنانية وصلت الاسماعيلية في سوريا الى ما وصلت اليه من تأخر وانقراض ، ولو لا تلك الزعامات الزائفة والخزعبلات الكاذبة لبقيت الاسماعيلية في سوريا مثالاً رائعاً في الاخلاص والمحبة والصدق والوفاء والتضحية ، ولكن هكذا اقتضت الارادة العلوية التي لا مرد لقرارها .

وكانت اموال الزكاة والخمس تنقل الى مقر الامام من مختلف المناطق الاسماعيلية فتصل جميعها في يوم عيد جلوس الامام على أريكة الامامة ،

وكان يأمر بتوزيعها وانفاقها على المشاريع الحيوية بمعرفة لجان خاصة مؤلفة من كبار رجالات الدعوة ويشرف عليها الامام بنفسه .

وعلى الاجمال فقد كانت اصلاحات وخدمات هذا الامام كثيرة متعددة استفادت منها الاسماعيلية افادات جمة .

وبما انه كان يتمتع بشخصية علمية سياسية عظيمة فقد ازداد نفوذ أتباعه وقويت شوكتهم وانتشروا في الاقطار النائيـــة البكر فعمروها وبذلوا جهوداً مشكورة لتحسين حالة سكانها الأصليين وترقيتهم اجتماعياً ، وتأمين الغذاء والكساء لهم فعاشوا بخير واطمئنان .

توفي الامام خليل الله علي في ١٥ شعبان سنة ٩٣٣ هجرية ودفن في بلدة (نجدان) في مقبرة الأئمة الاسماعيلية ولا يزال ضريحه باقيـاً حتى الآن تؤمه الاسماعيلية من جميع انحاء البلاد للزيارة والبركة .

الامام
شاه نزار

ولد الامام نزار ابن الامام خليل الله علي سنة ٩٧٢ هجرية في مدينة (نجدان) وجلس على أريكة الامامة سنة ٩٩٣ هجرية بعد وفاة ابيه .

كان عهده زاهياً برزت فيه التقدمية التي مرت فيها الدعوة الاسماعيلية خلال كفاحها الطويل الذي تهدف من ورائه لخدمة البشرية وتأمين الخير والطمأنينة لجميع الشعوب .

رأى الامام نزار أن يشيد مدينة حديثة يجعلها مقراً لامامته ومركزاً رئيسياً لدعوته ، فوقع اختياره على مرجة خضراء بقرب جبل (بندي) تحيط بها السهول السندسية المنبسطة من جميع الجهات وأمر ان تبنى على تلك البقعة الطيبة مدينة تتسع لآلاف الاسماعيلية وتستوعب عدداً ضخماً من الابنية الحديثة لتكون مؤسسات علمية واجتماعية واماكن للاجتماعات العامة ، وأن يشيد في الضاحية الغربية منها قصراً منيفاً ليكون مقراً للامام وعلى مسافة بضع أمتار منه تبنى المكتبة الاسماعيلية العامة ، وخصص لتلك المشاريع الاموال الطائلة .

وبعـــد أن شيد القصر انتقل الامام ورجال دعوته اليه وسميت تلك البلدة (الكهك شاه نزار) ووجه الامام نزار عنايته للمناطق الخصبة التي تحيط بمدينته ، وأمر ان تبنى المزارع الحديثة والحدائق الفنية الغناء ، وجلب اليها الاغراس الجيدة من مختلف البلدان ، فأضحت بعد مـــدة وجيزة روضة غناء تحتوي على مختلف انواع الفاكهة والخضراوات. ، وعمم الزراعة بـين أتباعة فتعاطوا هذه المهنة وخدموها باخلاص فدرت عليهم الخيرات والأموال الطائلة ، وسميت تلك المقاطعة بحدائقها وبساتينها ومزارعها (نزار آباد) أو (باغ تخت) وجلب الامام المدرسين واستقدم العلماء و الفقهاء من جميـــع الأقطار ، وحشدهم في الجامعة الاسماعيلية التي بناها في تلـــك المدينـة ليدرسوا مختلف العلوم والفنون .

فـــأم تلك المدينة الحديثة آلاف التلاميذ وطلاب المعرفة ، وكانت تلقى عليهم المحاضرات والمجالس الدينية يومياً في قاعة المكتبة العامـة من قبل المرشدين والدعاة وكان الامام نزار نفسه يلقي محاضرة واحدة في كل اسبوع يعالج فيها النواحي الفكرية والاجتماعية والدينية .

وبالحقيقة كان عهد الامام من أرقى العهود التي وصلت اليها الاسماعيلية بعد انتقال دعوتهم من مصر ، ذلك ما ساعدهم على توسيـع نطاق دعوتهم فازدادت انتشاراً في الهند ، والباكستان ، وكشمير ، وسيلان ، وايران ، كما تحسنت اوضاعهم وعظمت مكانتهم في الاقاليم والبلدان نظراً لمـــا كان يتمتع به امامهم من منزلة سياسية واجتماعية وعلمية في مختلف الأقطار ، ونبـــغ من الاسماعيلية شعراء وأدباء وعلمـــاء كان لهم الفضل في تكوين النهضة الأدبية في إيران وما جاورها من المناطق ، نذكر منهم

(الشاعر الفيلسوف قاسم أميري – والعلامة الشهير عبد الغني الحسن) ؛ والامام نزار بجد ذاته كان عالماً لا يجارى وفقيهاً لا يشق له غبار ، تعمق في دراسة كافة العلوم واظهر نبوغاً عجيباً فيها جميعاً .

أولى الدعوة الاسماعيلية في سوريا اهتمامه وأوفد بعض الدعاة مزودين بالامدادات الكثيرة والأموال لمساعدة الاسماعيليين السوريين .

توفي الأمام نزار سنة ١٠٣٨ هجرية في مدينة (الكهك شاه نزار) ودفن جسده الطاهر في روضة غناء تحف بها الأشجار من جميع الجهات ولا يزال ضريحه الكريم باقياً حتى الآن يزوره سنوياً آلاف الاسماعيلية ويوزعون الصدقات والهبات للفقراء والمساكين بهذه المناسبة الكريمة .

الامام

شاه سيد علي

هو الامام اسماعيل آغا حسن شاه ابن الامام شاه نزار كانت ولادته سنة ١٠١٥ هجرية في مدينة (كوهك شاه نزار) اشتهر وعرف بـ (شاه سيد علي) وجلس على أريكة الامامة الاسماعيلية بعد وفاة ابيه سنة ١٠٣٨ هجرية .

كان الامام شاه سيد علي عالماً تقياً وسياسياً عظيماً . وقد كان له تأثير عظيم على شؤون ايران الداخلية ، لما يتمتع به من مركز ممتاز ومنزلة خاصة لدى ملوك ايران ، وبعد ان توفي ملك ايران اصبح الامام شاه سيد علي نجل الملك شاه عباس الثاني .

وقد تمكن بوقت قصير من السيطرة على شؤون ايران السياسية ، وبذل جهوده لانقاذ البلاد مما كانت تعانيه طوال قرون عديدة ، وشكل لجنة شعبية مهمتها سن الانظمة والقوانين الحديثة لخلق ايران جديدة بقوانينها وانظمتها ومؤسساتها وحياتها الاجتماعية ، ووجه عناية خاصة لمساعدة الطبقة الفقيرة وهي الاكثرية الساحقة في البلاد فأوجد المشاغل والحرف ووزع الغداء والكساء

على افراد الشعب البائس المعدم . وسن قانوناً خاصاً شيدت بموجبه الملاجىء لتضم العجزة والمشردين وذوي العاهات ، وخصص الاموال للاعتناء بالصحة العامة ولبناء المستشفيات والمؤسسات الصحية .

وهكذا نرى بأن الامام الاسماعيلي كان يسيطر سيطرة تامة على شؤون ايران الداخلية والخارجية ، واصبحت للاسماعيلية دولة قوية بجانب المملكة الايرانية ، فازداد نفوذهم وعلت كلمتهم واصبح الجيش الايراني يضم بين صفوفه الأغلبية الساحقة من الاسماعيليين ، لأن الامام قد جهز فرقاً عديدة من الشباب الاسماعيلي المشهورين بخبرتهم الواسعة ومقدرتهم العظيمة في فنون الحرب والقتال ، وأصبح أكثر رؤساء المقاطعات والسفراء والوزراء والموظفين من الاسماعيلية الذين ضحوا براحتهم وارواحهم عاملين ليلا نهاراً لانقاذ الشعب الايراني وتخليصه مما هو فيه ، وفعلاً تمكنوا من النهوض بالشعب الايراني وايصاله الى درجة عظيمة من الرقي ، ووجه الامام شاه سيد علي عنايته الخاصة لاتباعة الاسماعيليين في جميع اقطارهم ووزع عليهم الاموال التي كانوا يقدمونها له وامر بانفاقها لتحسين أوضاعهم ، وكانت تأتيه تلك الاموال الى مقره وتسلم اليه باحتفالات عظيمة يساهم فيها الاسماعيليون من جميع انحاء العالم وتستمر تلك الاحتفالات اسبوعاً يقدم خلالها للامام المؤلفات الاسماعيلية الحديثة التي ظهرت خلال العام والأدباء الاسماعيليين الذين اظهروا تفوقاً ونبوغاً خلال العام المنصرم ، وكان الامام يحبوهم بعطفه ويغدق عليهم الهبات والعطايا ، وكانت المناظرات العلمية تجري طوال مدة الاحتفالات تحت اشراف ورعاية الامام ، وتختم الاحتفالات بخطاب قيم شامل يتحدث فيه الامام عن جهود الاسماعيلية في العام الفائت ويزودهم بالتعاليم والنصائح والارشادات ليحملوها معهم الى اخوانهم ، ولكنتون عوناً لهم في

العام القادم ، وكانت البلاد الايرانية تستفيد افـــادة عظيمة مـن هـــذا الموسم .

حاول الامام شاه سيد علي أن ينهض بالاسماعيلين السوريين بعد أن جاءته وفودهم ، فأغدق عليهم الأموال وزودهم بالدعاة العلماء والمؤلفات القيمة ، وأمرهم أن ينفقوا تلك الاموال على المشاريـــع العلمية والصحة والاجتماعية ، وما تبقى من الاموال يوزع بمعرفة لجنة خاصة على الفقراء والمعوزين .

وتوسط لدى السلطان العثماني طالباً منح اتباعه السوريين كامل حريتهم الدينية وان يُعفوا من الضرائب بضع سنوات كتعويض عن ممتلكاتهم ، وقد تمكن الامام من انهاء النزاع المزمن حول رئاسة المشيخة وعين الشيخ خضر بن يوسف بن أحمد ، وهـذا الشيخ كان من الموثوق بهم ومشهور بغزارة علمه وسعة أطلاعه وإخلاصه وتفانيه في خدمة الدعوة الاسماعيلية ، وقد لاقى هذا التعيين والقبول والتأييد من الجميع ، وعلى الاجمال فقـد كانت الاسماعيلية في عهده تعيش برخاء وبحبوحـة يسيطر عليها الحب والوفاء ، وقد بلغوا درجة عظيمة من الرقي والتمدن بفضل سهر الامام المتواصل على شؤونهم هذا ما جعلهم يتقدمون بخطى سريعة في جميـع الحقول ليحتلوا المكان اللائق بهم كأمة تؤمن بالقيم الروحية .

توفي الأمام شاه سيد علي سنة ١٠٧١ هجرية ودفن في مدينة (كرمان شاه) من مقاطعة كرمان .

الامام

حسن علي

ولد الامام حسن علي ابن الامام شاه سيد علي سنة ١٠٤٢ هجرية في بلدة (كوهك شاه نزار) وتولى الامامة الاسماعيلية بعد وفاة ابيه سنة ١٠٧١ هجرية .

في عهده راجت الدعوة الاسماعيلية رواجاً عظيماً في الهند على ايدي دعاة علماء كان لهم شأن عظيم في انماء الروح الفلسفية الاسماعيلية وتحبيبها لاهالي تلك البلاد ، فشغفوا بجميع التعاليم الاسماعيلية وأقبلوا يعبون من ينبوعها الزاخر ويرتشفون من علومها السامية غذاءً روحياً نافعاً ، فحلقوا بأفقها الشاسع وسمائها الرحبة .

كان الامام حسن علي عالماً فاضلاً يحب السياسة ويتقن بتفوق جميع أساليبها ويتمتع بمكانة سامية لدى شاه ايران ، ولقد بسط نفوذه على الاقاليم التي يقطنها الاسماعيليون وخاصة منطقة كرمان التي استقلت استقلالاً ادارياً عن جهاز المملكة الايرانية ، يدير شؤونها اسماعيليون مخلصون ويشرف عليهم الامام حسن علي بنفسه ، ولقد تقدمت هذه

المنطقة تقدماً مطرداً في جميع النواحي ، وخصص الامام الاموال لتنفق على المشاريع الاصلاحية ، ومد يد المساعدة لاصحاب الحرف والتجار وزودهم بما يحتاجونه من اموال للمضي في حركتهم التقدمية هذه .

ووجه اهتمامه الزائد لمعالجة الوضع الاسماعيلي في سوريا وتخليص الاسماعيلية مما يعانوه ، فزودهم بالتعاليم والارشادات ومد لهم يد المساعدة المالية فكانت بمثابة بلسم لجراحهم فغادر بعض منهم المدن والتجأوا الى قلاعهم ومعاقلهم وازداد عددهم فيها ، واظهروا شجاعة عظيمة وتفوقاً اعظم في فنون الحرب والتضحية والبذل ، وكانت دائماً الحملات التي تغزوهم تعود مدحورة مكسورة ، وكم من مرة مزقوا شمل الغزاة العثمانيين واحاطوا بالعصابات (النصيرية) التي كانت تغزوهم للنهب والسلب والاجرام .

وهكذا تنسم الاسماعيليون الرجاء ونهضوا من كبوتهم التي طال أمدها ، فاشتد نفوذهم ، عادت اليهم اغلب قلاعهم بالتدريج ، كل هذا كان بفضل رعاية وارشادات الامام حسن علي ، وبفضل سهر المشايخ المتواصل على راحة اتباعهم المخلصين .

امّ القلاع الاسماعيلية السورية آلاف الاسماعيلية قادمين من مختلف المدن السورية تخلصاً من الظلم وهرباً من الاضطهادات ، فغصت بهم تلك القلاع ولم تعد تكفي لاستيعاب حشودهم المتدفقة كأمواج البحر ، فتوسعوا قليلاً باتجاه نهر الخوابي وشيدوا القرى والمعاقل الحصينة من غارات العصابات المجاورة التي كانت تهاجم في كل وقت وتعود عنهم

وبصورة اوضح فقد كان النهوض الاسماعيلي عاماً شاملاً لجميع الاقاليم والمناطق الاسماعيلية ، وكان الامام حسن علي يشرف بنفسه على سير الاسماعيلية التقدمي ويزودهم بالاموال والنصائح والارشادات ويدير شؤونهم بيد حديدية .

توفي الامام حسن علي في مقاطعة كرمان شاه ودفن في (نجف شاه) ولا يزال ضريحه مشيداً حتى الآن تحج اليه الاسماعيلية من جميع انحاء المعمورة .

الامام

قاسم علي

ولد الامام قاسم ابن الامام حسن علي سنة ١٠٩٠ هجرية في مدينة (كوهك شاه نزار) وجلس على أريكة الامامة بعد وفاة أبيه سنة ١١٠٥ هجرية باحتفال مهيب وافراح عظيمة عمت جميع الاقطار الاسماعيلية .

كان الامام قاسم علي يتمتع بمنزله علمية وسياسية عظيمة جعلته يحتل مكاناً خاصاً في قلوب ملوك وامراء ايران ، وسيطر على شؤون البلاد السياسية واصبحت له الكلمة الأولى في تسيير أمورها ، واضحت اكبر وظائف الدولة بيد الرجالات الاسماعيلية الذين اظهروا مقدرة علمية وادارية في المناصب التي آلت اليهم ، واظهروا تفوقاً في سلك الجندية والتعليم ، وكان أغلب اساتذة ومعلمي المعاهد الايرانية من علماء وفلاسفة الاسماعيليين .

واوجد العلماء الاسماعيليون بالتعاون مع العلماء والفقهاء الايرانيين الأنظمة والقوانين المشتقة من الفقه الجعفري ، ولا يزال يعمل فيها أغلب

المحاكم والمؤسسات الحقوقية والقانونية في ايران .

كان الامام قاسم علي يتولى بنفسه ادارة شؤون مقاطعة كرمان ، واختار لادارتها الرجال الأشداء من اتباعه ومريديه ذوي المقدرة العلمية فنظموا شؤونها الداخلية حتى أصبحت من اجمل واحسن المقاطعات الايرانية ، واضاف الامام من ماله الخاص لميزانية تلك المقاطعة على ان تنفق تلك الاموال لتأمين رفاهية وراحة الشعب وتحسين اوضاعه .

اما فيما يتعلق بشؤون الاسماعيلية عامة فقد وجه اهتمامه لتنظيم الدعوة ، وارسل المرشدين والمبلغين الاكفاء الى المناطق الهندية المتأخرة ، وكانت تأتيه اموال الزكاة والخمس بصحبه الدعاة المرشدين ، وكان يوزع قسماً منها لينفق على المشاريع الحيوية بمعرفة اللجان ، وعمل على زيادة المخصصات للاسماعيلية السوريين والحفهم بالتعليمات والارشادات التي كان لها الفضل الاكبر بتقوية مركزهم ، فعاشوا حقبة من الزمن مرفوعي الرأس وافري الكرامة يسيطر عليهم الحب والاخلاص ، وكانوا يمارسون معتقداتهم بكل حرية وامان دون أن يتعرضوا الى احتجاجات الولاة العثمانيين .

في عهد الامام قاسم شاه ثارت القبائل (الفجارية) بوجه ملك ايران الصفوي يقودها شاه نادر الانشاري واستولوا على المملكة الصفوية وطردوا الملك .

وكان نادر شاه هذا من أعز واحب أصدقاء الامام قاسم علي فخطب نادر شاه ودّه ولاقى تأييده .

توفي الامام قاسم علي سنة ١١٤٣ هجرية ودفن في مقاطعة (كرمان) ولا يزال ضريحه مشيداً ومعتنى به حتى الآن .

الامام
ابو الحسن علي

ولد الامام ابو الحسن علي ابن الامام قاسم علي في مدينة (كوهك شاه نزار) سنة ١١١٥ هجرية وجلس على مسند الامامة سنة ١١٤٣ هجرية بعد وفاة ابيه ، ونقل مركز إمامته الى بلدة (قيان) الواقعة بقرب (دركان) و (جنجيران) .

كان الامام ابو الحسن علي محباً للسياسة ، مولعاً بالتنقل بين اتبــاعه الاسماعيليــة ليشرف على شؤونهم ويتفقد احوالهم عن كثب ، أجرى تمــديلات طفيفة على نظام الدعوة الاسماعيلية ، واطلق على الداعي او المرشد (لقب) بادا ، ووجه اهتمامه لتوسيع نطاق الدعوة الاسماعيلية في بلاد الهند وأوفد (البادا علي شاه) ليرأس الدعوة في الهنــد وزوده بالتعاليم والارشادات .

في عهده اندلعت نيران الحروب والثورات الداخلية بين القبــائل الايرانية عقب وفاة نادر شاه ، واخيراً تم النصر للأمير (كريم خان) فاستولى على الملك وشرع يستأصل المفاسد والثورات من الجذور ، وكريم

خان هذا ينتسب الى العائلة الذندية العريقة بالشجاعة والاقدام والمشهورة بحبها وميولها للاسماعيليين ، حتى ان كريم خان عندما اضحى ملكاً على ايران كان يقول للناس انا لست الا عبداً مخلصاً اميناً لمولاي حاضر إمام ابي الحسن علي ، وقد أجرى كريم خان تعديلات كثيرة في نظام الحكم الايراني ووجه عنايته لأصلاح شؤون البلاد ولتقوية ورفع مستواها الاقتصادي والاجتماعي والصحي ، وكانت ارشادات الامام عوناً له في مهمته الشاقة الصعبة ، وتمكن بمدة وجيزة من النهوض بالشعب الايراني فازدهرت البلاد وخيم عليها الرخاء ، اما الاسماعيليون فقد عاشوا بطمأنينة ترعاهم ارشادات الامام ابو الحسن علي ، وساهم هذا الامام مساهمة فعالة بتقوية الاسماعيليين السورين ومدّ يد المساعدة لهم ، وعلى الاجمال نجحت الاسماعيلية في عهده نجاحاً لا بأس به وانتشرت بقوة في كل من الهند وكشمير وايران

توفي الامام ابو الحسن علي سنة ١١٩٢ هجرية ودفن في وادي السلام بالنجف الاشرف .

الامام
شاه خليل الله علي

ولد الامام شاه خليل الله علي ابن الامام ابو الحسن علي سنة ١١٥٣ هجرية في بلدة كرمان شاه ، وأصبح إماماً بعد ابيه سنة ١١٩٤ هجرية .

كان محباً للعلم كريماً ، قضى حيـــاته بعيداً عن غمار السياسة مخصصاً اوقاته للسهر على مصالح اتباعه ، ووزع جميع ما يقدم اليه من أموال الزكاة والخمس لتنفق على المشاريع الاصلاحية وعلى المستشفيات ودور العـلم ، اشتهر بكثرة تنقله بين اتباعه ومريديه ، وبزهده وتقشفه ، كان ميالاً لدراسة العلوم الدينية متعمقاً في اصول الفلسفة الاسماعيلية .

تزوج من ابنة عمه الأميرة (بي بي سركار) كريمة الأمير مرزا محمـد باقر خان ، وكان يكبرها بعامين ، وبعد وفاتها تزوج ثانية من الامـــيرة (يمن) ورزق منها اربعة ذكور وبنتين هما شاه حسن علي ، ومحمد تقي خان ، ومحمد ابو الحسن ومحمد باقر خان ، والأمـــيرة (شاه بي بي) والأميرة (كوهار تاج بيكم) .

في عهده اشتعلت الفتن والثورات الداخلية في البلاد ، وبينما كان

يشتغل حسب عادته بين أتباعه ، دبرت مؤامرة لاغتياله من قبل حاكم (يزد) فهوجمت دار الامام من قبل الملا حسين وكان الامـام اثناء الهجوم يلقي محاضرة دينية في اتبـاعه العزل من السلاح ، فجرت بينهما موقعة حامية استشهد خلالها الامام وقتل عدد من أتباعه المخلصين .

اهتمت السلطات المسؤولة بالأمر وجهز الشاه فتـح علي ملك ايران جيشاً قوياً لتعقيب المجرمين ، فالقي القبض عليهم واعدموا جميعاً .

بعد تلك الحادثة اشتعلت نيران الغضب بأفئدة الاسماعيلين واشعلوا الثورة في البلاد وهاجوا مقاطعة (يزد) للثأر لامامهم الشهيد ، غير أن الشاه فتح علي القـاجاري تدارك الأمر واتصل بولي عهد الامامـة الاسماعيلية الذي اصبح إماماً بعد استشهاد ابيه عارضاً عليه التعويضات ويرجوه بنفس الوقت أن يهدىء أتباعه حرصاً على سلامة البلاد ، وكان استشهاد الامام في شهر شعبان سنة ١٢٣٣ هجرية ، ودفن في النجف الاشرف .

* * *

الامام

شاه حسن علي

هو الامام حسن علي ابن الامام خليل الله علي ، كانت ولادته في بلدة محلات الايرانية سنة ١٢١٩ هجرية وجلس على أريكة الإمامة بعد استشهاد أبيه سنة ١٢٣٣ هـ . لقبه (آغا خان الأول) تزوج من كريمة الشاه فتح علي القاجاري ملك ايران الاميرة (سررجهان بكم) كان عمره أربعة عشر عاماً عندما لقب (بالشاهان آغا خان) .

ونقل مقره الى مدينة محلات فاصبحت مركزاً للامامة يؤمها الاسماعيليون من مختلف الاقطار ليقدموا بين يديه الزكاة والخمس .

كان الأمام آغا خان الأول يتمتع بمنزلة سياسية عظيمة جعلته يبسط نفوذه على شؤون ايران السياسية متداخلا في كل شاردة وواردة ، هذا ما جعل وزير المملكة الايرانية (الاقاسي) يخاف ان يقصيه الامام عن الحكم ، فسعى لدى الشاه مراراً يخوفه من مداخلات الامام في شؤون المملكة محظراً إياه بأن عاقبة تلك المداخلات ستكون خطراً على العرش ، لأن آغا خان قد أصبح يحتل منزلة عظيمة في قلوب الشعب الإيراني نظراً لخدماته العظيمة في جميع الحقول ، فخاف الشاه على عرشه

وكتب كتاباً الى الامام آغاخان يطلب منه أن يعتزل السياسة ويبقى مستقلاً في منطقة محلات ولا يبدي أي تداخل في شؤون الدولة .

وهكذا توترت العلاقات بينهما وحدثت بعدهـا عدة اصطدامات بين الاسماعيلية وجنود الشاه ، وأخيراً قرر الامام أن يغادر البلاد الايرانية ؛ لأنها لم تعد مكاناً صالحاً له واصبح وجوده فيها يشكل خطراً على حياته وسلامة أتباعه ومريديه .

ارتحل الامام شاه حسن علي نحو الهند وقد لاقى في طريقه المشقات واعترضته العقبات والمصاعب ؛ فتغلب عليهـا وسار حتى وصل إلى (بلوجستان) واستقبل استقبالاً حاراً من قبل الجميع ، ومكث فيها عدة أسابيع للراحة والاستجمام ثم غادرها الى (السند) وكانت بريطانيا تحكم تلك المقاطعة وهي بحالة حرب مع قبائل وامراء تلك المقاطعة ، طلب الحاكم البريطاني رسمياً من الامام شاه حسن علي أن يتوسط لانهاء الخلاف بين بريطانيا وامراء قبائل السند ، وقبل الإمام أن يتداخل بالأمر ، وعقد اجتماعاً مع امراء السند في (كلكتا) وبعد هذا الاجتماع انتهى الخلاف ووافقت بريطانيا على مطالب الامراء .

عرضت بريطانيا على الامام أن يبقى في السند ولكنه اعتذر عـن قبول هذا العرض وارتحل الى الهند فوصل (كبج) و (كاتياوار)ومكث في الاخيرة مدة شهرين ، اجتمع خلال هذه المدة مع أتباعه ومريديه الذين قدموا اليه من جميع الجهات وأخيراً اتخـذ الامام قراراً جعل بموجبه (بمباي) مقراً له ومركزاً لدعوته .

دخل الامام شاه حسن علي مدينة (بمباي) واستقبل من قبل حاكم تلك المدينة ورجال السلك السياسي وممثلي الدول ومختلف طبقات الشعب ، ومنحته المملكة البريطانيـة لقب (صاحب السمو) وأرفـع وسام في المملكة للسلام .

وما كاد يستقر به المقام في مدينة (بمباي) حتى بدأ يزاول نشاطه السياسي المعروف وتداخل في قضايا الهند العامة وتوسط لدى ملك بريطانيا ليمنح الشعب الهندي بعض الحرية وليقدم له المساعدات لرفـــع مستواه الصحي والعلمي والاجتماعي .

كان الامام (آغاخان الأول) عالماً مديراً وفيلسوفاً كبيراً يتقن اغلب اللغات الحية محباً للسلام ، سياسياً لا يشق له غبار ، قضى اكثر ايامه في الاعمال الانسانية يسهر الليالي الطوال لتـأمين حاجات الشعب الهندي بصورة عامة واتباعه الاسماعيليين بصورة خاصة ويعد عهده أزهى وأعظم العهود التي مرت بها الدعوة الاسماعيلية بعد (مصر) لما أحرزته من تقدم وسرعة انتشار .

أما الاسماعيليون السوريون فقد سيطرت عليهم التفرقة من جـــديد وحلت بهم المصائب والنكبات من جميع الجهات فتفرق شملهم وتأخرت حالهم ، وشنت عليهم الغارات من العشائر المجـاورة واشتعلت نيران الحروب فيما بينهما ، وقد هوجمت مدينة مصياف من قبل عشيرة (الرسالة النصيرية) فاخرجوا الاسماعيلية منها .

ولما علم الامام (آغا خـان الأول) بما اصابهم توسط لدى السلطان العـثماني الذي أمر بدوره والي دمشق ليرفـع الحيف عن الاسماعيلية ، وأرسل الجيوش لاجلاء النصيرية عن مصياف واعادتها للاسماعيلية ، وبعد فترة من الزمن هاجم حاكم مقاطعة طرابلس القـلاع الاسماعيلية بجيوش جرارة واحتل قلعة الكهف وقبض على ثمانية من الامراء الاسماعيليـــة فعلقهم جميعاً على أعواد المشانق ، ونتيجة لتلك الحوادث الدامية ضعف النفوذ الاسماعيلي وخبا نجمهم وزالت دولتهم فغادروا قـلاعهم والتجؤوا

الى بعض المدن السورية ليعيشوا بالستر والثقة .

واجمالاً كانت الاسماعيلية في العالم تتمتع بالحرية التامة وتحتل مكاناً لائقاً في عالم الفكر والادب . توفي الامام بعد أن خلف أربعة أولاد وهم : آغا علي شاه ، وآغا اكبر شاه ، وآغا جهان كير شاه ، وجنكي شاه . وكانت وفاته سنة ١٢٩٨ هجرية الموافق ١٨٨١ ميلادية ودفن في مدينة (مجكاؤن) ولا يزال ضريحه قائماً فيها حتى الآن تحيط به روضة غناء تعرف (بحسن آباد) .

الامام

علي شاه

ولد الامام علي ابن الامام حسن علي سنة ١٢٤٦ هجرية في مدينة محلات وجلس على مسند الامامة بعد وفاة ابيه سنة ١٢٩٨ هجرية. اشتهر وعرف (بصاحب السماحة علي شاه آغا خان الثاني) وكان محباً للعلم والعلماء، له ميول سياسية جعلته يحتل مركزاً سياسياً عالياً في الهند، واصبح ينطق بلسان جميع الطوائف الاسلامية، وعمل على تأليف جمعية الاتحاد الاسلامية وانتخب رئيساً لها، ومهمة هذه الجمعية تقوية الروابط بين الطوائف الاسلامية حتى يتشكل فيما بينها اتحاد اسلامي يهدف الى رفع مستوى جميع المسلمين ليتمكنوا من السير مع موكب الحضارة والتقدم.

وكان مولعاً بالصيد والرحلات الخطرة وركوب الخيل، ويحسن استعمال الاسلحة بمهارة وتفوق وحاز الامام علي شاه على ثقة ومحبة وتقدير جميع سكان الهند، لما كان يقدمه لبلادهم من تضحيات جسيمة واعمال عظيمة، ولقد انفق اموالاً كثيرة خصصها لتشييد المدارس

والمستشفيات والمؤسسات الاجتماعية ، وقدم المساعدات المادية والمعنوية للطبقات الفقيرة من أبناء الهند وعين حاكماً سياسياً لمنطقة (بمباي) وممثلاً للمملكة الايرانية لدى الحكومة البريطانية .

تزوج الامام علي شاه خمس نساء رزق منهن ثلاثة اولاد ، ولدت الأميرة شمس الملوك كريمة ميرزا أعلى محمد خان بن نظام الدولة بن عبدالله خان ابن حج محمد حسين خان سياتي الاصفهاني ، سلطان محمد شاه ، وولدت النساء الباقيات ، شهاب الدين شاه ، ونور الدين شاه .

وفي احتفال مهيب ضم آلاف الاسماعيلية الذين قدموا الهند لتقديم الزكاة والخمس للامام أعلن الامام علي شاه بأن نجله الاكبر سلطان محمد شاه قد أصبح ولياً للعهد وسيكون إماماً من بعده .

في عهده عاشت الاسماعيلية برخاء وطمأنينة وانتشرت في بلاد بكر جديدة كافريقيا وبورما وسيلان وغيرها من المناطق النائية ، وامتهن اغلب الاسماعيلية التجارة فاصبحوا من اكبر اغنياء تلك المناطق ، ووصل الهند وفد من الاسماعيلية السوريين قدموا ليطلبوا من الامام المساعدات والارشادات وليقدموا بين يديه اموال الزكاة والخمس .

اجتمع بهم الامام مطولاً وعرضوا عليه جميع مطاليبهم فوافق عليها ووعدهم بأنه سوف يسعى لرفع مستواهم وتأمين مصالحهم ، وعين لهم المخصصات لتنفق على تحسين اوضاعهم .

وهكذا تنسم الاسماعيليون في سوريا الرجاء وأتوا الى معاقلهم من كل حدب وصوب فضاق بهم المقام ، وتقدموا بطلبات الى السلطان العثماني راجين فيها ان يمنحهم مكاناً يقطنون فيه بعد ان ضاقت بهم معاقلهم ، فأجاب السلطان طلبهم هذا وأصدر أمره الى والي دمشق ليسمح للاسماعيلية بأن يختاروا مكاناً ليشيدوا فيه مساكن لهم شريطة ان يعفوا من الضرائب

والجندية ، تجمع الاسماعيليون بزعامة الامير اسماعيل وذهبوا باتجـاه المنطقة الشرقية حتى وصلوا الى سهول السلمية فقرروا ان يعيدوا تأسيس مدينة السلمية التاريخية بعد ان دمرتها الحروب وهكذا كان وسنتحدث عنها بالتفصيل في نهاية هذا الكتاب .

والخلاصة نهضت الاسماعيلية نهوضاً عاماً شاملا وانتشروا في جميـع البلدان وازدهرت اعمالهم التجارية واصبحوا من ارقى الشعوب ، كل هذا بفضل اخلاصهم وتفانيهم وطاعتهم العمياء لامامهم المعصوم الذي يسهر دائماً على مصالحهم ويؤمن لهم السعادة والرخاء . توفي الامام علي شاه سنة ١٣٠٢ هجرية ونقل جسده الطاهر الى مدينة كربلاء ودفن بجوار اجداده الطاهرين .

***

الامام

سلطان محمد شاه علي

على رابية جميلة تكتنفها الاشجار الباسقة الوارفة الظلال تحيط بها سهول منبسطة تنساب بين جنباتها الانهار والسواقي الرقراقة ، وفي خصلة من منعطفات تلك السلسلة من الهضبات الخضار الواقعة في الجانب الشرقي من مدينة (كراتشي) عاصمة الباكستان ، هناك في ذلك المكان الجميل الذي اصبح محجاً للزائرين والسياح الوافدين اليه من جميع انحاء العالم ، ولد الامام سلطان محمد شاه علي الشهير (بآغا خان الثالث) ابن الامام علي شاه وكانت ولادته يوم الاربعاء في الثاني من تشرين الثاني سنة ١٨٧٧ ميلادية الموافق الخامس والعشرون من شوال سنة ١٢٩٤ هجرية في (منزل شهر العسل) في محلة القمة المحمدية ، وكان ذلك اليوم يوماً مشهوداً في مدينة (كراتشي) تخللته الحفلات والمهرجانات الشعبية الرائعة ، ولم تقتصر الحفلات والمهرجانات على مسقط رأسه فحسب بل امتدت الى كافة المناطق التي يقطنها الاسماعيليون ، واقيمت الزينات والحفلات واستبشر الناس خيراً بمولد هذا الامام العظيم ، واقبلت الجماهير تتدافع

نحو المكان (المقدس) حيث انبثق منه ذلك النور السرمدي الوهاج الذي شع على العالم فانسار ظلمات القلوب وبعث الحياه في النفوس المجدبة الضعيفة .

وما كاد يسير على رجليه حتى اظهر اهتماماً كبيراً بمختلف الالعاب وحباً بالغاً للحيوانات فاعتاد ان يطعم بيديه الظباء ، والوعول ، والخيول الموجودة في حديقة منزله ، وكان يُسر سروراً عظيماً عندما يمتطي صهوة جواده ، وهذا الشعور جعله فيما بعد يقتني احسن خيول العالم ، ولما بلغ الخامسة من عمره المديد توفي جده كما توفي والده بعد ذلك بثلاث سنوات .

لقد كانت حياة هذا الامام سلسلة من الاعمال الخيرية والاصلاحات المتعددة ، فمنذ اللحظة التي بدأ بها مسؤوليته كزعيم روحي للاسماعيلية وهو في الثامنة من عمره ظهرت عليه أمائر النجابة والذكاء والجد والنشاط ، وبينما كان معظم اترابه من الاطفال يلتحقون بالمدارس الابتدائية كان يتربع على عرش الامامة ليدير شؤون اتباعه بحكمة ناجحة تبهر العقول وتحير الافكار بالنسبة لمن هم في سنه .

شغف منذ صغره بالتنقل فلا يكاد يستقر في مكان حتى ينتقل الى آخر ، وكانت هوايته المفضلة هي ان يجمع اكبر عدد ممكن من التماثيل واللوحات الفنية وتربية الحيوانات بانواعها وخاصة الخيول الجميلة فأنشأ لها اصطبلاً صغيراً يشرف عليه ويهتم به بنفسه .

وكما نوهت سابقاً كان شديد الولع بالرحلات والتنقل ويرى ان لافائدة للانسان اذا لم يحتك بغيره ويختبر الحياة على نطاق واسع ولو كلفه ذلك عناء ومشقة كبيرين ولا يهدف من وراء ذلك الا خدمة ابناء قومه والسهر على مصالحهم والاحتكاك بهم والاصغاء الى شجونهم ومعرفة

كل صغيرة وكبيرة من احوالهم الخاصة والعامة ، وكان هدفه الاكبر ان يرى ويشاهد اتباعه الاسماعيليين يتطورون ويتقدمون في جميع نواحي الحيـاة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، لذلك خصص قسماً كبيراً من اوقاته ليوجه ويدرس عن كثب احوال اتباعه في شتى انحاء العالم ، في مصر ، وسوريـا ، وافريقيا ، وايران ، وافغانستان ، والهند ، وروسيا ، وهولندا ، آملاً ان يوافق لجعلهم يشعرون بانهم يعيشون تحت سقف واحد وعلم واحـد وقيادة واحدة تربطهم الرابطة الروحية الاسماعيلية وتدعمهم العقيدة المثـلى وهي الهدف الاعلى لكل اسماعيلي يتطلع الى الغاية النبيلة ليرى الخير والسلام والطمأنينة تعم الانسانية جمعاء .

قضى الامام سلطان محمد شاه الشاب الجدي العملي النشيط سني شبابه في التأمل والتفكير بالطريق الذي سيشقه لاتباعه ليتقدموا ويتبوأوا مركزهم اللائق في العالم وليؤدوا رسالتهم المقدسة لتحرير الانسانية من الخوف والجهل والفقر والعوز ، ووجه اهتمامه الكلي لتنشئة وتعليم الجيل الجديد الذي يعتقد فيه الخير والفضيلة ، فشرع بتأسيس دور الحضانة ودور الايتام والجمعيات الخيرية ، ورأى بان لا فائدة من النظريات والآراء اذا لم تدعم بالعمل والانتاج وان لا حياة لأمة اذا لم تعب من منهل الحضارة العذب وتسير مع عجلة الزمن بسرعة نحو التطور والرقي ، وكانت الناحية الهامة في نظره هي تنشئة جيل صغير مدرب خير تدريب على حمل المسؤوليات والشعور بالواجب ، وذلك بتشجيع الفرق الكشفية وروابط الطلبـة وجمعيات رعاية الطفولة وانشاء أندية خـاصة للصغار يتمرنون فيها على سلوك انجع الطرق الكفيلة بنجاحهم واسعادهم ، وأخـذ سموه يوجههم توجيهاً علمياً ويدعوهم لتعاطي التجارة الحديثة وطرق ابواب الاقتصاديات بانواعها مشجعاً الهجرة الى افريقيا والعـالم ، فبدأ سيل المهـاجرين

الاسماعيلية يتدفق من الهند الى باقي اقطار العالم ، هذا ما نشط الحركة التجارية فأسست البنوك والمصارف الصناعية والزراعية وهكذا لم تمض فترة من الزمن حتى اصبحت الاسماعيلية في طليعة الطوائف الهندية بفضل جهود وتوجيهات الامـــام الساهر على مصلحتهم والخلاص الوفي المرشد لأبنائه الروحيين .

إن اهم ما يتميز به عهد هــذا الامام هو ذلك التطور السريع في حياة الاسماعيلية التي قفزت سريعاً نحو الامام فازدهرت ازدهاراً شاملا في جميع المرافق حتى اصبحت مثالية في كل شيء ، في نظامها الاجتماعي والتعاوني والاقتصادي والثقافي ، كيف لا وزعيمها المرشد كان مثاليــاً وانموذجاً في حياته وسلوكه . وعدا عن كل هذا كان يغدق على أتباعه الاموال والتبرعات للفقراء والمعوزين ولتنمية المشاريع الخيرية ، كما ساهم مساهمة فعالة في بناء كثير من المساجد الاسلامية والــكنائس المسيحية والمعابد الهندوسية في العالم .

وامتاز سمو آغا خان بشخصيته الممتازة وحججه القوية ومداركه الواسعة وارادته الحديدية واعصابه القوية الفولاذية وعقله الجبار ، وهو سياسي عالمي في رؤوس أصابعه تاريخ التطورات السياسية والاقتصادية في كل امة عظيمة تنشد الرقي والازدهار في عالمنا الفسيح الرحب ، وظهرت عظمة الامام الحـاضر وعرف كقائد عظيم عندما حصل النزاع الكبير بين الهندوس والمسلمين في الهند في الحـــادي عشر من آب سنة ١٨٩٣ ميلادية وكان سموه لا يتجاوز السادسة عشرة من عمره وكان هذا النزاع قد حصل من أجل (بقرة) فحصلت مجازر كبيرة في مدينه بومباي قتل خلالها عدد من الاسماعيلية وخادمين من خدم الامام داخـل بوابة منزله في حي (مازكان) وكان سموه يقيم في ذلك الوقت في مدينة (بونا)

فأرسل تعلياته لأتباعه في بمباي يأمرهم بوقف الخصام ليساعدوا السلطات في فض هذا النزاع ، فأوقف النزاع وفض الخصام وقدم الاسماعيلية جميع التسهيلات والمساعدات لاخوانهم الهندوس .

وبعد مرور أربع سنوات على تلك الحادثة اجتاحت مدينة بمباي مجاعة كبرى فساهم الامام آغا خان لتخفيف المصيبة عن الشعب وانشأ على نفقته الخاصة مخيات أقيمت في مدينة بمباي ليطعم فيها آلافاً مؤلفة من الشعب الهندي بغض النظر عن جنسهم ومذهبهم وعنصرهم وكان يرسل المساعدات المستورة الى منازل من لا يودون الظهور في تلك المجتمعات ، نظراً لمكانتهم المعروفة ونسبهم العريق وألقابهم الفخمة ، ولما انتهت المجاعة أمر بتوزيع البذار على المزارعين الذين يستحيل عليهم ايجاد البذار لزراعة اراضيهم ، ولم يكتف بما قدمه من مساعدات بل انشأ قصراً كبيراً في مدينة (بونا) سماه (برودا) ليكون ملجأ للفقراء والبائسين والمنكوبين المعوزين العاطلين عن العمل .

وما عتم أن انتشر الطاعون بصورة فظيعة فذهب بآلاف مؤلفة من الناس ، ولأجل ايقاف هذا الوباء أوفدت الحكومة الانكليزية العالم الجراثيمي المشهور البرفسور (هافكاين) ليعمل على تلقيح الاهلين وليقضي قضاءً مبرماً على هذا الوباء ، غير أن هذا العالم قد اصطدم باحتجاجات صاخبة كانت ترسلها الجماهير الفقيرة معلنة بأن التلقيح بهذا المصل ليس إلا (مجزرة) بشرية ومؤامرة دبرها المستعمر للقضاء على الشعب الهندي وهنا تدخل الامام (آغا خان) ووقف على شرفة قصره ليخطب في الجماهير المحتشدة معدداً فوائد هذا اللقاح ولأجل أن يطمئن الشعب طلب البرفسور الطبيب أن يكون هو أول من يلقح بهذا المصل ، وأمر اتباعه ان يقتدوا به كما وهب قصره وجعله مخبراً لاعداد المصل بكميات

كبيرة ، وبذلك تمكنت البعثة الصحية من القضاء على هذا الداء الوبيل .

وفي سنة ١٨٩٩ ميلادية قام الامام (آغا خان) بزيارة مناطق مختلفة في (زنجبار) حيث درس أحوال أتباعه عن كثب وقام برحلة الى اوروبا فزار المانية وقابل الامبراطور مقابلات عديدة وعرض عليه أن يمنح الاسماعيلية الموجودين في المستعمرات الالمانية الحماية وامتيازات خاصة ونتيجة لذلك استوطن آلاف الاسماعيلية في افريقية الشرقية الالمانية ، وعاد سموه الى الهند فاستقبل من مختلف الهيئات وتقرر أن تقام الاحتفالات والمهرجانات الشعبية في مساء ذلك اليوم إلا ان حادثاً طائفياً قد وقع في المدينة فسبب مقتل ثلاثة اشخاص . هذا ما جعل سموه يأمر بالغاء الاحتفالات ، وتفصيل الحادث ان شاباً اسماعيلياً متحمساً أقدم على اغتيال ثلاثة اشخاص كانوا قد تركوا الاسماعيلية ليلتحقوا بفرقة أخرى تناوىء الامام آغا خان واعتقد القاتل بأن الامام سوف يسر لما اقترفته يداه ، ولكن ما عتم أن خاب ظنه لأن الامام (آغا خان) قد أمر فوراً بطرده من الاسماعيلية وعدم التعامل معه وحرمانه من أن يدفن في المقابر الاسماعيلية ، وعلى الأثر عقد اجتماعاً عاماً للاسماعيلية ، وعرفهم بعبارات صريحة ، بأن من يحترم القوانين والانظمة في البلاد يكون من اتباع الاسماعيلية اما من يحاول العبث بالانظمة والقوانين والنيل من كرامات الناس والعبث بأرواحهم وممتلكاتهم فاننا منه براء وسنكون خصوما له الى يوم الدين .

بدأ الامام سلطان محمد شاه منذ ١٩٠٢ يتدخل في شؤون الهند السياسية ، وانشأ الهيئة الاسلامية الهندية سنة ١٩٠٦ ميلادية كما انشأ جامعة (عليكره) سنة ١٩١٠ ميلادية ولما انتهت الحرب العالمية الأولى وتقاسمت الدول الاوروبية تركيا أعلن نفسه متطوعاً لحماية تركيا

من اليونان وتوسط لدى الحكومة البريطانية طالباً انقاذ تركيا البلد الاسلامي مما وصلت اليه ، فـكانت النتيجة ان عقد ووقعت معاهدة (لوزان) التي استفاد منها الاتراك واعيدت لهم حقوقهم المهضومة ، وقدم سموه المساعدات القيمة لجرحى الحرب العامة مـن الشعب التركي وامن له التداوي والعيش وساهم مساهمة فعالة في ترميم المسجد الأقصى .

وبرزت شخصية (آغا خان) السياسية عندما ترأس عصبة الامم سنة ١٩٣٧ ميلادية حيث أدلى بتصريح شامل عن احوال تركيا المهددة آنئذ بالاحتلال الأجنبي ، وقـال ان أربعمائة مليون مسلم في العالم يقفون بالمرصاد لكل دولة تسول لها نفسها بالاعتداء على أي دولة اسلامية وندد بالعواقب الوخيمة التي تنتظر الدول الاستعمارية اذا ما تجاهلوا أماني ورغبة الشعوب الاسلامية .

واما في السياسة العالمية فله مواقف عظيمة هامة كانت تظهر كلـما تأزمت الحالة الدولية ، ولقد أدلى بحديث خطير في اوائل الحرب الثانية عندما كان العالم يعتقد بـأن روسيا ستتعاون مع المانيا لمحاربة الحلفاء قال (ان روسيا لن تحارب الحلفاء) فأدهش العالم بهذا التصريح الخطير في وقت تتقاسم روسيا والمانيا الغنائم .

وقام سموه بدور الوسيط بين الحلفاء والمانيـا وقابل هتلر مقابلة طويلة خرج على أثرها بتصريحه المعروف (ان المانيا محبة للسلام وهي تريد أن يتسع مجالها الحيوي) ولهـا مطالب يجب أن ينظر فيها بعين الاعتبار . وأضاف بأنه قد أعجب بنظام المـانيا الاقتصادي وخاصة بمشروع الخمس سنوات الذي أظهره للوجود الدكتور (شخت) .

إن الامام آغا خان يحب الحياة المنزلية وقد تزوج أربع مرات، رزق ابنان : الأمير علي خان وهو ولي عهده والامير صدر الدين ، وكان زواجه

الاول عام ١٨٩٨ م من ابنة عمه ، وأقيمت المهرجانات والاحتفالات في مدينة بونا حضرها (٦٠٠٠٠٠) إسماعيلي جاؤوا من مختلف البلدان الاسماعيلية ، وبعد وفاتها تزوج من الاميرة (تديا ماجليانو) الايطالية سنة ١٩٠٨ ميلادية طبقاً للتقاليد الاسماعيلية وأعلنت الاميرة أنها اعتنقت المذهب الاسماعيلي وأنجبت له ولدين توفي أحدهما وهو صغير ، أما الثاني وهو الأكبر الأمير علي خان ولي عهد الامامة الاسماعيلية . ثم توفيت الاميرة في كانون الاول سنة ١٩٢٦ ميلادية بعد مرض قصير في إحدى المستشفيات في مدينة باريس ، وفي سنة ١٩٢٩ م تزوج من السيدة (أندشي كارون) فولدت عام ١٩٣٣ الامير صدر الدين ، وفي عام ١٩٤٤ م قابل سموه الانسة (إيفيت لابروس) وتزوج منها بعد أن اعتنقت المذهب الاسماعيلي .

واعترافاً بفضل هذا الامام العظيم قررت الطائفة الاسماعيلية أن تحتفل بيوبيله الذهبي في عام ١٩٣٦ م وتضمن برنامج الإحتفال وزن سموه بالذهب وكان ذلك في تمام الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين من يوم التاسع عشر من شهر كانون الثاني سنة ١٩٣٦ ميلادية ، وقبل أن يبدأ الاحتفال استأذن السيد (جولي مالي مير تشاند) بصفته رئيساً للجنة اليوبيل الذهبي من سموه أن يقبل هذا الذهب كدليل على حب وولاء ، وشكر أتباعه الاسماعيلية له لما قدمه من ارشادات وتعاليم قيمة إبان فترة امامته في الخمسين سنة الاخيرة وقد أجاب سموه على ذلك بقوله (انني اقبل بسرور عظيم هذا الذهب من أبنائي الروحيين وأهديهم حبي وبركاتي الروحية ، وقد قررت أن استعمل هذا الذهب لرفع شأن ابنائي الروحيين لذا اعين لجنة لينفق بمعرفتها هذا الذهب وهم ، السيد (جولا مالي) والسيد (رحيم تولا) والسيد (تامالي مانجي) والسيد

(محمد علي مكلاوي) والسيد (اسماعيل جعفر) فعليهم ان يختاروا أحسن وأنجع الطرق لاستخدام دخل هذا الذهب في رفع مستوى الاسماعيلية عن طريق منح المساعدات للنازحين من المقاطعات المكتظة بالسكان ولمساعدة الأطفال وغير ذلك من المشاريع الخيرية والحيوية ، وأعيد وزن سموه ثانية بالذهب في نيروبي سنة ١٩٣٧ م . وفي سنة ١٩٤٦ .

احتفل بيوبيل سموه الماسي في مدينة (بمباي) وفي مدينة (دارالسلام) بافريقيا ، قد حضر هذا الاحتفال عـدد كبير من الاسماعيليين قدموا إلى مدينة بمباي من مختلف أنحاء العالم ، وكان وفد الاسماعيلية السوريون مؤلفاً من السادة الامير ميرزا مصطفى وكيل سمو آغا خان في سوريا والامير غالب سليم مكي عن الطائفة الاسماعيلية في سوريا والامير محمد ملحم ناظر الدعوة الاسماعيلية في سوريا والسادة حسين القطريب ، مصطفى ورده ، اسماعيل عزيز عجوب ، اسماعيل الحايك ، علي القصير ، عبد الله النظامي ، الشيخ أحمد سلمان ، والشيخ أحمد الحاج ، وعادوا بعد تلك الاحتفالات مزودين بالارشادات العظيمة والأموال الكثـيرة لتنفق على المشاريع الحيوية في سوريا كما سمح سموه بأمواله لمدة عشر سنوات لتنفق على بناء المدارس والمساجد الاسماعيلية في سوريا .

ولا بد لنا من القول بأن الامام آغا خان قد هيأ وأعد بنفسه جميع الوسائل والأسباب الكفيلة بنهوض الشبيبة الاسماعيلية علمياً وخلقياً واجتماعياً فعمل على تشجيع الجمعيات الخيرية والاجتماعية والاقتصادية والدينيـة .

وعندما عقد المؤتمر الاسلامي في تموز سنة ١٩٤٦ ميلادية بمدينـة (مومباسا) برئاسته قرر أن تنشأ جامعة اسلامية في مدينة (تانفانيكا) على غرار الجامعة الامريكية في بيروت .

وقد تجلت عظمة الامام (آغا خان) في معاضدته للثقافة والتعليم ولم

يكتف بمساندة المؤسسات الاسلامية فحسب بل تبرع ووهب المبالغ الطائلة للمؤسسات الهندية والمسيحية في الهند ، وقدم المساعدات الكبيرة للمدارس والمؤسسات الثقافية المنتشرة في الهند والتي أنجبت جيلا جديداً من الفتيان والفتيات الذين ينتسبون للطائفة الاسماعيلية ، وقد أعار الناحية الاجتماعية جل اهتمامه فتبوأت الاسماعيلية بفضله مركزاً اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً ممتازاً في الهند والعالم أجمع ودأب على تشجيع الزواج المبكر لخلق جيل قوي بجسمه ومؤمن بعقيدته المثلى .

أما في الحقل الديني فأعماله اكثر من ان تحصى أو تعد ، فهو أول من فكر بايفاد بعثة تبشيرية اسلامية لليابان ، وبالفعل قد فاتح المرحوم الشيخ محمد المرابي في سنة ١٩٣٩ قبل نشوب الحرب الثانية بأمر إرسال بعثة إلى اليابان يكون الامام والشيخ على رأسها وتكون مهمتها الاتصال (بالميكادو) وأن يعرض عليه لقب خليفة مقابل اعلان اسلامه ، ولكن هذا المشروع لم يتحقق بسبب نشوب الحرب وانقطاع المواصلات ، ولسموه كثير من المؤلفات الضخمة التي تبحث في شتى نواحي الحياة في لغات متنوعة منها كتاب (قضية الهند) وكتاب (الاسلام وأوروبا) وكتاب (نور مبين حبل الله المتين) وغيرهما من الابحاث الشيقة والمقالات المتنوعة في الاقتصاد والاجتماع والثقافة والسياسة .

وسموه يجيد اللغات الشرقية والغربية من الهندية والفارسية والعربية والتركية ، والانكليزية والفرنسية والايطالية ، والالمانية وغيرها من اللغات العديدة كل هذا بدون أن يدخل أي مدرسة أو يتلقى علومه في أي معهد ، وقد تلقى تعليمه الأول على أيدي والدته التي علمته تعليماً صحيحاً فجعلته يتقن اللغات الاوروبية والعربية والفارسية ثم الانكليزية والفرنسية وتلقن تاريخ بلاد فارس على يدي والده كما انمى فيه الرغبة

في الاطلاع على تاريخ وانتاج كبار الشعراء والادباء والفلاسفة والعلماء ، وتلك الرغبة جعلته يميل لدراسة الأدب الشرقي ، وأول كتاب طالعه وهو في السنين الأولى من حياته كتاب (تاريخ ازماننا) لمارك كارني ، ودرس كتابات أبلغ المؤرخين وأشهر الروائيين والفلاسفة الغربيين والشرقيين وشغف بالدراسات التاريخية المتعلقة بالخلفاء المسلمين الاقدمين ، وتعمق في دراسة الفلسفة وعلم اللاهوت والفقه ، وسوف يستغرب القارىء هذه الأقوال ويقول اذن ما السر في اجادته كل هذه اللغات والعلوم ؟ وهل من المعقول أن يصل اليها انسان بدون مدرسة ؟ اننا نجيب على هذا السؤال بقصة نرويها لعلها تعطي القارىء فكرة عن هذا السر !

في حفل عظيم ضم نخبة من كبار عظماء العالم في قصر (بنغهام) ويوم تتويج الملك (جورج الخامس) وكانت بين الحاضرين والدة سمو (آغا خان) الاميرة شمس الملوك وولدها الامام آغا خان فتقدم الملك البريطاني من الأميرة الوالدة ووجه اليها السؤال التالي :

ايتها الاميرة انني معجب بذكاء وثقافة ولدك ، أين تلقى علومه وكيف تسنى له إجادة معظم لغات العالم كأبنائها ؟

فابتسمت الأميرة وقالت : ان ولدي قد تعلم ودرس في مدرسة الزمن العالمية

نعم أيها القارىء الكريم لقد تعلم الامام آغا خان واختبر الحياة فعلم باطنها وظاهرها وتوصل الى معرفة ما تشكو منه البشرية .

وزار الامام آغا خان مجلس العموم البريطاني في ذلك الوقت وقد احدثت تلك الزيارة ضجة كبرى في الصحف البريطانية وخطب رئيس المجلس مرحباً بسموه فقال : إن مجلس العموم البريطاني يرحب بزائره سمو السلطان محمد شاه (آغا خان) ويقدر خدماته العظيمة في جميع

الحقول ويحفظ له أسمى الشكر والتقدير لما يقدمه من خدمات عظيمة للهند وللبشرية جمعاء .

أن الإمام (آغا خان) واحد من اولئك القادة الذين عرفوا الاهمية التي ترتكز عليها (جمع وتنظيم المسلمين الهنود) في هيكل سياسي قوي وقد كرس جهوده لتحقيق هذه الفكرة وكانت النتيجة ان شكلت جمعية اسلامية مثلت فيها جميع الطوائف الاسلامية الهندية ، والجمعية الآن بحاجة الى قائد حكيم يعرف كيف يقودها في وسط هذا الخضم من العواصف والتيارات السياسية العالمية ، وكان اذا ما داهمتهم ازمة يتلفتون دائماً الى صاحب السمو (آغا خان) ويسألونه ان يقبل توسلاتهم ويرأس جميع الجمعيات الهندية الاسلامية ، وقد تمكن سموه من رفع مستوى هذه الجمعيات وقدم لها المساعدات الكبيرة والارشادات العظيمة ، وسموه لا يألو جهداً في سبيل توطيد العلاقات مابين الهندوس والمسلمين ، وكان ينوي أن يجمعهم على صعيد واحد ، وتوفق كثيراً في هذا المضار حتى انه أدخل عدداً كبيراً من الذين ينتسبون الى الطائفتين في دور الايتام وفي المؤسسات العلمية والاجتماعية والصحية .

ووجه الامام سلطان محمد شاه اهتمامه الزائد للعناية بشؤون أتباعه الاسماعيليين في سوريا بعد أن تأخرت احوالهم وسيطرت عليهم التفرقة لما لاقوه من ظلم واستبداد في عهد الولاة العثمانيين الذين اذاقوهم الويلات وشردوهم في مختلف المناطق السورية بعد أن حرموا عليهم مزاولة شعائرهم الدينية ، وصودرت اموال الزكاة والخمس في مدينة طرابلس الشام بينما كانت بطريقها الى بيت الدعوة الاسماعيلية في مدينة (بمباي) الهند ، واتهم الاسماعيليون بالتآمر على سلامة الدولة العثمانية

والقي القبض على كبار رجالات الدعوة في سوريا ومشائخها ونقلوا جميعاً الى سجون دمشق ليحاكموا في التهمة المنسوبة اليهم ، وأغار الجنود العثمانيون بمساعدة أحد الخونة من سكان السلمية على المدينة فنهبوا المنازل واغلقوا بيوت العبادة وحظر على الاسماعيلية (إقامة الصلاة) واستولوا على خزائن مال الخمس والزكاة واخذوها مع جميع ما فيها من أموال الى مدينة حماه حيث فككوا اقفالها وبعثروا محتوياتها حسب أهوائهم .

توسط الامام دولياً وطلب من السلطان العثماني أن يعيد الأموال المسلوبة وان يمنح أتباعه الاسماعيليين كامل حريتهم لمزاولة شعائرهم الدينية ، وان تفتح مساجدهم بأسرع وقت ممكن .

وافق السلطان العثماني على هذه المطالب واعداً بمنح الاسماعيلية جميع الحقوق التي فقدوها ، أما بشأن الاموال التي صودرت منهم فقد ادعى بأن والي دمشق قد أنفقها على بناء المدرسة الزراعية في السلمية .

ومع هذا لم ينفذ السلطان وعوده فلبث الاسماعيليون في سوريا يقاسون الظلم والاضطهاد العثماني حتى زالت الدولة العثمانية من الوجود .

وبعد ان وضعت الحرب اوزارها تنفس الاسماعيلية السوريون الصعداء واستبشروا خيراً الا ان الاسماعيليين الذين يقطنون الجبال السورية الغربية (القدموس — الخوابي) قد تعرضوا لهجمات النصيرية عام ١٩١٩ ميلادية ونهبت مواشيهم واضرمت النيران في منازلهم ، وبالرغم من ان الاسماعيلية كانوا عزل من السلاح فقد دافعوا دفاعاً قوياً وتمكنوا من دحر تلك العصابات المجرمة وردهم على أعقابهم خاسرين ، وفي ٢٨ آب ١٩١٩ م. تدخلت السلطات الفرنسية الموجودة في اللاذقية لفض هذا النزاع وعقدت اجتماعاً بين المتخاصمين في قرية (الشيخ بدر) ونتيجة

لذلك الاجتماع شكلت لجنة خاصـــة لتقدير الخسائر التي لحقت بالاسماعيلية ولكن تلك اللجنة عجزت عن اعادة أي شيء للاسماعيلية ، وفي ١٢ أذار سنة ١٩٢٠ ميلادية هاجمت العصابات النصيرية التي يقودها الشيخ صالح العلي مدينة (القدموس) وحاصرها عدة أيام أظهر خلالها الاسماعيلية بأنهـــم يستحقون بجدارة أن يكونوا احفاداً للحسن بن الصباح وسنان راشد الدين لمـــا اظهروا من تضحية جسيمة في الدفاع عن مدينتهم ، وأخيراً نفذت ذخيرتهم ومؤنتهم فاضطروا للاستسلام ، ومـــا كادت تلك العصابات تحتل البلدة حتى عملت فيها نهبـــاً وسلباً وتقتيلاً ، وغادر النساء والاطفال الاسماعيلية المدينة حفاة عراة باتجاه السلمية ، وبعد ان دخل الشيخ صالح العلي قدموس واحتل قلعتها أمر أفراد عصابته أن يأتوه بجميـــع ما يعثروا عليه من مؤلفات اسماعيلية أثناء تفتيش المنازل ، وأمر بأن تجمع المؤلفات وتحرق حتى لايستفيد منها أحد وهكذا قـــد قضي على المكتبة الاسماعيلية السوريـــة قضاءً مبرماً .

وفي ١٧ نيسان سنة ١٩٢٠ ميلادية تجمع الاسماعيليون من كل حدب وصوب وهاجموا مدينة القدموس وتمكنوا من احتلالها واجـلاء العصابات عنها ومطاردتهم حتى اعتصموا في الجبال والمعاصي الصعبة المسلك .

وأخيراً انتهت تلك الحوادث الدامية اثر دخول الجيوش الفرنسية الى البلاد فاستتب الأمن وعاش الجميع بسلام ووفاق ، وقد منحت الاسماعيلية كافة الحريات التي فقدوها ابان الحكم العثماني وافتتحت مساجدهم واصبحوا يزاولون شعائرهم الدينية بدون خوف أو وجل ، لأن دستور البلاد قـــد صان للجميع حرية المعتقدات الدينية وكفل للفرد حق التعبير عن ارائه ومعتقداته ضمن القانون .

وشكل وفد من رؤساء الدعوة الاسماعيلية في سوريا ، ذهب ال، الهند

ومثل بين يدي الامام الحاضر وعرض عليه اوضاع الاسماعيلية في سوريا ، وقد استقبلهم الامام استقبالاً حاراً وأخذ مطالبهم بعين الاعتبار ودرسها دراسة وافية ، ثم زودهم بتعاليمه وارشاداته ونصائحه وخصص لهم المبالغ الطائلة لتنفق على تنفيذ المشاريع الحيوية التي أمرهم أن يوجدوها في بلادهم ليتمكنوا من النهوض من كبوتهم التي طال أمدها واللحاق بركب الحضارة المسرع .

عاد الوفد يحمل تعاليم وارشادات ومشاريع كثيرة كانت اكبر عوناً له في اداء مهمته ، وقد شكلت لجنة خاصة للاشراف على تسيير أمور الاسماعيلية في سوريا ولتنفيذ المشاريع التي أمر بها حاضر إمام .

وتلك التعاليم تكفل للفرد الاسماعيلي حق التعلم والمداواة على حساب صندوق الطائفة . وشيدت عدة مدارس في منطقة السلمية بالاضافة للمدرسة الزراعية التي بنيت بأموال (اغا خان) وتأسست في الخوابي المدرسة المحمدية الكبيرة وبدأ التدريس فيها سنة ١٩٣٠ ميلادية ، وهكذا تحسنت اوضاع الاسماعيلية بفضل رعاية وارشادات حاضر امام وتعاليمه القيمة التي كفلت لهم مستقبلاً زاهراً وتقدماً مستمراً ، وكان دائماً يرسل لهم الأوامر والتعاليم بواسطة (الفرامانات) بصحبة نجله الاكبر الأمير علي ولي العهد الذي كان يزور سوريا لتفقد شؤون أتباعه من حين لآخر .

وفي برهة وجيزة اصبحت المدارس الاسماعيلية منتشرة بكثرة في منطقة السلمية والخوابي ، واقيم في السلمية بناء حديث على انقاض المدرسة الابتدائية السابقة ليكون مدرسة تجهيزية كبرى تستوعب اكبر عدد ممكن من الطلاب وبذلك نشطت الحركة العلمية وأقبل طلاب المعرفة على ارتياد المدارس المنتشرة في جميع القرى الاسماعيلية ، فازداد عدد المتعلمين وتحسنت

اوضاع الشعب ، ونشطت الزراعة والتجـــارة والصناعة ، واصبحت منطقة السلمية في حركة دائمة تعج بعدد ضخم من الطـــلاب والعمال والمزارعين الوافدين اليها من مختلف البلدان السورية . ووجهت اللجنــة الاسماعيلية العناية الزائدة (لدور العبــادة) فأسست المساجد الكثيرة في كل بلدة وقرية اسماعيلية ، وقد بنيت تلك المدارس والمساجد على أحسن طراز وبأموال سمو حـــاضر إمام سلطان محمـــد شاه ، ولا تزال المشاريع والمؤسسات في السلمية والخوابي تزداد يوماً بعد يوم وسنة بعـــد اخرى وكل ذلك بفضل ارشادات وتعاليم وحنو وعطف الامـــام الروحي . والحركة الاسماعيلية على العموم تتمتع بمـــنزلة سامية في الشرق والغرب ، وسمو حاضر إمام يغذيها دائماً بنصائحه وارشاداته القيمة ويشرف بنفسه على كل صغيرة وكبيرة من شؤونهم وينصف المظلوم ويعاقب الظالم بروح العدل والمساواة ، وقد تمكن بارادته الحديدية ونظرته البعيدة ان يحرر العقول من وهدة الجهل والجمود ، فكانت قيادته ووحيه سبباً في اشعال نار ثورة فكرية تقدمية تتلاءم مع روح العصر واصبح كل اسماعيلي محباً للخير والسلام والتضامن بعيداً عن التعصب الطائفي والعرقي ، كيف لا والعقيدة الاسماعيلية عقيدة المثالية في العالم ولا بد لنا من الاتيان على ذكر بعض الاختلافات الداخلية التي حدثت بين صفوف الاسماعيلية السوريين نتيجة للتطورات السياسية ولانغماس بعض الرؤساء في التيــارات الحزبية السياسية ، وسرعان ما فض ذلك النزاع عندما شرف الى سوريا حاضر إمام في الساعة الثانية عشرة والنصف من يوم الثلاثاء في الثامن والعشرين من شهر شباط سنة ١٩٥١ ميلادية ، ولبث في مدينة دمشق ضيفاً على الحكومة السورية خمسة أيام درس خلال اقامته اوضاع اتباعه الاسماعيليين وزودهم بتعاليم وارشادات كان لها أكبر الاثر في دعم نهضتهم الحديثة ،

ومن اقواله في اليوم الاول عندما شاهد الجموع المحتشدة أمام فندق الشرق بانتظار مشاهدته : انني سعيداً جداً برؤيتكم وبهذه الحفاوة التي استقبلتموني فيها وآمل أن اجتمع بكم في مكان فسيح ظهر هذا اليوم لاتمكن من تزويدكم بنصائحي وبركاتي الأبوية .

وفي تمام الساعة الخامسة اجتمع بأتباعه الاسماعيليين في الملعب البلدي بدمشق ، وبعد أن باركهم جميعاً القى فيهم الكلمة التالية :

ابنائي الروحيين المخلصين : تجردوا عن المعاصي ، واتبعوا طريق الحق ، واسلكوا السبل القويمة ، وتجنبوا البغضاء والحسد والتنافس والغيبة والنميمة والضغينة والتواكل ، واطيعوا حكومتكم واخلصوا لها ؛ فالاسماعيليون في جميع البلدان التي يقطنونها سباقون لكل عمل صالح ، ويسرني جداً ان تكونوا في هذه البلاد على أحسن حال من التقدم في العلم والصدق في العمل ، واعلموا ان لا نجاح لكم الا بالتقيد بالأوامر الحقيقية التي تصدر عنا ، واياكم والكسل في اداء فروض العبادة الواجبة عليكم وعلى الموظفين الدينيين ان يعملوا باتحاد واخلاص سوية لصالحكم ولمنفعتكم .

ابنائي كنت قد سمحت لكم باموالي لمدة عشر سنوات وسأصدر اليكم اوامر جديدة بهذا الشأن ، أطيعوا الحكومة واخلصوا لها ، وابذلوا دماءكم في سبيل المحافظة على سلامة ارضكم . انتم جميعاً اولادي وانا ابوكم الروحي ادعو لكم بالخير والبركة والسعادة في الدارين .

وبعد ان ختم خطابه الكريم طاف على الجموع مباركاً ، وامرهم ان يحضروا لنفس المكان في تمام الساعة العاشرة من اليوم الثاني ، وفي المساء سمح لبعض رؤساء الطائفة الاسماعيلية بمقابلة خاصة دامت ما يقارب الاربع ساعات ألقى خلال هذا الاجتماع ، بعض النصائح والتعليمات التي من شأنها أن تضع حداً للخلافات السياسية المستعصية ، ولقد وعدوا

سموه بانهم قد تناسوا الماضي بكامله ، غير ان سموه اصر على ان يتقدموا اليه في اليوم الثاني مع جميع اعضاء اللجنة الاسماعيلية العليا وذلك في تمام الساعة العاشرة صباحاً . وفي الوقت المعين اجتمع سموه برؤساء الدعوة في سوريا وبلغهم التعليمات والارشادات التالية : بدأ سموه يتحدث ويتدفق كالسيل ، وانطلقت العبارات الروحية من فمه المقدس تردد صداها القلوب المؤمنة والنفوس المنتشية بنشوة الروح وشرع القول :

اني آمل بأن لا تكون زيارتي هذه الزيارة الأخيرة لبلادكم وأعدكم بأنني سأزوركم في مناسبة اخرى ، وقد آلمني واحزنني تفرق صفوفكم وتبعثر كلمتكم واعتقد بأنكم تجهلون التنظيمات ، والتقسيمات المتبعة عند اخوانكم في افريقيا ، والهند وبقية بلدان العالم ، والشرط الاساسي لرقيكم هو تطور اللجنة العليا وبعثها من جديد لكي ترافق ركب الحضارة الذي يسير قدماً نحو الازدهار ويجب ان يعمل كل منكم بروحه وقلبه مخلصاً لعمله ، وعقيدته ، وطائفته و اذا لم نعمل من قلبنا وروحنا ، لا نستطيع ان نجاري العالم المتمدن ، ونبقى متأخرين ، واعلمكم بأن التنظيمات الدينية تختلف من حيث القيمة والجوهر عن التنظيمات السياسية ، فالتنظيمات الدينية بحد ذاتها وضعت على اساس خدمة الامام ، ويجب ان تبقى بمعزل عن التيارات السياسية والا يكون هنالك أي تباين في وجهات النظر فلا تتعرض للتهديم والتحطيم ، واذكركم بالاعمال الجليلة التي قام بها آباؤكم واجدادكم رغم الاضطهادات والتشريد الذين تعرضا لها ابان الحكم العثماني ، ومع هذا فقد بقوا محافظين على عقائدهم مخلصين لبعضهم متضامنين ، فكيف الآن والحكومة حكومتكم وقد اصبحت الحرية مصونة ومحترمة ، تدعمها أنظمة وقوانين عالمية ، وأهيب بكم بأن تتمسكوا بالمبادىء السامية المستقاة من العقائد الاسماعيلية وتعلموا

لتطبيقها بحذافيرها وتؤمنون بها واعلمكم بأنني قد عفوت عن الماضي وساحاسبكم عن كل خطيئة او هفوة ترتكبونها في المستقبل ، ويجب ان تبعثوا من جديد وتعملوا متفانين بروح جديدة لرفع مستواكم الاجتماعي العلمي الاقتصادي وعلى اللجنة العليا الآن ان تقدم استقالتها واعتبرها مستقيلة ، واوكل الى الموظفين الدينيين الشرقيين والغربيين أمر انتخاب أعضاء اللجنة من جديد على أساس اللوائح ، على ان تقدم تلك اللوائح في مساء هذا اليوم (١) . وبعـــد انتهاء هذا الاجتماع تشرف بمقابلته مؤلف هـــذا الكتاب فتحدث اليـه حديثاً طويلاً عن الشؤون العربية الاسلامية فقال :

ان الأهمية الكبرى التي اعلقها على اتخاذ دولة الباكستان قرارها الهام بجعل اللغة العربية لغتها الرسمية ، وقال ان هذا القرار يوثق الصلات الفكريـــة ، والثقافية والاجتماعية والسياسية بين هذه الدولة الاسلامية الكبرى وبين العالم العربي الاسلامي ، ومن رأيي ان تتخذ جميـــع الدول الاسلامية من اللغة العربية لغة رسمية لهـــا .

وتحدث عن الثروات المعدنية التي تنطوي عليها المناطق العربية فقال : ان من واجب حكام البلدان العربية تقدير الثروات البترولية الضخمة في بلدانها وانتهاز الفرصة السانحة ، فرصة حاجة العالم الغربي لهذه المـــادة الضرورية في جميع مرافق الحياة ، وعدم السماح بتبديدها بما لا يدعم النواحي الاقتصادية والصناعـــة الوطنية في سبيل انعاش البلاد وزيادة الانتاج الصناعي ورفع مستوى الشعب المعاشي والاجتماعي . وان هذه الفرصة ربما لا تسنح في المستقبل بسبب اتجاه العالم الحديث لاستعمال الطاقة

(١) من كتاب آغا خان في سوريا ص - ١٠ - ١١ - ١٢ تأليف مصطفى غالب .

الذرية في تسيير البواخر والطائرات والمصانع ووسائل النقل مما يجعل البترول يفقد قيمته ، واما الثروات الطبيعية في البلاد العربية فبالامكان انشاء سدود جبارة ما بين النهرين (دجلة والفرات) للاستفادة منها في الري وتوليد الطاقة الكهربائية التي تستخدم للتنوير وتحريك المصانع وتسيير القاطرات ، وان منطقة ما بين النهرين كانت تسد حاجات ثمانين مليوناً من البشر، وانتقل سموه الى الحديث عن الأوضاع العربية فرحب بكل اتحاد يجمع كلمة العرب وقال ان الوحدة العربية لا تتعارض مع أهداف الوحدة الاسلامية واني شخصياً من دعاة الاتحاد الاسلامي ، والوحدة الاسلامية ليس معناها فرض دين معين على جميع السكان أو التفريق في المعاملة بين المسلمين وغير المسلمين واوضح بأن الطوائف الأخرى في ظل هذه الوحدة يجب أن تتمتع بجميع حرياتها ، وانهى حديثه بأن نصح الدول العربية ان تتحد فيا بينها قبل كل شيء وان تعمل على تقوية نفسها في الناحية العسكرية ودعم اوضاعها الاقتصادية والمالية ورفع مستوى المعيشة وتعميم التعليم ، ومتى تحقق ذلك أمكنها ان تكون من القوة في الوسط الدولي بحيث تضمن مصالحها وتعزز مكانتها ، وفور انتهاء هذا الحديث مثل بين يديه وفد يمثل الطلاب الاسماعيليين وقد زودهم بالارشادات التالية :

أيها الطلاب ، انتم أمل الطائفة وعلى عواتقكم تقع مسؤولية انقاذ الطائفة ورفع مستواها العلمي والفكري واهيب بكم ان تتعمقوا في دراسة التاريخ الاسماعيلي والعقائد الاسماعيلية ، واملي ان يكون لدى الطائفة الاسماعيلية ، في سوريا جيل جديد يعمل في جميع نواحي حياتها ؛ وانني لا أحب ان تتوجهوا بكليتكم الى دراسة المواد السطحية الفارغة كالحقوق مثلا بل عليكم ان تدرسوا المواد العلمية كالزراعة ، والاقتصاد

والهندسة ، والعلوم ، والسياسيه ، والتاريخ ، وان السبب الرئيسي لتأخر الاسلام عن الغرب هو اتباع التقليد السطحي ، والتمسك بالقشور دون الجوهر ، وان من واجب المسلمين في هذا الوقت اذا ما ارادوا السير جنباً الى جنب مع موكب الحضارة المسرع في تقدمه ونموه ان يجعلوا هدفهم الابتكار والتفوق العلمي والاجتماعي ، فبالعلم الصحيح وحده تنهض الامم .

وفي الساعة الحادية عشر قبل ظهر يوم الجمعة قصد سموه الى الملعب البلدي (المرج الأخضر) بدمشق وبعد ان بارك الجموع المحتشدة القى فيهم الكلمة التالية نقلها مرافق سموه نائب الطائفة الاسماعيلية في سوريا المغفور له الأمير عبدالله التامر قال :

أبارك الموظفين والجماعات ، انكم تحبونني كما يحب الولد اباه وانا احبكم كما يحب الوالد ولده بل اكثر مما تحبونني وأبارك الأولاد والاطفال جميعهم الذين هم اولادي وانا مسرور جداً لوجودي بينكم .

وهنا من الصعب على كل شخص منكم ان يقبل يدي ولكن في الزيارة القادمة سأمكن الجميع من تقبيلها ، ومن اجل مستقبلكم سأهيء لكم مجلساً دينياً غير سياسي ، وهذا المجلس يفيدكم في الدنيا والآخرة بشرط ان تخلصوا في عملكم وتطيعوا اوامر هذا المجلس ، وان كان الآن في دور الطفولة الا انه سينمو حتى يصبح اكثر قوة من هذا (الجبل الاشم) واشار الى جبل الصالحية ، وكتجربة اعددتها في هذه السنة قد قررت ان تبقى الاوضاع كما كانت عليه سابقاً ويضاف الى اللجنة ناظراً كان قد رفع اسمه وهذا المجلس الذي اعيد الى ما كان عليه اعطى الفرصة مجدداً لمدة سنة واحدة فعلى اعضائه ان يبرهنوا على الحافز الجديد الذي يدفعهم الى العمل المثمر المنتج وليبرهنوا ايضاً على ان الروح

الجديدة غير تلك الروح التي رافقتهم طوال هذه المدة ، ويجب ان تكون الالفة والمحبة سائدة جميـــع اعماله ، واللجنة المكلفة بجباية اموال العشر هي المسؤولة عن رفع المستوى الفكري والثقافي في هذه المنطقة وتتشكل من المكي الأمير غالب سليم والطاهر الأمير أحمد ميرزا ويضاف اليهما الشيخ محمد مقصود ، وهذه اللجنة تنحصر مهمتها بجباية الأموال وايداعها في احد المصارف وتنفق منها على نشر الثقافة ورفع المستوى الاجتماعي باسمي وتحت اشراف المجلس المحلي الأعلى ، واني واثق بانهـا ستؤدي عملها بكل نزاهة وامانة وستكون المدارس تحت اشرافها وتنفق عليها ويتألف المجلس الأعلى من السادة :

الوكيل : الأمير ميرزا مصطفى

الوارث : الأمير سليمان العلي

المـــكي : غالب سلـــيم

الكامريا : الأمير احمد ميرزا

المـــكي : الشيخ احمد الحاج

الكامريا : الشيخ أحمد سليمان

الناظر : الأمير محمد ملحم

الناظر : الأمير مصطفى التامر

الناظر : السيد مصطفى وردة

الناظر : محمد أسعد طهور

عضو : السيد محمد علي ناصر

عضو : السيد عبد الكريم شربا

عضو : السيد علي أمين الجندي

ويجتمع هذا المجلس بكافة أعضائه ويعتبر اجتماعه رسمياً اذا وجـد

نصف الأعضاء أي أن باستطاعته أن يتخذ القرارات[١] ويطلع الجماعات عليها بعد كل اجتماع . وهـذه الطريقة ستستمر عشر سنوات وسيضاعف التوفيق سنة بعد سنة .

وهذا الاسلوب غير مبتكر ولا جديد بل هو موجود منذ عشرين عاماً في افريقيا الشرقية والباكستان وبورما وآسيا الوسطى وايران والصين وقد لاقت الجماعات هنالك نجاحاً باهراً بواسطته ، ويحق لهذا المجلس أن يجتمع مرة واحـدة في كل شهر ويستطيع أن يجتمع عشرات المرات ليتمكن من انجاز أعماله وعلى الكاتب أن يسجل جلسات هـذا المجلس بسجل خاص . فاذا سرتم في تطبيق هذه الخطة ، ستلاقون نجاحاً كبيراً وستبلغون ما تريدونه وتطمحون اليه ، وبذلك تكونون قد أطعتم أوامرنا ؛ فتلاقون البركة في هذه الدار وفي دار الآخرة ، وعلى اللجنـة والمجلس اتخاذ التدابير الآتية :

١ ـ الاعتناء بالمساجد لتظل أهلاً لما وضعت من أجله .
٢ ـ التعليم الديني من اناث وذكور مع لمحة عن التاريخ الاسماعيلي .
٣ ـ انشاء المدارس وتعميرها للذكور والاناث .
٤ ـ إيفـاد البعثات العلمية على نفقة بيت المال من اناث وذكور وسيكون ذلك بطريق الامتحان لا بطريق الانتقاء .

ثم قال : أيها المؤمنون الموحدون .

تجنبوا التواكل والكسل وتمسكوا بالتعاليم والارشادات واعتنوا وحافظوا على صحتكم عن طريق رفع المستوى الصحي وان يكن بالنسبة لما شاهدته انكم لستم بحاجة الى طبيب ، الكل بصحة جيدة ، ساعدوا العجزة واليتامى

---

(١) من كتاب آغا خان في سوريا تأليف مصطفى غالب ص ١٦ ـ ١٧ .

الذين لا معيل لهم لأن من واجب الاسماعيلي أن يعيل من لا معيل له ، ويجب أن لا يغرب عن بالكم بأن هذه المشاريع لا يمكن أن تتحقق ولا يكتب النجاح لهـذه النهضة الاصلاحية الا إذا دفعت ضريبة العشر ، والعشر هذا تضحية جزئية واجبة على كل اسماعيلي يعتقد ولايتنـا ويخلص لنا .

وبعد أن أنهى تعاليمه وارشاداته تقدم مؤلف هذا الكتاب وطرح على سموه الاسئلة التالية :

س : لقد أمرتم بتعليم المرأة وتثقيفها فكيف يتلاءم هـذا مع وضع المرأة الاسماعيلية المحجبة ، وهل يتفق الحجاب مع العلم ؟

جـ ـ ان الحجاب يتعارض والعقائد الاسماعيلية ، واني أهيب بكل اسماعيلية أن تنزع نقابها وتنزل إلى معترك الحياة لتساهم مساهمة فعالة في بنـاء الهيكل الاجتماعي والديني للطائفة الاسماعيلية خاصة وللعـالم الاسلامي عامة وان تعمل جنباً إلى جنب مع الرجل في مختلف نواحي الحياة أسوة بجميع النساء الاسماعيليات في العالم ، وآمل في زيارتي القادمة أن لا أرى أثراً للحجاب بين النساء الاسماعيليات ، وآمرك أن تبلغ ما سمعت لعموم الاسماعيليات بدون ابطاء .

وقبل أن يغادر سموه سوريا قال : لقد كنت مسروراً جـداً من زيارتي لأقدم عاصمة في التاريخ ، فدمشق مدينة الاسلام ومنبع الحضارة وحجة كل مسلم وعربي . وقبل أن يستقل الطائرة التي تقله إلى مصر تقدم رئيس مجلس الوزراء السوري وقلد سموه أكبر وسام في الدولة السورية وهو (وشاح أمية الأكبر) بين التصفيق والهتاف .

رأي الامام آغا خان في قضية المرأة :

كان سمو آغا خان ممن طالبوا بمنح المرأة حقوقها التامة والمساواة في المعاملة مع الرجل كما حث على رفع منزلتها واعتبر المرأة أهم من الرجل من الناحية الطبيعية ، وفي كتاباته وخطبه أظهر بأن التجارب قد أكدت بأن للمرأة تأثير في المجتمع كونها تجلب الخير والبركة لمملكتها (البيت) إذا توفرت لها الحرية والمساواة ، ولها تأثير أعلى ومثالاً أنبل في الدولة . إذن فالمطلع على أحوال المجتمع الاسلامي عن كثب يعرف بأن حياته الروحية العالية تدين كثيراً للمرأة ، وان الوقت قد حان لكي تساعد الحكومات والمجتمعات الاصلاحية المرأة لتنال حقوقها التامة .
وقال سموه في تعليم المرأة :

ان المسلمين لن يتقدموا اذا لم تتعلم المرأة تعلماً صحيحاً وقال : لو كان لي أنا شخصياً ابن وابنة ولم يكن بمقدوري ان أعلم أكثر من واحد منها لعلمت الابنة التعليم العالي .

وسمو آغا خان يملك قصوراً كثيرة في جميع أنحاء العالم وطائرات حديثة من أفخر طراز وعدداً كبيراً من أحدث اصطبلات الجياد في العالم ويحتفظ بفصيلة جياد (هارات) التي تملكها أسرته منذ زمن بعيد ومنها ينتج أحسن خيول السباق المعروفة ، وقد نتج منها أخيراً الجواد المشهور (ركس) و (مالاف) و (افرنجر) وقد ربحت هذه الخيول أكبر الجوائز العالمية لسباق (دربي) .

والامام آغا خان يعد من أغنى أغنياء العالم إذ يقدر إيراده السنوي بمبلغ يتراوح بين ٦٠٠ الف و ١٠ ملايين دولار ، وقد قدرت مجموعة الجواهر التي يملكها بمبلغ ٢٠٠ مليون دولار . وعلى الاجمال فقد هيأ الامام

سلطان محمد شاه بنفسه جميع الوسائل والاسباب الكفيلة بنهوض الأمة الاسماعيلية علمياً واجتماعياً واقتصادياً وصحياً ، وعمـل على تشجيع التعاونيات الريفية وانشاء الجمعيات الخيرية والصناعية ، وشرع سموه بارسال كثير من البعثات العلميـة إلى انكلترا وامريكا وفرنسا ، وأسس لهم هناك بيوت الطلبة والنوادي الاجتماعية التي تقوي فيهم الروح التعاونية وتبعث فيهم الحيوية والنشاط ، ولا بد لنا قبل الانتهاء من حديثنا عن سمو آغا خان من أن نقدم للقراء هـذه القصة الطريفة التي تـدل على عطف سموه ومحبته للحيوانات .

حدث مرة ان أهداه أحد اصدقائه عصفورين من نوع نادر وضعا في قفص صنع من الفضة الخالصة ، وبعد عدة أيام ذهب مرسل الهدية إلى منزل سموه ليزوره فوجد ان هديته قد وضعت في مكان الشرف من حجرة الاستقبال ، وسره ذلك فذهب لمشاهدة العصفورين في قفصها ولكنه صعق عندما وجد في القفص الفضي عصفوراً واحداً بدلاً من عصفورين فصاح الزائر متسائلا ولكن أين العصفور الآخر يا صاحب السمو ؟

فابتسم الامام سلطان محمد شاه وقال :

لقد طار يا عزيزي ، فدهش مقدم الهدية وقال طار ؟ وكيف كان ذلك ؟

ففتح سمو (آغا خان) باب القفص واخرج العصفور الاخير ثم قـال للزائر انظر هكذا طار وطار العصفور الثاني ، ولسمو آغا خان نصائح وارشادات مشهورة فرضها على اتباعه الاسماعيليين فاصبحت بمثابة دستور لهم ومنها قوله :

ــ عليكم بالاقتصاد في شؤون دنياكم فما عال من اقتصد واني افرض عليكم الاقتصاد في معيشتكم .

– اكثروا من أكل الفواكه والخضار وقللوا من أكل اللحوم .

– تجنبوا الدخان والمشروبات الروحية لأنها تتلف المال وتنفث السم في الصحة .

– استبقوا شيئاً من معيشتكم ووفروا المال للمستقبل المجهول ولأيام العوزة والشدة .

– إقتنوا الاملاك والأراضي واستخدموا ثروتكم فيما يجلب اليكم المنافع مع مراعاة سلامة تلك الاموال .

– فكروا مرتين قبل أن تنفقوا قرشاً واحداً من مصاريفكم اليومية.

– لا تصرفوا شيئاً على طقوس الأموات والزواج ، وازهدوا في لذائذ الحياة الدنيا وادخروا شيئاً من نفقاتكم الشهرية وابتاعوا بهـا سندات شركات التأمين وأوراق الدولة المالية .

– على الاسماعيليين أن يمارسوا المهن الحرة ويسعوا لترقيتهـا بنشاط وجد والخلاص في العمل .

– اذا اقتصدتم في نفقاتكم بقصد التوفير عشتم سعداء أعزاء كرماء محترمين .

– مارسوا التجارة ولو بالقليل وامهروا فيها واحرصوا على الفرص للتوسع فيها فالظروف عصيبة .

– الصدق والدين والايمان بالله تعالى من دعائم الدنيا ولا قيمة للدنيا اذا فقدت احدى هذه الدعائم .

– أيهـا الاسماعيليون أنتم جنودي وأبنائي الروحيون فلا تضعوا من قدر أنفسكم ، لأن ابوكم الروحي الافضل إمام الوقت .

– تنافسوا في التمسك بتعاليمه وارشاداته والائتمار بأمره وأطيعوا إمام زمانكم واخلصوا له أشد من حبكم لأبنائكم واعملوا وفق أوامري تفلحون وتكون لكم السعادة في الدارين .

ـ التربية الدينية للانسان تصلحه والدين هو الفارق بين الانسان والحيوان ، لا تدخروا وسعاً في جعل الدين محبباً إلى قلوبكم وقلوب الناشئة من أبنائكم .

ـ الاسلام دين الاخوة والمساواة والصدق والصبر والمدنية ، ولولا التمدن الاسلامي لـــكان نصيب الدنيا البؤس والشقاء ، إن الدين الاسلامي وحده قد خول للفقراء والبائسين من أبنائه ان يقفوا في صفوف الأغنياء المتعجرفين .

ـ إذا كان لاحدكم ولدان أو اكثر فليختار لهم مكاسب شتى ولا يحشدهم في عمـــل واحد ، ودعوهم أن يكتسبوا الخبرة عن طريــق الوظائف قبل ان يشتغلوا بالاعمال الحرة ، تمسكوا بمـا أتلوه عليكم فإنه يفيدكم ويسعدكم .

ـ التآخي والاعتماد على النفس من مزايا ديننا الذي ينظر الى الغني والفقير والابيض والأسود والعربي والعجمي بنظرة واحدة .

ـ إعتنوا أيهـــا الاسماعيليون اعتناء تاماً في تهذيب بناتـكم ، ان تعليم البنات اهم واعظم من تعليم البنين ، يهتم بعض الاباء في تعليم أبنائهم طمعاً في الحصول على الغايات المادية البحته من ورائهم ، وتهمل امور بناتهم لانهم لا يرجون من وراء تعليمهم شيئاً ، وهذا خطأ فظيـع ، وجريمة لا تغتفر ، أهيب بكم وأحثكم على تعليمهن وتهذيبهن وتدريبهن على الاعمال الرياضية والصحية ، واخرجوا بهن الى الهواء الطلق ، انا أبوكم الروحي أبارك بناتكن ؛ فعلموهن حتى يبلغن الرابعة عشر مـــن عمرهن اذا استحال عليكم ان يكملوا علومهن .

إن هذا الزمان زمان تنازع في مرافق العيش ، والاليق هـــو

الذي يعيش سعيداً فأوصيكم ان تسيروا مع الوقت جنباً لجنب وتتكيفوا مع الزمن ولا تتريثوا مهما قطعتم من مراحل في التقدم والازدهار .

أبنائي الاسماعيليين يجب ان تتنور قلوبكم بنور الايمان ويسود صفوفكم السلام ، وتتوثق فيما بينكم أواصر المحبة والاخاء ، تلطفوا مع الجار ولو جار واحسنوا اليه ولو أساء ، عيشوا كراماً ولا تلطخوا ثوب عزكم بالعار وادرءوا عن انفسكم المذلة مجتمعين بكل ما أوتيتم من حول .

– أيها الاسماعيليون جدوا واجتهدوا في طلب العلم ومهما نلتم من شهادات عالية لا تدعوها تحول بينكم وبين التجارة والزراعة .

– إن اعظم خطر يهدد كل مواطن مسلم هـو تناول المشروبات الروحية التي برهنت الايام والحوادث على انها تضر بالروح والصحة ، وما حرمت عليكم الا لانها تحمل الشرور والمضار وخاصة لطائفة مثلكم ، وانتم في هـذه البلاد لا تستطيعون الاستغناء عن واحد منكم مهما كان الثمن لذا أحرم عليكم المشروبات الروحية فاجتنبوها تضمنوا متانة مركزكم الصحي والاجتماعي والديني .

– إن العوامل الرئيسية في تفرقة الشعوب البشرية هي النعرات الطائفية التي نراها قد انتشرت في بلادنا وبدأت نتائجها تظهر .

– حبوا وطنكم وجاهدوا في سبيله .

وهذه بعض التعليمات والارشادات التي خص بها ابناءه الروحيين في سوريا .

– على جميع الاسماعيليين السوريين ان يعملوا جنباً الى جنب متضامنين لاجل عقيدتهم التي تهدف بهم الى الوصول للهدف الاكمل والغاية المثلى .

– يجب ان تظل العقيدة الاسماعيلية بمعزل عن التيارات السياسية .

– لأن المناهج السياسية شتى ومختلفة وان اتباعها لا يقود الى

البغضاء والتنافر والتفرقة ، وهي وجدت لخدمة المواطنين كما هو الحال بين الامم والجمهوريات الديمقراطية ؛ ولا أرى مانعاً من اتباع المناهج السياسية بشرط ان يظل الرباط الروحي جامعاً لكافة الاسماعيليين .

ـ يجب ان تنفق اموالي التي وهبتها لكم في سبيل الثقافة والصحة والعمران ولتحقيق المشاريع الخيرية .

ـ على الاسماعيليين ان يتناسوا ترهاتهم ، ويتركوا انانيتهم واختلافاتهم التافهة ، ويبتعدوا عن الروح التعصبية الذميمة .

ـ المذهب الاسماعيلي مذهب المثالية في العالم ومن اراد منكم ان يكون مثالياً فليتبع هذا المذهب .

والآن نقدم بعض ما كتب عن سمو آغا خان :

نشرت مجلة (برافوا) الفرنسية حديثاً هاماً لسمو (آغا خان) بقلم الكاتبين الشهيرين جيروم وجان تاروا وذلك في السابع من كانون الثاني سنة ١٩٣٠ ميلادية الموافق ٧ شعبان سنة ١٣٤٩ هجريـــة ، قال الكاتبان :

كنا نعرف الامير (آغا خان) معرفة جيدة قبل ان نقابله ذات يوم في (باريس) فقد شاهدنا صورته الكبيرة مراراً عديـــدة لدى الاسماعيليين ابان زيارتنا الاخيرة الى سوريا ، ولا نزال نذكر تلك الصورة الكبيرة المحاطة باطار جميل ومعلقة في غرفة عبـادة الاسماعيليين الذين يسيرون على مذهب خاص ويعتبرون (آغا خان) إماماً لهم ومولاهم الكبير ، وقد اعتاد هؤلاء ان يجتمعوا في بيوت العبادة لاقامـة شعائرهم الدينية ويدفعون خمس ارثهم وخمس مواردهم ، واذا ولد لهم ولد يقدرون بانفسهم ما يجب ارساله لبيت المال ولم تبق صحيفة في العالم الا ونشرت الاخبار المفصلة عن زواج آغا خان الجديد ، آغا خان هذا الرجل

السماوي المحترم المقدس (ويسرنا كثيراً ان ننشر اليوم على صفحات (برافوا) حديثاً لم يتصل بإحد من قبل اليوم وهو الحديث الذي حدث به آغا خان زوجته الافرنسية في صباح اليوم الذي قرر ان تتم به حفلة زواجهما وهذا ما قاله لها بالضبط :

إبنتي العزيزة ..

انت لا تجهلين ولا ريب بأني أمير شرقي كبير . وأعتقــد بأنك تجهلين بأن آلافاً وآلافا من البشر يعتقدون بأن الاله متجسم فيّ تقريباً .

نعم ان هذا الأمر لا أهمية له هنا وأما في الهند وسوريا وايران والباكستان وبورما وسيلان وافريقيا له أهمية كبرى ، ونأمل ان نقوم سوية بزيارة قريبة لتلك البلاد لقضاء شهر العسل فيها وسوف تتأكدين بنفسك من ذلك .

وأرى من الضروري ان اذكر لك شيئاً عن مذهبنا الاسماعيلي ، ولو اني لا أود أن اخرجك عن دينك الذي اعتقد بانه هو الآخر سام .

إذن فاعلمي قبل كل شيء بانني منحدر من علي ، وهذا الاسم لا يعرفك بشيء الآن ، آسفاً – آسفاً آه ما اكثر الامور التي يجب أن أوضحها لك ولا اعلم من أين أبتدىء .

إن علياً قد تزوج منذ مئات السنين من إبنة عمه فاطمة بنت محمد الوحيدة ، ومحمد هو نبي الله ، وبعد ما مات العم (اي محمد) فكر أغلب المسلمين ان يبايعوا علياً من بعده فيصبح زعيماً للمؤمنين ، ولكن آه من الانسان ما أعماه ، فان الرجال لم ينظروا ويختبروا سجايا علي وأهليته للقيادة أو الخلافة ...

إن الخيرات والبركات التي جلبها علي لهذا العالم لم يستطع أي انسان ان يجلبها له .

ان علياً يا عزيزتي كان الشعر والحلم بعينيها عالماً بالسر الذي يوضح وجود هذا العالم ، ان علياً كان يعلم معنى وحيه السامي الخفي ومع هذا فقد قتله اولئك المجانين ، ولكن الوحي الذي جاء به لم يتوقف بل سار في الخفاء حتى وصل إلي ، وهذا العلم الخفي لا نذيعه الا شيئاً فشيئاً بالتفاهم المتوالي لان من واجب الحقيقة ان نحذر دائماً من المكائد وليس في وسع احد غير مؤمن ان يفهم الحقيقة في تركيبها السامي التام .

أما انت يا عزيزتي (اندريه) فأستطيع ان اخبرك بكل شيء .

اذن فاعلمي بأن الاله لا يوصف ولا يدرك فلنتركه على جنب الآن ، والذي يهمنا هو ان يظهر لنا باحدى صفاته ، صفة العلم بكل شيء ذلك الذي خلق نفس العالم ، تلك التي اتخذت شكل النفس الخاصة ، ولا أدري اذا كنت اجيد تفهيمك أم لا ..

إن في قولي هذا ذكرى للآراء الافلاطونية .

ان الروح والمادة تتعاونان دائماً مع النفس ولا يمكن لهذين المبدأين اللذين يؤلفانها أن يصلا بها إلى ما يسميه شركاؤنا في الاعتقاد .. (الطبقة الجاهلة منهم) الجنة والتي هي في الحقيقة وفي (رأي العقلاء المدركين) حالة النفس البالغة كما المعرفة الحقيقة .

فالارض ليست سوى مقام للنفوس التي لم تتوصل إلى هذه المعرفة العظيمة ، أما الأنبياء فعندهم هذه المعرفة والادراك والتأمين ، ودورهم الوحيد في هذه الدنيا هو ارشاد المخلوقات إلى دار السلام .

وفي هذا العالم على الدوام ممثل له بكل شكل معروف او مجهول مرئي أو غير مرئي ونحن نسمي هؤلاء المقربين من السماء أنبياء أو أئمة .

وحياة هؤلاء كحياة سواهم من البشر زائلة ولكنهم يظهرون تارة هنا وتارة هناك وأنا نفسي أيتها العزيزة من هؤلاء ... وعندما وصل سموه

إلى هذا الحد من حديثه ، أرخت الآنسة كارون جفنيها بلطف فابتسم سموه ابتسامة فيها شيء من الحلم الإلهي ، وقال : أأطلع هذه الحسناء الباريزية على أسس الاسماعيلية ، وهذا يكفي . هيا بنا يا عزيزتي لنذهب .

خطاب سموه في مجلس اللوردات[1]

في الثالث من نيسان سنة ١٩٣٠ ميلادية حضر سموه اجتماعاً عقد في مجلس اللوردات البريطاني للنظر في قضية الهند ، وبعد أن خطب الخطباء وتكلم أكثر زعماء الطوائف الهندية ورجالاتها وقف سمو آغا خان وقال :

أيها السادة !

لقد سمعتم رأي جميع الطوائف والاحزاب الهندية ، وأما إذا أردنا أن نبحث وندقق في جميع تلك الآراء لقلنا بأنهم قد أجمعوا على المطالبة بنظام كامل للحكم الذاتي في بلاد الهند .

ونحن نطلب منكم باسم الشعوب الهندية أن تعدونا بوضع إطار لهذه الصورة التي رسمناها لكم . وإذا كانت مطاليبنا لا تدعو إلى ارتياح بعض الأقليات الضئيلة أو لا ترضي بعض الأمراء أو أي فئة ضئيلة بالنسبة للجميع ، نعدكم بأننا سنحاول في المستقبل أن نرسم لكم صورة غير هذه الصورة ، وسنظل نحاول ونختبر حتى تظهر للجميع شيئاً يحوز على رضاهم وقبولهم وارتياح الرأي العام ، وأنا قبل سواي أود أن تكون الصورة التي نرسمها بشكل يكفل رضاء كل أقلية في الهند وخاصة العنصر التجاري البريطاني بأن مصالحهم قد أصبحت مصانة ومحفوظة ومؤمن عليها .

---

(١) نشر هذا المقال في جريدة فتى العرب ، بتاريخ ٥ نيسان سنة ١٩٣٠ ميلادية ، العدد رقم « ١٢٤ » .

ولا أدري ما هي الأسباب التي تحول دون الشروع في وضع نظام للحكم الذاتي التام ما دام بالامكان الوصول إلى نظام اتحادي يسر الامراء ويرضي الهندوس والمسلمين والأقليات الصغرى وترتاح منه جميع المصالح التجارية المشروعة ، والسلام .

خطاب سموه في مؤتمر نزع السلاح (١)

وقف الأمير آغا خان وناشد مندوبي الدول باسم الشعوب الهندية الذين يرون وسائل العنف والقوة في مقدمة الفضائل البشرية ، أن يدرأوا نكبة دولية لا بد من وقوعها إذ لم يبادروا إلى انقاذ المؤتمر ، فأعرب بذلك عن حقيقة لا ريب فيها وهي أن فشل هذا المؤتمر يطلق للدول المقيدة بمعاهدات الصلح حريتها فتسرع إلى تعزيز تسلحها استعداداً للطوارىء ويكون عملها هذا فاتحة الشر في اوروبا ، ولذلك لا نكون مبالغين إذا قلنا ان تأجيل خطر الحرب يتوقف على مؤتمر نزع السلاح .

الجـــامعة الاسلامية (٢)

يحلو لبعض الباحثين أن يخلط بين الجامعة الاسلامية كظاهرة دينية وروحية وبين الحركات السياسية في دنيا الاسلام .

فالجامعة الاسلامية بمعناها الوضعي هي الشعور الديني العميق الذي يشد المؤمنين بعضهم إلى البعض الآخر ، وهي قديمة قدم الاسلام نفسه ، وقد

---

(١) نشر هذا الخطاب في جريدة العهد الجديد في ٣١ آذار سنة ١٩٣٣ ميلادية ، العدد رقم (٧٤٠) .

(٢) بحث لسمو « آغا خان » نشر في كتاب اوروبا والاسلام ص : ٦ ، ٧ ، ٨، ٩ ، ١٠

سبق لي ان ذكرت في كتابي (تطور الهند) ان هناك جامعة اسلامية عادلة ومشروعة ينتمي اليهـــا كل مسلم صادق الإيمان ، عنيت الاخوة الروحية والوحدة بين اتباع الرسول ، ذلك ان الوحدة الاسلامية الحقيقية هي حاله روحية يشعر معها المسلمون بأنهم أعضاء في اخوية واحدة ، وانه ينبغي لهم أن يتحدوا لصون وحدتهم الروحية والدينية ، وقـــد قامت الجامعة الاسلامية خلال اربعة عشر قرناً من نشوء الاسلام على مؤسستين عظيمتين هما الحج إلى بيت الله الحرام والخلافة ، فالحج هــذه الفريضة الدينية المقدسة توثق الروابط والتضامن المعنوي بين المؤمنين ، وعندما يلتقي الوف الحجاج في مكة المكرمة يقيس الاسلام مدى قوته وشموله ويزداد استمساكاً بوحدته .

أما الخلافة فقد مثلت دوراً تاريخياً غاية في الأهميــة ، وكانت مهمة الخليفة هي في الاصل الحفاظ على الشريعة وصون مصالح المسلمين .

وقـــد ظلت ، على كونها مؤسسة دينية (الرمز الخارجي) للوحدة الاسلامية خلال بضع قرون . وكان في رأس المهـام الموكولة إلى خليفة المسلمين الدفاع عـــن الأمة ضد العدوان الخارجي ، الا أن صلاحياته لم تكن مطلقة كما هي الحال في الكاثوليكية حيث يتمتع البابا بسلطة روحية غير محدودة ، وبعد سقوط بغداد بأيدي المغول فقدت الخلافة اهميتهـا ولم يفعل سلاطين بني عثمان بعد انتقال السلطة اليهم ، شيئاً مذكوراً في سبيل تعزيز هذه المؤسسة ، فاضحت ثانوية إلى جانب السلطنة ، وصار المتربع على العرش يلقب نفسه بالسلطان ابن السلطان والخاقان ابن الخاقان خليفة المسلمين وامـير المؤمنين ، وطغت سياسة الفتح على ما عداها واوشكت الجامعة الاسلامية أن تتسم بطابع توسعي صريح لو لم تهب اوروبا للوقوف في وجه التيار العثماني وتوفق إلى صده .

وفي اواخر القرن التاسع عشر دخلت الامبراطورية العثمانية في طور الانحطاط فحاولت بعث الجامعة الاسلامية على أساس سياسي رغبة منها في تعويض مــــا فقدته ، فانبرى السلطان عبد الحميد الثاني لتمثيل دور الخليفة واحباط خطط الاوروبيين في الامبراطورية المتفسخة باثارة الشعور الديني ، الا ان الرأي العام لم ينخدع بهذه اليقظة المتأخرة ، وكان قد تهيأ لتقبل الافكار الحديثة التي اخذ يبثها اصلاحيون متقدمون كجمال الدين الافغاني واقطاب (جمعية الاتحاد والترقي) .

وفي الحرب العالمية الأولى أعاد سلطان بني عثمان الكرة محاولاً بعث الجامعة الاسلامية على أساس سياسي ، فمنيت محاولته بالاخفاق لأن الجامعة اذ تنقلب سياسية تنحرف عن غايتها الاساسية وهي توثيق عرى الوحدة والاخوة بين المؤمنين في الحج والزكاة ، وقد قابل بادرة السلاطين في اواخر القرن الماضي ومطلع هذا القرن حركة اصلاحية شاملة تهدف من جهة إلى رفع شأن الشعوب الاسلامية وتجديد شباب الاسلام كقوة روحية عظيمة ، وترمي من جهة اخرى إلى زيادة إمكانيـات البلدان الاسلاميــــة في الحقل الاقتصادي باعتماد أساليب الغرب الفنية والعلمية ، وتزعّم هـــذه النهضة الاصلاحية الشيخ محمد عبده في مصر وسيد احمد خان في الهنـد ودعا كلاهما إلى الاقتباس من الغرب ما يتفق وتعاليم الاسلام ، وحارب الجمود والخمول والبدع ، وفي روسيا تزعم اسماعيل غاسبرنسكي حركة النهضة الثقافية الاسلامية ، وقال بوجوب تغيير الاوضاع الاجتماعية لأنهـا تحول دون تطور المسلمين تطوراً يتيح لهم مجاراة الغربيين وقـــد اقترح غاسبرنسكي في جريدته (ترجمان) عقد مؤتمر اسلامي عالمي يتولى وضع منهاج اصلاحي شامل .

وكانت حركة الكمالية في تركيا فأدى الغـــاء الخلافة إلى احداث

فراغ في دنيا الاسلام لأن المؤسسة الملغاة كانت على ضعفها في عهد السلاطين ، رمز الجامعة الاسلامية ، وقد سعى الاصلاحيون مذ ذاك في سبيل احياء الجامعة ، وتعددت المؤتمرات الدورية للغرض نفسه ، واتخذ بعضها شكل عصبة امم محمدية تعمل على جمع شمل المؤمنين روحياً ورفع مستواهم الثقافي والاقتصادي والنهضة بهم دينياً واجتماعياً ويتضح مما تقدم ان الجامعة الاسلامية مؤسسة مبنية على مبدأ الايمان والرابطة الروحية ، وانها تختلف اختلافاً بيناً عن الجامعتين الجرمانية والصقلبية اللتين تقول كلتاهما بوحدة العنصر واللسان والجنس مما يتنافى ومبدأ الكلية في الاسلام ، هذا الدين الذي لا يؤثر جنساً على آخر . ولا يقيم وزناً للعنصرية ، تهدف الجامعة الاسلامية في الدرجة الاولى الى تمكين الاواصر التي تشد المؤمنين بعضهم الى بعض ، وليست تهدف الى التوسع الاقليمي والسيطرة على الاقوام ، لهذا لا يجوز للغرب ان يوجس خيفة منها ، انما ينبغي له ان يعتبرها عاملاً من عوامل الطمأنينة والاستقرار والازدهار الاقتصادي والاجتماعي في عالم منقسم على نفسه ، تتجاذبه تيارات متضامنة وتتنازعه المطامع .

إن الاسلام كقوة روحية ومعنوية ، لعلى اتم استعداد لمساعدة اوروبا الجريح في محاولتها انشاء عالم ما بعد الحرب ، ويرجو أن ترد اوروبا على هذه المبادرة بالاعتراف للشعوب الاسلامية بحقها في الحرية والعدالة وفي تحقيق مطامحها المشروعة ذلك بأن المسلمين ، في أي مكان وجدوا ، خليقون بأن يتولوا مقدراتهم بانفسهم وان يساهموا مساهمة فعالة في تهيئة اسباب التقدم للبشرية جمعاء .

آغا خان

عشر دقائق مع الأمير آغا خان (١)

وآغا خان علم من اعلام السياسة الدولية ، فقد كان رئيس مؤتمر عصبة الامم في سنة ١٩٣٧ كما انـــه زعيم من ابرز زعماء العالم الاسلامي واقواهم نفوذاً ، ولهذا رأينا ان يتحدث الينا عن رأيـــه في بعض الشؤون السياسية والاسلام .

وذهبنا الى فندق مينا هاوس قبل الموعد المحدد للمقابلة ، وانتظرنا في صالون الفندق فرأيناه ينزل السلم في نشاط ورشاقة رغم تقدم سنه ، وصحبناه الى حديقة الفندق حيث اخذ يحدثنا عن السنين الطويلة التي امضاها في سويسرا منذ دخل الالمـــان باريس في يونيو سنة ١٩٤٠ ميلادية ولم يغادر باريس الا في اللحظة الأخيرة ، والتجأ الى سويسرا حيث ظل بها الى ان غادر اوروبا أخيراً ، ثم تطرق الحديث الى موتمر سان فرنسيسكو وهـــو يمثل الهند فيها كما مثلها في مؤتمر الصلح سنة ١٩١٩ ميلاديـــة .

فقال لنا انه لايريد ان يعود الى ميدان السياسة الدولية لأنه مهتم الآن بمشاريع اجتماعية واصلاحية تستنفد كل وقته وجهده ، ولكنه يعتقد ان مؤتمر سان فرنسيسكو سيؤدي الى قيام هيئة تؤدي ما عجزت عنه عصبة الامم ، وهو المحافظة على السلام والقضاء على الحروب ، والمحافظة على حقوق الشعب على قدم المساواة بين قويها وضعفها ، وسألناه عن مشروعاته الاصلاحية فقال انه يقوم الآن بانشاء جامعة كبيرة في شمال الهند ، لتعليم ابناء المسلمين بمستواهم المادي والاجتماعي ، فيدرس فيهـــا

---

(١) مجلة الاثنين عدد ٣٤٧ سنة ١٩٤٣ .

الطب ، والهندسة ، والزراعة والكيمياء ، بدلاً من أن تدرس فيهـا الآداب ، والاديان والقوانين ، لأن الشرق ليس في حاجة الى نظريـات وافكار قدر حاجته الى العلوم العملية التي يقيم عليها نهضته القادمة .

ومن الامتيازات التي منحتها الحكومة البريطانية لسمو آغا خان أن يطلق له احدى عشر مدفعاً عند مقدمه إلى الحفلات الرسمية التي تقيمها الحكومة :

زوجي آغا خان (١)

ان النظام الذي يتبعه (آغا خان) في حياته اليومية ، يختلف باختلاف المكان الذي يكون فيه . ففي القاهرة مثلا ، يقضي فترة الصباح في نادي الجزيرة ، حيث يستمتع بلعبة الجولف ، وهي أحب أنواع الرياضة اليه ؛ فاذا حل موعد الغداء ذهب إلى نادي محمد علي لتناوله ، واستقبال الزوار والتحدث اليهم . ثم يعود إلى فندق سميراميس ليستريح قليلا في جناحه الخاص وأما الهواية الخاصة التي ولع بها منذ زمن طويل ، فهي لعبة الجولف ، أما الهواية التي تستغرق الشطر الاكبر من اوقاتنا فهي الاسفار ، فنحن لا نمكث طويلا في بلد من بلدان العـالم ، بل ننتقل من مكان إلى مكان فلا نستقر في مدينة حتى نكون قد تأهبنا لمبارحتها .

والواقع اننا في حركة لا تنقطع ويخيل الينا اننا قلما نستريح ـ لا نستريح إذا قطعنا المسافات الشاسعة في السفر ، ولا نستريح إذا القينـا عصا الترحال ، فكأننا خلقنا للرحيل ، والتنقل والتجوال .

ولست انكر السعادة التي نجدها في هذه الحياة التي لا نكاد نضرب خيامنا في مكان فيها ، حتى نطويها ، ونرحل إلى غيرها من أرض الله الواسعة .

على ان زوجي يحلو له أن نقضي شهرين من كل عام في قصرنا في مدينة (كان) في ساحل فرنسا الجنوبي ، ومـن الحوادث التاريخية التي

(١) مجلة الهلال العدد ٥٩ تاريخ ٦ يونيه ١٩٥١ .

لا تنسى في حياة زوجي ، الاحتفال بمرور ٦٥ عاماً على تقلده (الامامة) وما تبع ذلك من وزنه مرتين ماساً في (دار السلام) تنجانيقا بشرقي افريقيـا ، وبومباي في الهند ، وهي حادثة لا اخال احداً يجهلها أو لم يسمع عنها .

ولو انني كنت ادون في يومياتي ، مـا نشهده من التقاليد والعادات العربية في شتى اطراف المعمورة لملأت مجلدات ، ولعل أغرب ما شهدت في رحلتنا الاخيرة في إيران ما حدث في (محلات) ، ومحلات هذه تقع بين مدينة اصفهان وطهران . وهي بلدة آغا خان الاول جد زوجي سمو آغا خـان الثالث . وقد رحل آغا خان الاول مع اسرته أثر خلافات سياسية بينه وبين دولة (القاجارية) إلى بمباي في الهند لأن اقواماً فيها من أصل السادات الامامية التي ينحدر منها آل آغا خان .

كان لا يخطر ببالي ان في العالم ، مثل ما رأت عيناي بين المطار التي حطت فيه الطائرة التي اقلتنا وبين هذه البلدة ، فقـد تقاطرت الجماهير المحتشدة على طول الطريق ، ومعهم الماشية والخراف والجمال وفي ايديهم سكاكين طويلة حادة مخيفة . وكلما تقدمت السيارة خطوات ، توقفت عن المسير أمام رجل يطعن حيوانه بسكينه طعنة نجلاء في عنقه ، فيرتمي على الأرض تتدفق منه الدماء وأخذت الذبائح تنحر ، والدماء تتدفق ، وهتافات الجماهير تختلط باصوات الحيوانات ، وقد تكدست لحومها على الطريق ، وواصلت سيارتنا المسير وهي تخوض الدماء ، تخترق الجماهير إلى أن بلغنا بعد زمن ليس بقصير ، قلعتنا (قصرنا) في البلدة .

وكما ان زوجي آغا خان يهوى السفر والتنقل ولعبة الجولف ، فانه يهوى كذلك الكتب والمجلات ، والقراءة والاطلاع ، إذ تستغرق القراءة من وقته في المتوسط ، من أربع ساعات إلى خمس ساعات يومياً ، وتشمل

هذه الكتب والمجلات ، كل ما يتصل بالفكر الانساني من دينية ، وعلمية ، وأدبية ، وفلسفية ، من نثر وشعر ، إلى ما يقصد به التسلية ، والترفيه والاسترخاء وراحة الجسم والتنقل . أما اللغة الغالبة في هذه الكتب والمجلات فالانجليزية على ان منها ما هو بالعربية أو الفارسية أو الهندية أو الهندستانية أو الفرنسية ، وسموه شديد الولع على الأخص بقصائد الشاعر الفارسي المطبوع حافظ شيرازي ، ومنظوماته ، ويقرؤها بلغتها الأصلية لأنها في الغالب لم تنقل إلى لغات اخرى ، أو على الأصح يصعب جداً ترجمتها ، لأنها من الشعر الفلسفي الصوفي العميق ، فاذا ما ترجمت فقدت قيمتها الفنية وتعبيراتها الفارسية الجميلة ، ومعانيها السامية التي لا تستقيم في غير الفارسية ، وآراءها ، وفلسفاتها الصوفية ، التي تذهب اللغات الاجنبية بروعتها الكامنة في عباراتها الاصلية . هذا فيما يختص بالمطالعة ، أما لغة الحديث بيننا فالفرنسية دائماً .

الأمير الحسن

إن مناسبات اليوبيل الذهبي واليوبيل الماسي اللذين تكرر حدوثهما مرتين ، واليوبيل البلاتيني الذي سيتكرر حدوثه خمس مرات ، هي مناسبات لم يسبق لها مثيل ، لا في حدوثها فحسب بل في نتائجها وخيراتها .

ذلك لأن سموه الملكي الذي وزن بهذه الأحجار الكريمة التي لا تقدر بثمن ، قد وهب بكل لطف جميع هذه الكنوز العظيمة لأتباعه من أجل انفاقها على امورهم الثقافية والنواحي الحيوية الأخرى التي تضمن سعادتهم ورفاهيتهم . لقد شيد لأتباعه المدارس ، ودور الحضانة ، والمستشفيات في جميع الاقطار التي يقطنونها ، ووزع المنح والعطايا على الطلاب المجتهدين

وعلى المراكز الصحية والعلمية ، ولا يزال حتى الآن ينفق ملايين الروبيات في كل سنة من أجل سعادة ورفاهية أتباعه .

كان سمو آغا خان يعمل وما زال في سبيل تقدم ونجاح الاسماعيلية منذ ان اعتلا عرش الامامة في العام الثامن من عمره ، وليس هـذا فحسب بل أن جوده وكرمه مشهوران في جميع الأقطار الاسلامية لما أنفقه في سبيل المسلمين من ملايين الروبيات لرفع مستواهم الثقافي والسياسي والاجتماعي والديني ، حتى ان مكارمـه وصدقاته على الناس من شتى الطبقات والمذاهب أعظم من أن تمد وتحصى في هذه البلاد . وفي كل مكان يستقر قدمه فيه ، يناله نصيب من كرمه وسخائه ، وما من مشروع انساني نبيل يقوم ويتحقق إلا وشمله عطف وإحسان هذا الامير الانساني المحسن وكرمه .

ان الخدمات التي أداها صاحب السمو الملكي السير سلطان محمد شاه الامير آغا خان للمسلمين في شبه القارة الهندية الباكستانية هي أكثر من أن توصف بإسهاب في هذا البحث الضيق . لقد زوّدهم وأعطاهم أعظم التوجيهات والارشادات في الميدان الثقافي ، ففي سنة ١٨٩٤ ميلادية عندما كان في السابع عشرة من عمره زار كلية (عليكرة) وقابل مؤسسها السيد سيد احمد خان وعرض عليه المساعدات القيمة ، وفي سنة ١٩٠٣ ميلادية ترأس المؤتمر المحمدي الثقافي ووجه للمسلمين نداء مخلصاً طالباً منهم أن يسعوا وراء العلم ما وسعهم ويبذلوا جهودهم لرفع المستوى الثقافي في بلادهم . وفي سنة ١٩١٠ ميلادية قام برحلة جمع فيها مبالغ طائلة ساهم فيها بنفسه من أجل انشاء جامعة اسلامية ، ولولا جهوده هذه لما كان من الممكن جمع مثل هـذه المبالغ التي أمكن بفضلها تحويل كلية (الانكلو - اوريانتال) إلى جامعة اسلامية هي جامعة (عليكرة) .

ومن الناحية السياسية فقد أيقظ وأرشد جميع أبنائـــه واخوانه الروحيين ، ففي سنة ١٩٠٦ م قام الحلف الاسلامي الهندي بفضل مساعي سموه الملكي ، وقال في ذلك الوقت كلمته المشهورة (ان مسلمي الهنـــد ليسوا طوائف دينية متفرقة انما هم أمة اسلامية موحدة) . وفي السنة التالية انتخب رئيساً دائمـــاً لهذا الحلف الى أن استقال سنة ١٩١٤ م . وفي عهد إصلاحات (مورلي – مينتو) بـــذل جهوداً جبارة لتأمـــين مقاعد انتخابية للمسلمين ، وقد مثل الهند في مؤتمر المائدة المستديرة في لندن وفي مؤتمرات نزع السلاح في جنيف ، وبذلك استطاع ان يوضح وجهة النظر الهندية في المجتمعات العالمية ، وترأس الاجتماع الاسلامي الذي عقد في (دكا) عام ١٩٥١ م . وفي ذلك الاجتماع نهض السيد حبيب الله بهادور واشار الى خدمات سموه فقال : يا صاحب السمو الملكي !

ان حركتكم التي بدأتم بها في سنة ١٩٠٦ م. من أجل تأمين مقاعد انتخابية منفصلة للأمة الاسلامية قد أذكت الروح الوطنية التعاونية بين المسلمين ، وكاد (حلم الشعب الباكستاني) أن يتحطم لولا جهادكم الطويل في سبيل تحقيق ذلك الحلم وتأمين المقاعد الانتخابية للمسلمين .

ولقد ترأس سمو الأمير آغا خان لمدة مرات جميع أسباب التقـــدم الحياتي في جنوب افريقيا ، لذا نرى أن المسلمين في أفريقيا يحملون لسموه أسمى آيات الشكر والاعتراف بفضل الخدمات التي قدمها لهم من أجـــل تقدمهم ورقيهم وازدهارهم في مختلف نواحي حياتهم الاجتماعية والزراعية والثقافية والسياسية ولقد ساهم سموه بمبالغ كبيرة لبناء مسجد (كابولي) ولافتتاح مؤسسة فنية في افريقيا ، وتحدث السير (ل. ب. اتكنسون) عن صاحب السمو الأمير آغا خان فقال :

لقد أظهر سمو آغا خان في مناسبات عديدة بانه لا يمثـــل الشرق

فحسب بل يمثل الغرب ايضاً ويتمتع بقيمة معنوية هامة ليس لها أي اعتبارات جغرافية او اقليمية فهو كما قال عنه السير (صموئيل هورد) بمناسبة الجهود الجبارة التي بذلها في سبيل إقرار السلم في هذا العالم، هذه الجهود التي نالت إكبار واعجاب وتقدير جميع الأمم وجعلت لسموه منزلة عظيمة في مجالس الامم، انه (اعظم مواطن في العالم).

وبالنظر للجهود التي بذلها للحيلولة دون وقوع حرب بين تركيا وقوات اخرى تهدد بنشوب حرب عالمية فقد قرر مجلس الدولة الهندية عام ١٩٢٤ بالاجماع توجيه نداء للحكومة النروجية لترشيح سمو (آغا خان) كشخص ممتاز ليمنح جائزة (نوبل للسلام) عن تلك السنة.

وانتخب سموه الملكي رئيساً لعصبة الأمم سنة ١٩٣٧ م. وهذا الانتخاب برهان قاطع على انه من أعظم قواد وساسة العالم.

وكتب السير تيودور موريسون منذ ٤٥ سنة عنه ما يلي (انني اعتقد بأن سمو الأمير آغا خان سيلعب اعظم دور خلال النصف الثاني من هذا القرن في توجيه مصير العالم الاسلامي، هذا التوجيه الذي تؤهله له مكانته السامية ومقدرته العلمية والسياسية الباهرة).

وحاول سموه أن يجعل من تركيا والعراق والافغان ومصر اعضـــاء في مجلس عصبة الأمم، فقال أحد الكتاب (ان الاسلام بتقاليده العظيمة قد اصبح في غنى عن أي رئيس ولم يعد بحاجة لأكثر من رسول واحد هو سمو الأمير آغا خان) وفيما يلي يروي لنا الشريف الشيخ السيد حسين قيضاوي حادثتين وقعتا بحضوره.

قال: كانت الحادثة الأولى عندما شكلت الحكومة الهندية لجنة لتمثلها لدى بريطانيا مؤلفة من سمو الامير آغا خان رئيساً والسادة شوتاني وحسن

امام والدكتور انصاري وأنا ، وكان على هذه اللجنة ان تتوسط لدى البرلمان الانكليزي لارجاع (تراس وسمسيرنا) للحكومة التركية ، ولدى وصولنا مثلنا أمام البرلمان البريطاني وتقدم خطيبنا السيد حسن امـــام وشرح القضية مطالباً البرلمان البريطاني بالموافقة على ارجـاع تلك المقاطعات الى تركيا الدولة الاسلامية ، فنهض رئيس الوزراء البريطاني (لويد جورج) قائلاً : ما دامت (تراس) تحت الحكم اليوناني العسكري فمـــن هو الذي سيطردهم منها ، فلم يجب حسن الامام ولا أحد منا ، وسرعان ما نهض سمو آغا خان بكل حماس رافعاً اصبعه الى اعلى قائلاً (حسناً يا دولة الرئيس كن على ثقة وبالرغم من كبر سني سأذهب وسيفي بيدي لأطردهم من هناك ، وسلبني السفن ونفعل كل شيء فاتركهم لنا) وكأن صاعقة قـــد نزلت على رأس (لويد جورج) فلم يتكلم إلا بدمدمة مضطربة فقال : (كلا كلا لا نستطيع ان نفعل ذلك) .

لقد اهتزت مشاعري لتلك الكلمات والطريقة التي تكلم بهـا سمو آغا خان . فكانت كل كلمة تحفر نفقاً عميقاً في قلبي : حتى انني لا أزال اذكر كل كلمة من عباراته حتى الآن وأتخيله أمامي يرددها . وأتمنى لو أن هذه الكلمات تخرج من فمي بنفس الطلاقة وعدم التكلف ، التي خرجت بها من فم سموه المقدس ، لأنها كانت تعبر تعبيراً صادقاً عن مبلغ حبه العظيم ... حبه الذي لا ينتهي ، حبه الذي يغمر قلبه ... للاسلام ، لقد كان رائعاً في تعبيره ... فهو لم يقـــل بأنه صاحب السمو الملكي سير سلطان محمد شاه . ج . س . س . ك . ل . س . س . ي الخ وانه أعظم مواطن مخلص لجلالة الملك البريطاني وأمثال هذه الالقاب والكلمات . ومن هذه الملاحظات ظهر بأنه المسلم الصادق المعمور قلبه بحب الاسلام ، ان دم النبي محمـــد الذي يسري في عروقه جعله بمثل هذا ، ويؤكد بأنه على استعداد ليقدم ثروته ومكانته وحتى حياته في سبيل الاسلام .. نعم في

سبيل الاسلام .. وليس فقط من أجـل تلك الطائفة التي تعتبره رئيساً روحياً أعلى واني استطرد فأقول بأن ما حدث كان رائعاً ومدهشاً . حتى لقد صدمت به .. واصبح قلبي منذ تلك اللحظة ملكاً له .. هـذا القلب الذي استقر حبه فيه .. واخذ ينمو ويكبر ويتسع لأعظم عواطف من التقدير والاخلاص الأبدي حتى انني الآن وعند كتابة هذه السطور أشعر بأنني يجب ان اصلي لذاك الذي يحب الاسلام بمثل هذه الحرارة .

والمناسبة الثانية التي اهتزت فيها عظامي طرباً لما قـال سمو الأمير آغا خان ، كانت بعد أيام قلائل من قيـام الحركة الالحادية الروسية في السنة الماضية ، عنـدما انضمت دولة الافغانستان الاسلامية إلى عصبة الامم ، وكان سمو آغا خان رئيساً لممثلي الهند في جنيف ، وبينما كان سموه يرحب بدخول دولة الافغانستان قال « ان الهند لفخورة بثقافتها الشرقية ، وبتقاليدها وبلغتها وبمدنيتها وبالافغانستان ، إن ثمانين مليوناً من المسلمين الهنود لفخورين مثلي بانتظامهم في رابطة الأخوة العظيمة في الاسلام » .

ولقد كنت من حسن الحظ موجوداً بهـذه المناسبة ، وكان البهو مكتظاً بجماهير غفيرة من مختلف الامم والجنسيات ويمثلون أدياناً مختلفة عديدة ، وكان أعضاء عصبة الامم أنفسهم يمثلون ما يزيد على خمسين أمة وكانوا جميعاً أشخاص موهوبين وذوي ثقافة عاليـة تؤهلهم لتمثيل حكوماتهم ولكن أحداً منهم لم يكن قط بأوسع اطلاعاً أو أسمى ثقافة من سمو الأمير آغا خان الذي كان يحيط بأعظم وأعلى مـا في ثقافة الغرب والشرق على السواء . ولـكم كان سخطي عظيماً عندما لاحظت ان رجلاً مثل (دي فاليرا) قد ترأس باسم القضية المسيحية بعض اجتماعات العصبة وأخذ يهاجم الحركة الروسية بكل فصاحة وطلاقة . حتى ان اولئك المسلمين الذين كانوا في العصبة نفسها اتضح لي كأنهم يحملون عقدة

نفسية وانهم أصبحوا يشعرون بالخجل من (الاسلام) . ذلك الاسلام الذي كان المعلم اللامع والمهذب الاكبر وموقد نار المدنية في أوروبا كلها . ذلك الاسلام الذي كان يعطي منذ ثلاثة عشر قرناً وحتى الآن دروساً عملية صادقة بوحدة الجنس البشري ومساواته في شتى الميادين العالمية ، ذلك الاسلام الذي يحمل في ثناياه مثلاً فريداً من نوعه لرابطة أممية نحو الأحسن والاكمل والتي اضمحل امامها (ميثاق بسيدو الأمم) وتلاشى .

في عصبة الامم وبحضور عدد كبير من العلماء والمثقفين الذين حضروا ليمثلوا امماً منتشرة فوق سطح الأرض – رجل واحد فقط – ذو عقلية لامعة جبارة ... وقف ... وكان رجلا مسؤولاً .. رجلا واسع الثقافة والعلم ، رجلا عظيم الخبرة ، رجلا عرف الأرض بطولها وعرضها وتجول فيها ، رجلا مصقول النفس ، سيداً نبيلا . محترماً من الأفراد ومن الجميع .. أقول وقف ليعلن بأعلى صوته وعلى مسمع الاشهاد ورؤوسهم بأنه فخور بانتسابه الى رابطة الأخوة في الاسلام . لقد كان في الحقيقة موقفاً رائعاً مؤثراً ، وكان بمثابة صفعة قاسية على وجه أولئك الجبناء الذين شعروا بالخجل لدى ذكر اسم (الاسلام) وقد عززت كلمات سمو آغا خان هذه من سطوة الاسلام ونفوذه في هذا الجمع الذي كان إلى لحظات مضت يتحامل ويتغرض ضده .

لقد طغى عليّ الفرح وأنا رجل عنيد صعب المراس وليس سهلا أن انحني أمام أي انسان ولو كان ملكاً ، ولكن بكل فخر وسرور انحني احتراماً واجلالاً وتقديراً أمام ذلك الرجل الذي نطق من صميم قلبه (بهذه الكلمات المؤثرة) .

هذه خلاصة مختصرة لحياة السير آغا خان المجيدة ... آغا خان الذي وهب نفسه وحياته للاسلام ، ان كرم سموه وسخاءه على المؤسسات

الاسلامية والقضية الاسلامية الهندية سيبقى أبداً مصدر الهام لا ينضب الأجيالنا الصاعدة المقبلة حتى نهاية هذا العالم .

كراتشي (الباكستان) هـ. م شير علي عليا الدينا

بعض الحوادث الهامة في حياة سمو الامير آغا خان الملكي

سنة ميلادية

١٨٧٧ ولد في كراتشي (الباكستان) في الثامن من شهر نوفمبر .

١٨٨٥ في السابع عشر من أغسطس اعتلى عرش الأمامة .

١٨٩٧ تزوج البيجوم (شاه زاده) .

١٨٩٨ زار اوروبا وقابل الملكة فكتوريا .

١٨٩٩ زار افريقيا وحصل على وسام النجمة اللامعة من زنجبار وزار تركيا وحصل على وسام تركيا وزار العجم وحصل على وسام (شامسول همايون) أي نجمة العجم .

١٩٠٢ حضر حفلة تتويج الملك ادوارد واعتبر (ضيف الأمة)

١٩٠٣ ترأس اللجنة التشريعية في الهند ، وعمل كرئيس للجنة التمهيد للمؤتمر الثقافي الاسلامي في الهند كلها .

١٩٠٦ ترأس البعثة الاسلامية لمقابلة اللورد منيتو من أجل انتخابات منفردة .

١٩٠٧ انتخب رئيساً دائماً للرابطة الاسلامية ، واستقال سنة ١٩١٤ ميلادية .

١٩٠٨ تزوج من الاميرة تيريزا ما جليانو أم الامير علي خان ولي عهد الامامة الاسماعيلية .

١٩١٠ في الثالث عشر من يونيه ولد الامير علي خان الابن الاكبر في مدينة تورين بايطاليا .

١٩١١ جمع ثلاثة ملايين روبية للجامعة (عليكره) الاسلامية ودعا لعقد مؤتمر الرابطة الهندية الاسلامية في (الله أباد) .

١٩١٦ منح تحية احدى عشر طلقة مدفع ورتبة فارس من الدرجة الأولى لمدينة بمباي .

١٩١٨ نشر كتابه (الهند في مرحلتها الانتقالية) .

١٩٢٤ ترأس مؤتمر (جميع الفرق الاسلامية) في دلهي .

١٩٢٦ تزوج من (أندري كارون) والدة الأمير صدر الدين .

١٩٢٧ في التاسع والعشرين من تشرين عهد بولاية العهد لولده الأمير علي أمام وفود من الاسماعيلية السوريين في مدينة (بور سعيد) .

١٩٣٠ ربح جائزة سباق الدربي لأول مرة .

١٩٣١ ترأس المحادثات الهندية البريطانية لدى مؤتمر المائدة المستديرة .

١٩٣٢ مثل الهند في مؤتمر نزع السلاح العالمي وترأس المفاوضات الهندية في عصبة الامم ، وأيضاً في سنة (١٩٣٤ — ١٩٣٥ — ١٩٣٦ — ١٩٣٧) .

١٩٣٣ ولد الأمير صدرالدين الابن الثاني .

١٩٣٥ احتفل بيوبيله الذهبي في ١٨ أغسطس بمناسبة مضي ٥٠ عاماً على إمامته المقدسة ، ربح جائزة سباق دربي للمرة الثانية .

١٩٣٦ احتفل بيوبيله الذهبي في الهند ، وزن بالذهب في مدينة بمباي ، ربح جائزة دربي للمرة الثالثة ، وولد حفيده الأول (كريم آغا) .

١٩٣٧ اليوبيل الذهبي في افريقيا وزن بالذهب في نيروبي وانتخب رئيساً لعصبة الأمم ، وولد حفيده الثاني (محمد أمين) .

١٩٤٤ تزوج من (إيفيت لابروس) البيجوم الحالية .

١٩٤٥ احتفلت الاسماعيلية بمناسبة مضي ستون عاماً على إمامته في الثامن عشر من أغسطس .

١٩٤٦ وزن بالماس في العاشر من آذار في مدينة بمباي وفي العاشر من أغسطس في دار السلام بأفريقيا .

١٩٤٧ منح لقب شرف لمدينة كان الافرنسية .

١٩٤٩ أعلن رسمياً بأنـــه أصبح (مواطن إيراني) ومنح لقب صاحب السمو الملكي .

١٩٥٠ زار الباكستان لأول مرة بعد استقلالها .

١٩٥١ زار إيران ومنح وسام فيها وزار سوريا ومنح (وشاح أمية الأكبر) .

١٩٥٢ ربح الجائزة الأولى لسباق الدربي للمرة الخامسة .

١٩٥٣ قرر أن ينشر مذكراته السياسية والعلمية .

والخلاصة يعد عهد الامام سلطان محمـــد شاه علي من ازهى واعظم وأرقى العهود التي شهدتها الاسماعيلية ، وبفضل تعاليمه وارشاداتـــه ومساعداته الكثيرة ، احتلت الطائفة الاسماعيلية المكان اللائق بها كأمة تؤمن بالقيم الروحية ، واعترافـاً بهذا الفضل والكرم قررت الأمـــة الاسماعيلية جمعاء ان تحتفل في عام ١٩٥٤ ميلادية في كل من افريقيـا والباكستان وبورما بوزن سموه بالبلاتين ، والبلاتين هذا من أغلى واندر المعادن في العالم ، وحتماً سوف يأمر بانفاق هذا المبلغ على تحسين شؤون أتباعه في العالم .

وفي سنة ١٩٥٤ ميلادية في الثالث من شهر شباط احتفل بيوبيلـه البلاتيني باحتفال عظيم جرى في مدينة كراتشي الباكستان .

وفي سنة ١٩٥٥ ميلادية في شهر آذار احتفـــل بيوبيله البلاتيني في مدينة القاهرة .

وفي سنة ١٩٥٧ أحدث كرسياً للدراسات الاسلامية في جامعـــة (هارفارد) في اميركا .

وفي سنة ١٩٥٧ أناب عنه ولي عهده الأمير علي خان لحضور احتفالات يوبيله البلاتيني في بمباي .

وفي يوم الخميس الساعة الثانية ظهراً الحادي عشر من تمـــوز سنة ١٩٥٧ توفي في قصره بسويسرا ، ونقـــل جثمانه جواً الى اسوان في الجمهورية العربية المتحدة ، وفي ١٩ تمـوز من نفس العام احتفل بوضـــم الجثمان في فيلا (نور السلام) حتى تنتهي المقبرة التي شرع بتشييدهـا على رأس ربوة الجبل الاصفر بقرب فيلا نور السلام غرب مدينة اسوان في مصر .

وفي ٢٠ شباط سنة ١٩٥٩ ميلادية تجمع الاسماعيليون من جميع انحاء العالم حيث احتفل رسمياً بنقل الجثمان الى مقره الاخير ، وترأس الاحتفال آغا خان الرابع ، وكان لكاتب هذه السطور شرف المساهمة بهـــذا الحفل الرائع العظيم . وتعتبر مذكرات (آغا خان الثالث) التي وضعها باللغة الانكليزية وترجمت الى جميع اللغات فتحاً جديـــداً في اسلوب المذكرات لما تضمنته من حقائق دامغة وحوادث شيقة .

ولي عهد الامامـة الاسماعيليـة الامير علي خـان

اثر وفاة زوجة الامام سلطان محمد شاه الاولى ذهب الى اوروبا في مدينة (مونت كارلو) ليسري عن نفسه وهناك تعرف بالآنسة الايطالية (تريزا ماجليانو) وكانت في التاسع عشرة من عمرهـــا ، وفي صيف

١٩٠٨ تزوج منها في مدينة (ميلانو) ودعاهـا الاسماعيليون بالمرأة المقدسة ، وفي الثالث عشر من حزيران ١٩١٠ ميلادية انجبت له الامير علي خان وكانت ولادته في مدينة تورين ، وقد أمضى طفولته مـع والدته في سويسرا وايطاليا وفرنسا وفي عام ١٩٢٦ توفيت والدته في مدينة باريس اثر عملية جراحية .

تلقى الامير علي خان علومه على يد الاستاذ (ودنكتون) رئيس كلية (مايو) في أجمير ، وهذه الكلية انشئت خصيصاً لتدريس أولاد الامراء الهنود ، وكان سموه مثالاً يقتدى به لما كان يتمتع فيه من خلق قويم ومسلك اجتماعي سليم وكان شغوفاً بالرياضة الى حد كبير ، ثم انتسب الى جامعة (اكسفورد) في انكلترا وتخرج منها بعد مضي اربع سنوات على انتسابه وحاز على شهادة (ماجستير) وسموه يجيد اللغة الانكليزية والفرنسية والايطالية والاسبانية والفارسية والاوردية اجادة نادرة ويعرف العربية والالمانية ، أصبح ولياً لعهد الامامة الاسماعيلية في التاسع والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٢٧ ميلادية وجرت احتفالات عظيمة لهـذه المناسبة عمت جميع البلدان الاسماعيليـة ، وفي الثالث عشر من أيار تزوج السيدة الانكليزية (جوان بربارا يارد بولد) الابنة الكبرى للمليونير الانكليزي (شرستون) وقد زار وزوجته الهنـد في السنة التي أعقبت زواجه وحضر حفلة اليوبيل الفضي (لحيدر اباد) وزار تركيا ومصر وسوريا حيث تفقـد شؤون أتباعه في تلك البلاد ، ثم ذهب إلى افريقيا حيث استقبلا استقبالاً حاراً من قبل الاسماعيلية ولقد اعجب سموه بنشاطهم وتقدمهم السريع في تلك البلاد النائيـة ، أنجب ولدين كريم خان عام ١٩٣٦ م ، ومحمد أمين عام ١٩٣٧ م .

والأمير علي خان يتعشق الروح العسكرية ويحب المغامرات والرياضة

وإرضاء لميله الغريزي هذا تطوع سنة ١٩٣٩ ، م، في الفرقة الاجنبية بالجيش الفرنسي برتبة ملازم وحارب في خط ماجينو عام ١٩٣٩ ، م ، ثم عين مرافقاً للجنرال (ويغان) . ولما انهارت فرنسا انتقل الى الجيش البريطاني وبعد احتلال سوريا ولبنان من قبل القوات البريطانية والفرنسية الحرة عمل (كضابط ارتباط) بين الجيشين ثم حارب في ليبيا بصفوف الجيش البريطاني وراح يتدرج في رتب الجيش حتى نال رتبة زعيم عام ١٩٤٥ م ، ومنحه الجيش الاميركي وساماً للخدمات التي اداها كضابط اتصال وقد أدى خدماته هذه بكل أمانة واخلاص ، ونال عدداً من الأوسمة الاميركية والبريطانية والفرنسية ، ومنح مؤخراً في فرنسا باحتفال رسمي أرفع وسام فرنسي وهو (جوقة الشرف) من درجة فارس ممتاز ، وعندما اصبح ولياً للعهد بدأ يحضر وينوب عن والده في كثير من الاحتفالات والمناسبات المختلفة واستفاد كثيراً من التجارب الزمنية فأصبح رجلا عاملا في جميع الحقول الحياتية .

وأوكل اليه والده مهام التنظيمات الاجتماعية والثقافية في جميع المناطق الاسماعيلية وبرهن عن نشاط وجد لا محدودين كما أظهر تفوقاً بارزاً في معالجة مختلف الشؤون التي تهم اتباعه ، ويمتاز بعبقريته الفذة وذكائه الحاد وببساطته المتناهية ، ويتمتع بجسم رياضي رشيق شديد الجاذبية وهوايته المحببة السباحة والتزحلق على الجليد ، يؤمن بالديمقراطية إيماناً لا يتزعزع ويبشر بها .

تزوج في السابع والعشرين من أيار سنة ١٩٤٩ من السيدة (ريتا هيوارث) ورزق منها طفلة دعاها (ياسمين) وزواجه هذا شغل الصحافة العالميـة أسابيع طويلة تبارت في نشر الريبورتاجات المصورة والمقالات الشيقة عن قصة زواجه .

قالت صحيفة لبنانية معروفة :

تقابلا في كان بفرنسا ويعود الفضل في ذلك إلى الصحفية الاميركية الكبيرة (ايلسا ماكسويل) وتم التعارف في حفلة كان ضيف الشرف فيها الأمير علي خان وهما الآن يعيشان في قصر (الأفق) أجمل قصور العالم وكان الامير قد اشترى هذا القصر بنصف مليون جنيه من ورثة الممثلة المسرحية المشهورة (ماكسين اليوت) ومن أشهر الشخصيات التي سكنت هذا القصر قبل الحرب الثانية (ونستون تشرشل) الذي رسم فيه كثيراً من لوحاته .

وقالت احدى المجلات الافرنسية :

شهدت اليوم قرية (فالوري) أروع حفلة زواج وابسطها ولقد تسابقت عدة قرى ومدن في منطقة الألب الساحلية جنوبي فرنسا ، ولكن قرية (فالوري) وحدها هي التي نالت هذا الشرف باعتبار ان خليج جوان الذي يقوم فيه قصر الافق حيث يسكن الامير علي خان تابع لتلك القرية ولقد شهدت حفلة زواج الامير علي خان كصحفي من الوف الصحفيين الذين قدموا فالوري واختلطوا بالقرويين في ساحاتها منذ ليلة أمس ، وقد أجرت جميع السطوح وحتى النوافذ المطلة على دار بلدية فالوري وتراكم الصحفيون والمصورون على سلم الدار يمنعهم من التقدم حاجز من رجال الشرطة . الخ .

أعمال الامير علي خان في السلمية والخوابي :

كانت زيارته الأولى للسلمية والخوابي عام ١٩٣١ فاستقبل استقبالاً لا مثيل له في مدينة السلمية ، وبعد أن أطلع على حياة الاسماعيليين الاجتماعية والثقافية والاقتصادية أوعز ببناء بعض المؤسسات الثقافية ومنح اتباعه

كثيراً من الارشادات القيمة وأشرف بنفسه على اجراء تعديلات قيمة في مدرسة السلمية الزراعية ، ثم غادر السلمية الى الخوابي عن طريق مصياف – قدموس حيث دشن المدرسة الأهلية الكبرى في الخوابي (المدرسة المحمدية) .

ومنذ زيارته الأولى أصبح يهتم بشؤون الاسماعيليين السوريين اهتماماً كبيراً فيقدم لهم المساعدات والارشادات القيمة ويبذل جهده ليؤمن لهم جميع الوسائل الحديثة التي تساعدهم على التقدم والرقي ، وكانت النتيجة أن ازدهرت الحياة الاقتصادية في السلمية وكثر عدد المتعلمين فارسلت البعثات الى الخارج وأنشأت المؤسسات الحديثة ، وشيدت المدارس العديدة في السلمية وفي القرى التابعة لها ، وبنيت المساجد في جميع المناطق التابعة للسلمية كل هذا بفضل جهود وارشادات وتعاليم ولي عهد الامامة الاسماعيلية الامير علي خان وتعددت زياراته إلى سوريا وأصبح لا يطيق البعد عنها فيأتيها ليتفقد شؤون أتباعه ومريديه من الاسماعيلية ويطلع بنفسه على التطور والتقدم الذي أصبح يعم جميع أفراد الطائفة . وعندما زار السلمية في الواحد من شهر نيسان عام ١٩٥١ م تمكن مؤلف هذا الكتاب من مقابلة سموه مرتين : الاولى في قصر الأمير مرزا الصيفي في السلمية ، والثانية في مدينة طرطوس بعد عودته من زيارة نهر الخوابي ، وفيما يلي الحديث الذي دار بيني وبين الامير علي خان حول عدة نواح دولية وطائفية :

س – هل تعتقدون يا صاحب السمو ان روسيا ستهاجم تركيا ، وهل في امكان تركيا الوقوف بوجهها ؟

ج – ان التفكير الذي حدا بالمانيا لمهاجمة روسيا يعود الآن ليدفع روسيا لمهاجمة تركيا ، إن العالم لا يعرف قوة تركيا وخاصة قوة طيرانها ،

بينما باستطاعة كل شخص أن يعرف كثيراً عن الجيوش العالمية عن طريق الصحف والمجلات التي تنشر الكثير بهذا الصدد ، أما الجيش التركي فكل شيء عنه مجهول ، وهو من خيرة الجيوش شجاعة ومعنوية اذا توفرت له الاسلحة والعدد الكافي من الرجال تمكن من الوقوف في وجـــه روسيا .

س — هل تعتقدون أن الحرب ستقع قريباً ؟

ج — أتمنى أن لا يحدث شيء من هذا ، فالروس قـد لمسوا الآن ان هناك تسابقـاً للتسلح ، والذي نخشاه ان تجر الحرب الاقتصادية إلى حرب فعلية ، واعتقد ان ميزانيات الدول الخياليـة لا تستطيع دولة أن تتحملها لمدة طويلة ، ولهذا نجد الدول نفسها مجبرة على اعلان الحرب.

س — أهناك فرق بين سياسة هتلر وسياسة الولايات المتحدة ؟

ج — كانت سياسة هتلر تهدف إلى كسب الاراضي والتوسع الستراتيجي ، واما السياسة الاميركية فهي قائمة على تأمين اسواقها الخارجية واستقرار اقتصادياتها وتنمية تجارتها .

س — ما هي التدابير الفعالة التي اتخذتموها لتحسين المستوى الاقتصادي للطائفة الاسماعيلية في سوريا .

ج — لقد عزمنا على رفع المستوى الاقتصادي للطائفة ، وخاصة بعد ان شعرنا بالتحسن الملموس الذي طرأ على انتاج الطائفة بصورة خاصة وعلى سوريا عامة ، وقد استقدمنا بعثة من كبار اصحاب رؤوس الاموال الاسماعيلية في العـــالم إلى سوريا لانشاء روابط اقتصادية فعالة عن طريق المساعدات المالية لشراء المعامل الحديثة وتأسيس محالج القطن .

س — ما هو رأيكم بالناحية الاجتماعية للطائفة وهل تدعمون المرأة في الحصول على حقوقها الكاملة ؟

ج – شعرت بتحسن ملموس في جميع النواحي الاجتماعيـــة ، وامرت باتخاذ الترتيبات لرفع مستوى هذه الناحية الهامة باقرب وقت ممكن ، وسررت جداً بتقدم المرأة الاسماعيلية ، وخاصة بعد أن شرعت أغلب سيدات الطائفة بنزع الحجاب ، ونزلن إلى معترك الحياة جنباً إلى جنب مع الرجل ، وأنا ادعم بكل قواي حقوق المرأة ، وأتمنى ان تحصـل المرأة العربية على كامـل حقوقها بأقرب وقت ممكـــن لتلحق بموكب التطور والرقي .

س – ما هو شعوركم نحو الطائفة الدرزية ؟

ج – هذا لا يحتاج الى سؤال لأن علاقتنـــا مع الدروز أسمى من العواطف والمشاعر فهي علاقات روحية باطنية ، والطائفتان كانتـا ولا زالتا تشكلان وحدة كاملة في جميع نواحي الحياة واني سأعمل على توطيد هذه العلاقات من جديد ، ولقد اتخذت جميع الترتيبات لأجـل توثيق عرى المودة والأخوة ، وسأنقل المشاريع الاصلاحية إلى الجبل فور انتهاء الاصلاحات بالسلمية وأتمنى أن يتحقق ذلك قريباً .

بعض التعاليم والارشادات التي كان يزود بها الاسماعيلية في سوريا

قدم الأمير علي خان إلى السلمية في الثالث من شهر أيار سنة ١٩٤٢ م. ولبث فيها عدة أيام أشرف بنفسه على التنظيمات والترتيبات الـتي جرت حسب تعليمات وارشادات حاضر إمام ومما قاله الأمير علي خان أثناء وجوده في السلمية :

أبنائي الروحيين في سوريا :

لا أستطيع أن أصف لكم سروري بهذا اليوم المشهود الذي استقبلتموني فيه ، ثقوا بانني كنت خلال هذه المدة التي قضيتها بعيداً عنـكم دائم التفكير في أحوالكم ، وكانت أفكاري دوماً معكم ، وقلبي وإن كان بعيداً

عنكم فهو بينكم ، وكل ما أسعى اليه الآن وأعمل من أجله هو أن أبعد مصائب الحرب وشرورها عن بلادكم بعد أن أصابت جميع البلدان في العالم . وسيكون النصر حتماً بجانب الحلفاء .

ان الشعب الاسماعيلي ذو ماض مجيد وكرامة عظيمة فيجب عليكم أن تحافظوا على هذه المزايا وتعيشوا كرماء أعزاء شرفاء ، وبذلك تتوصلوا إلى ما توصل إليه آباؤكم واجدادكم العظماء الذين سطروا بدمائهم الذكية على صفحات التاريخ البطولات والشجاعة والتضحية بأحرف من نور .

علموا أولادكم جميعاً ، لا فرق بين الانثى والذكر ، ولا تهملوا تعليم البنات أمهات المستقبل ، ان والدي حاضر إمام يمنحكم بركاته الروحية الحبية .

وزار سوريا أيضاً في الرابع من شهر نيسان سنة ١٩٤٨ م . موفداً من قبل حاضر إمام ليشرف على شؤون أتباعه الاسماعيليين في منطقة السلمية والخوابي ، ولقد استقبل استقبالاً حافلاً ، وما كاد يصل القصر المعد لسكناه حتى أطل من الشرفة على الجماهير المحتشدة وخاطبهم قائلاً :

أبنائي الروحيين :

لقد أوفدني والدي حاضر إمام نحو بلادكم وأمرني أن أقدم اليكم بركاته الروحية ، وسأذهب خلال زيارتي هذه لمشاهدة أولادي الاسماعيليين القاطنين في كافة القرى والدساكر ، انني أشعر الآن وأنا بينكم بالغبطة والسرور يملآن قلبي خاصة بعد أن غبت عنكم هذه المدة الطويلة .

اتحدوا واعملوا يداً واحدة فتصبحوا سعداء في الدارين ، ان والدي سيرسل اليكم إرشاداته وتعاليمه .

وفي اليوم الثاني خاطب الجموع المحتشدة قائلاً :

جئت هذه البلاد حاملا لكم حب وبركات أبينا الروحي ، وأنا بدوري اتمنى لكم حياة سعيدة ومستقبلا عظيماً . وسأعمل على إزالة كافة الصعوبات التي تعترض طريق تقدمكم ورقيكم ، وسأغتنم كل فرصة لأعمل خلالها على رفع مستواكم المادي والمعنوي وجلب المنفعة لكم ، فانبذوا كل حقد وضغينة من قلوبكم ، وسأعمل على تقوية مواردكم المادية ، اذ على المادة يتوقف المستقبل كما يتوقف على الروح .

أبنائي ..

وحدوا صفوفكم ولا تدعوا التفرقة تسيطر على مجتمعكم ، لأن التفرقة اذا سيطرت على قوم فرقت كلمتهم ومزقت شملهم وعمهم البلاء والدمار والانقراض ، ابعدوا عنكم عناصر الشر والفساد وعاملوا بعضكم بالحب والاخلاص ، وعليكم باطاعة رؤسائكم إطاعة عمياء .

وأذكركم بأن الحرب قد انتهت ، ولكن الحرب تترك عادة خلفها صعوبات ونحن ، لذا جئت لأقف حائلا أمام كل عقبة تعترض طريق تقدمكم وازدهاركم وسعادتكم ، ولا تتم لكم هذه السعادة الا اذا واظبتم على العبادة وتمسكتم بتعاليمنا الدينية واطعتم أوامرنا واحببتم بعضكم ، واذا نال أحدكم شراً من أخيه فليصفح عنه ، والآن ابلغكم بركات والدي الروحية متمنياً لكم كل هناء وسعادة .

وفي السابع من شهر نيسان ترأس اجتماعاً ضم عموم موظفي المساجد في منطقة السلمية وزودهم بالتعاليم والارشادات التالية :

أخاطبكم بصفتكم موظفين ، وفي كل قرية الموظف يعتبر ممثلا لحاضر امام ، فأتأمل منكم ان تكونوا متفاهمين مع بعض ومتحدين واعلموا بأن والدي لم يشأ ان يرسل وزيراً أو وكيلا أو موظفاً كبيراً بل ارسلني بصفتي ولده الأكبر وولي عهده لأبلغكم بأن المنحة التي وهبكم إياها

وهي (وارداته لمدة عشر سنوات) لم يسبق ان نالها أحد غيركم ، وانتم أول من استفاد منها ويأمل والدي بأن تصرف هذه الهبة لخدمة المصلحة العامة ولا يصرف قرش بغير محله ، وبما ان بلادكم زراعية بالدرجة الأولى ، يجب عليكم ان تقوا الزراعة لتزداد الواردات وان لا تبيعوا حاصلاتكم الا بالوقت المناسب ، عليكم أن تنفقوا تلك المنحة على ثلاثة أوجه :

١ – على المساجد . ٢ – على المدارس. ٣ – لتقوية المرافق الزراعية كشراء الجرارات والحصادات وغيرهما من الآلات الزراعية الحديثة .

وكل ما أرجوه أن تنفق تلك الاموال لمنفعة هذه البقعة الطيبة ولتحسين احوالها الاقتصادية والثقافية والزراعية والدينية ، ولي كلمة أخيرة أوصيكم بها وهي ان لا تبيعوا الأرض التي تملكونها واحفظوها ولا تبقوها جرداء واغرسوها بالزيتون والتين . وحاضر امام يأمركم بأن تزوجوا أبناءكم في السن المبكرة حرصاً على الصحة العامة وأعلمكم بأن المريد الحقيقي هو من أطاع أوامرنا وأدى واجباته على خير ما يرام وكل من خالف هذه الأوامر يعد نفسه من المذهب الاسماعيلي براء في الدنيا والآخرة والسلام .

وبرز علي خان في الأوساط الدولية العالمية كسياسي عظيم ، وخطيب مفوه قوي الحجة عندما أصبح المندوب الدائم لدولة الباكستان الاسلامية في هيئة الامم المتحدة . وقد تبنى الدفاع عن القضايا العربية ومشاكل الشعوب الملونة ، وكانت مواقفه هذه مشرفة للباكستان ، كما اكسبته شهرة واسعة أدخلته في قلب كل الذين عرفوه . وظل يشغل هذا المنصب حتى توفي في باريس يوم الخميس في الثاني عشر من أيار سنة ١٩٦٠ ميلادية الموافق الخامس عشر من ذي القعدة سنة ١٣٨٠ هجرية بحادث اصطدام سيارته التي كان يقودها بنفسه . ودفن جثمانه مؤقتاً في قصره الخاص في (نويللي) بفرنسا ريثما يتم نقله الى مقره الاخير في سلمية سوريا تنفيذاً لوصيته .

كريم بن علي بن محمد

(آغا خان الرابع)

ما كادت صحف العالم واذاعاتها تردد نبأ وفاة (آغا خان الثالث) سلطان محمد شاه الحسيني في سويسرا حتى توجه زعماء الاسماعيليـة من مختلف أنحاء العالم إلى مقر (الآغا خان) في قصر بركان حيث حضروا فتح وصية الامام الراحل التي كانت مودعة في بنك (لويدز) في بريطانيا وجاء بالوصية ما يلي :

« نظراً للظروف التي تغيرت تغيراً أساسياً في العالم ، في السنوات الأخيرة ، ونظراً للتغيرات الكبرى التي وقعت ، ومن بينهـا اكتشاف العلوم الذرية ، فاني على يقين أن مصلحة الطائفة الاسماعيلية تقتضي أن يخلفني شاب نشأ وترعرع في السنوات الأخيرة وسط هذا العصر الحديث ، وأن تكون له نظرة جديدة للحياة عند تولي زعامة الطائفة الاسماعيلية ، لذلك : أختار حفيدي « كريم » ليكون خليفة لي ، وزعيماً للطائفة من بعدي . ا » .

وإستناداً إلى هذه الوصية أعلنت إمامة كريم بن علي شاه الحسيني ولقب (بآغا خان الرابع) ووجه إلى عموم الاسماعيلية في العالم البرقية التالية :

عن جنيف في ١٩٥٧/٧/١٤ إلى مراكز الاسماعيلية في جميع أنحاء العالم.

بمناسبة تسلمي الإمامة المقدسة ، بموجب إرادة جدّي المطلقة الجديرة بالذكرى والاحترام ، أرسل بركاتي الأبوية ، والأمومية لجميع أبنائي الروحيين الأعزاء في كافة أنحاء العالم .

آغا خان الرابع

كانت ولادة كريم بن علي بن محمد الحسيني (آغا خان الرابع) في ١٣ كانون الأول سنة ١٩٣٦ ميلادية في مدينة جنيف بسويسرا ، أمه الأميرة البريطانية (جون بربارا يولد) ابنة اللورد تشارستون . تلقى علومه الأوليــة في مدارس سويسرا ، فأتقن الانكليزية والإفرنسيـة والاسبانية ، كما درس اللغة العربية وأخذ يتكلمها وهو في العاشرة من عمره ، أظهر تفوقاً بالرياضيات ، وبعد أن أكمل تحصيله في سويسرا انتسب إلى جامعة (هارفرد الأميركية) ..

عرف بين أقرانه بالذكاء الحاد والنشاط في جميع الحقول ، اشترك في كافة فرق الجامعة الرياضية ، كثير المطالعة ويقول رفاقه في الجامعة ان باستطاعته ان يمسك كتابين : انكليزياً وفرنسياً وان يقرأهما معاً . وعرف كذلك انه محظوظ جداً وذلك لنجاته مرتين من حادثتي اصطدام مروعتين .

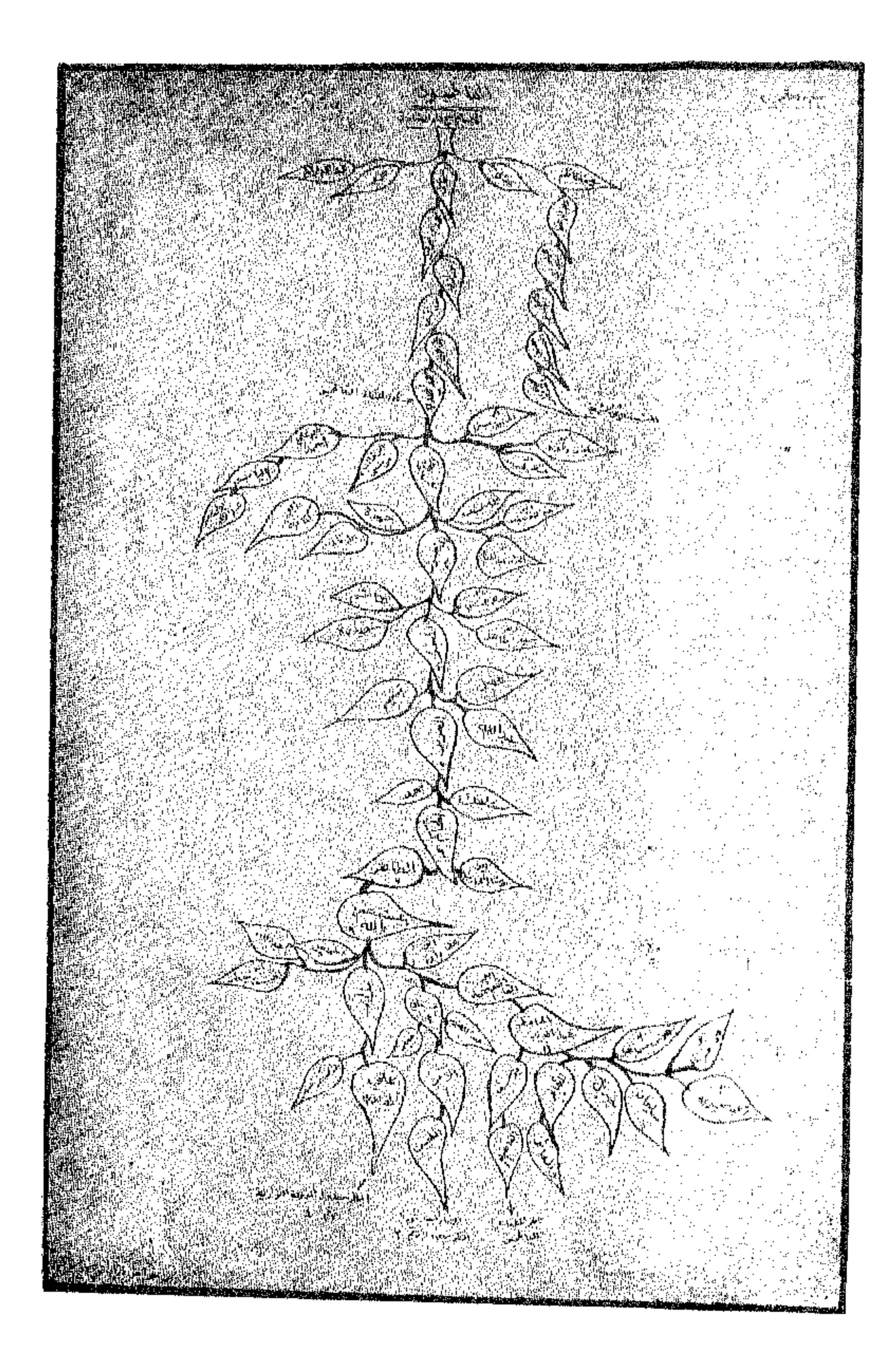
الأولى عندما انفجر يخته في سان توريز ، والثانية بحادث اصطدام سيارته في باريس ، واستناداً إلى وصية جده (آغا خان الثالث) تولى الإمامة في ١٤ / ٧ / ١٩٥٧ وكما جرت العادة لدى تنصيب كل إمام جديد

قام بجولته لأخذ البيعة من الأتباع ولإقامة مراسيم تنصيبه ، فأقيمت له اول حفلة تنصيب في دار السلام في (تنكانيكا) في ١٩ تشرين الثاني عام ١٩٥٧ ، وفي نيروبي عاصمة (كينيا) في ٢٢ منه وفي كمبالا عاصمة اوغندا في ٢٥ منه ، وقد شهد هذه الاحتفالات مندوبون عن الطائفة من جميع أنحاء العالم . وكذلك احتفل بتنصيبه في كراتشي عاصمة الباكستان في ٢٣ شباط سنة ١٩٥٨ ميلادية ، وفي (دكا) عاصمة باكستان الشرقية في ١٢ منه ، وفي ٣٠ تموز عـــام ١٩٥٩ زار سورية واحتفل بتنصيبه حسب الاصول المتبعة لدى الطائفة الاسماعيلية

ولقد تمخض عن زيارة (آغا خان الرابع) لسورية اجراء تعديلات جذرية في تنظيمات الدعوة وأجهزتها ، وأعلن عن تبرعه ببعض المساعدات المادية لتنشيط العلم ، وإيفاد البعثات الطلابية على نفقته الخاصة للدراسة في الخارج ، كما وضع بعض الأموال باسم بنك أهلي لمساعدة المزارعـــين والتجار . وتبرع بمائة الف ليرة سورية للجامعة السورية بدمشق ولبعض المشاريع الخيرية بمبالغ اخرى .

ولنا وطيد الأمل بأن تبلغ الطائفة الاسماعيلية في عهد الامام الحاضر أسمى درجات الرقي والتمدن والازدهار .

ـ تم الكتاب ـ



جدول رقم (٣)

الاسماعيليـــة المستعليــة

احمد المستعلي بن المستنصر بالله (ت سنة ٤٩٥ ﻫ)

جعفــــر — الآمر بأحكام الله (اغتيل سنة ٥٢٤ ﻫ) — عبد الصمد

الطيـــب (الامام المستور)

دعـاة الاسماعيلية المستعلية المطلقين

الرقم	اسم الداعي المطلق وشهرته	الاستلام هجري	الاستلام ميلادي	الرقم	اسم الداعي المطلق وشهرته	الاستلام هجري	الاستلام ميلادي
١	ذؤيب بن موسى	٥٤٦		١٤	عبد المطلب	٧٥٥	١٣٥٤
٢	ابراهيم بن حسين	٥٥٧		١٥	عباس بن محمد	٧٧٩	١٣٧٨
٣	حاتم بن ابراهيم	٥٩٦	١١٩٩	١٦	عبد الله بن علي	٨٠٩	١٤٠٧
٤	علي بن حاتم	٦٠٥	١٢٠٩	١٧	حسن بن عبد الله	٨٢١	١٤١٨
٥	علي بن محمد	٦١٢	١٢١٥	١٨	علي بن عبد الله	٨٣٢	١٤٢٨
٦	علي بن حنظلة	٦٢٦	١٢٢٩	١٩	ادريس بن حسن	٨٧٢	١٤٦٨
٧	احمد بن المبارك	٦٢٧	١٢٣٠	٢٠	حسن بن ادريس	٩١٨	١٥١٢
٨	حسين بن علي	٦٦٧	١٢٦٨	٢١	حسين بن ادريس	٩٣٣	١٥٢٧
٩	علي بن حسين بن علي	٦٨٢	١٢٨٤	٢٢	علي بن حسين	٩٣٣	١٥٢٧
١٠	علي بن حسين	٦٨٦	١٢٨٧	٢٣	محمد بن حسن	٩٤٦	١٥٣٩
١١	ابراهيم بن حسين	٧٢٨	١٣٢٨	٢٤	يوسف بن سليمان	٩٧٤	١٥٦٧
١٢	محمد بن حاتم	٧٢٩	١٣٢٩	٢٥	جلال بن حسن	٩٧٥	١٥٦٧
١٣	علي بن ابراهيم	٧٤٦	١٣٤٥	٢٦	داهود بن أجب	٩٩٩	١٥٩١

البهرة السليمانية				البهرة الداهودية			
٢٧	سليمان بن حسن	١٠٠٥	١٥٩٧	٢٧	داهود برهان الدين	١٠٢١	١٦١٢

←

٢٨	جعفر بن سليمان	١٠٥٠	١٦٤٠
٢٩	علي بن سليمان	١٠٨٨	١٦٧٧
٣٠	ابراهيم بن محمد	١٠٩٤	١٦٨٣
٣١	محمد بن اسماعيل	١١٠٩	١٦٩٧
٣٢	هبة الله بن ابراهيم	١١٦٠	١٧٤٧
٣٣	اسماعيل بن هبة الله	١١٨٤	١٧٧٠
٣٤	حسن بن هبة الله	١١٨٩	١٧٧٥
٣٥	عبد العلي	١١٩٥	١٧٨١
٣٦	عبد الله بن علي	١٢٢٥	١٨١٠
٣٧	يوسف بن علي	١٢٣٤	١٨١٩
٣٨	حسين بن حسين	١٢٤١	١٨٢٦
٣٩	اسماعيل بن محمد	١٢٥٦	١٨٤٠
٤٠	حسن بن محمد	١٢٦٢	١٨٤٦
٤١	حسن بن اسماعيل	١٢٨٩	١٨٧٢
٤٢	احمد بن اسماعيل	١٣٠٦	١٨٨٩
٤٣	عبد الله بن علي	١٣٢٣	١٩٠٥
٤٤	علي بن هبة الله	١٣٣١	١٩١٣
٤٥	علي بن محسن	١٣٥٥	١٩٣٦
٤٦	غلام حسين	١٣٥٧	١٩٣٨
٤٧	حسين بن احمد	١٣٥٨	١٩٣٩
٤٨	علي بن حسين	٠٠٠٠	٠٠٠٠

٢٨	شيخ آدم سيف الدين	١٠٣٠	١٦٢١
٢٩	عبد الطيب زكي الدين	١٠٤١	١٦٣١
٣٠	علي شمس الدين	١٠٤٢	١٦٣٢
٣١	قاسم زين الدين	١٠٥٤	١٦٤٤
٣٢	قطبخان قطب الدين	١٠٥٦	١٦٤٦
٣٣	بيرخان سوجا الدين	١٠٦٥	١٦٥٥
٣٤	اسماعيل بدر الدين	١٠٨٥	١٦٧٤
٣٥	عبد الطيب زكي الدين	١١١٠	١٦٩٩
٣٦	موسى كليم الدين	١١٢٢	١٧١٠
٣٧	نور محمد نور الدين	١١٣٠	١٧١٨
٣٨	اسماعيل بدر الدين	١١٥٠	١٧٣٧
٣٩	ابراهيم وجيه الدين	١١٦٨	١٧٥٤
٤٠	هبة الله المؤيد في الدين	١١٩٣	١٧٧٩
٤١	عبد الطيب زكي الدين	١٢٠٠	١٧٨٥
٤٢	يوسف نجم الدين	١٢١٣	١٧٩٨
٤٣	عبد علي سيف الدين	١٢٣٢	١٨١٧
٤٤	محمد عز الدين	١٢٣٦	١٨٢١
٤٥	طيب زين الدين	١٢٥٢	١٨٣٧
٤٦	محمد بدر الدين	١٢٥٦	١٨٤٠
٤٧	عبد القادر نجم الدين	١٣٠٢	١٨٨٥
٤٨	عبدالحسين حسام الدين	١٣٠٨	١٨٩١
٤٩	محمد برهان الدين	١٣٢٣	١٩٠٦
٥٠	عبد الله بدر الدين	١٣٣٣	١٩١٥
٥١	طاهر سيف الدين	٠٠٠٠	٠٠٠٠

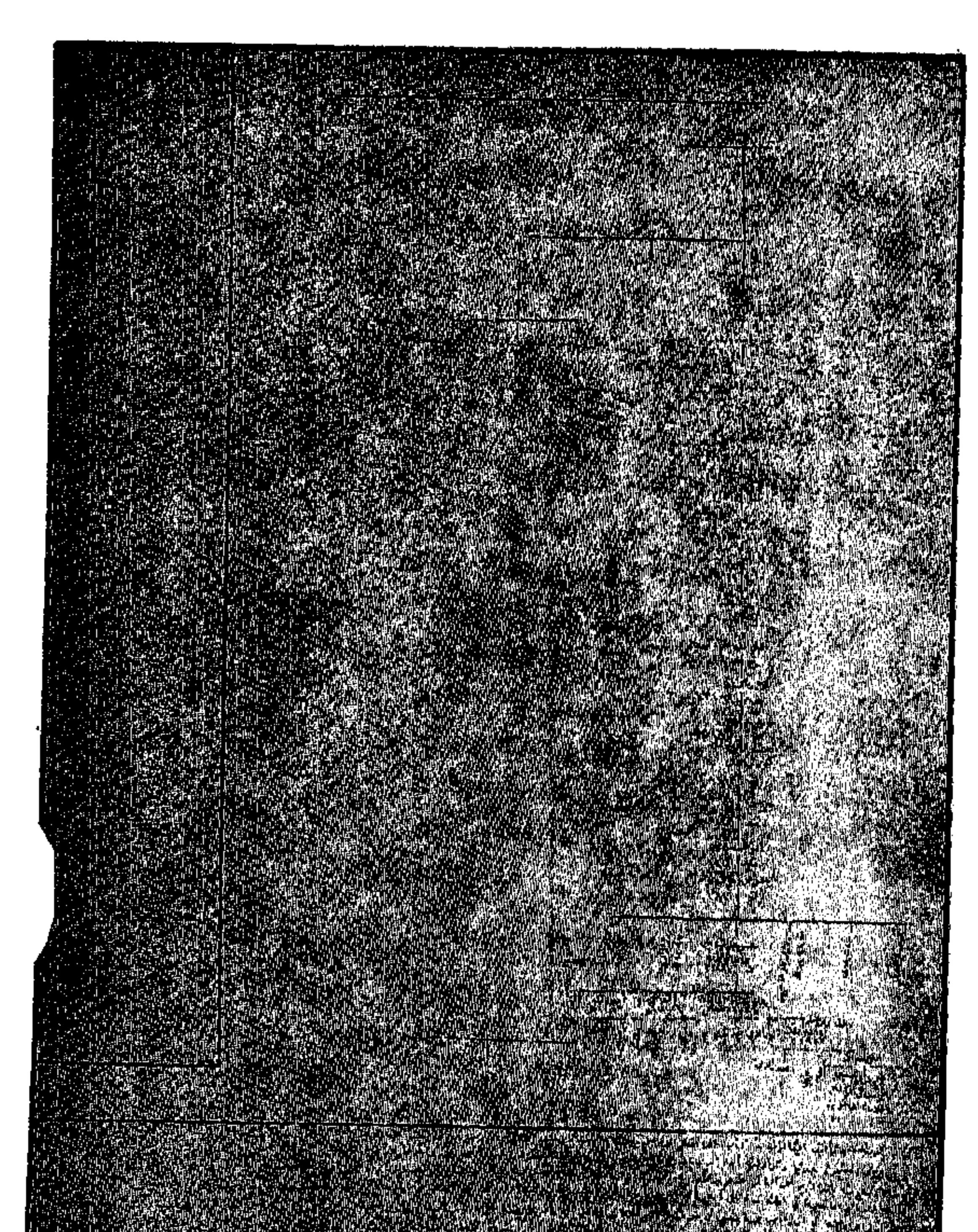
جدول رقم (٤)

الأئمة الاسماعيلية النزارية الآغاخانية

الرقم	الاسم والشهرة	تاريخ استلام الامامة سنة هجرية	سنة ميلادية	تاريخ الوفاة سنة هجرية	سنة ميلادية	مدة الامامة
١	علي بن ابي طالب	١١	٦٣٨	٤٠	٦٦٧	٢٩
٢	الحسين بن علي بن ابي طالب	٤٠	٦٦٧	٦١	٦٨٨	٢١
٣	علي زين العابدين بن الحسين	٦١	٦٨٨	٩٤	٧٢١	٣٣
٤	محمد الباقر بن علي زين العابدين	٩٤	٧٢١	١١٤	٧٤١	٢٠
٥	جعفر الصادق بن محمد الباقر	١١٤	٧٤١	١٤٨	٧٧٥	٣٤
٦	اسماعيل بن جعفر الصادق	١٤٨	٧٧٥	١٥٨	٧٨٥	١٠
٧	محمد بن اسماعيل بن جعفر	١٥٨	٧٨٥	١٩٧	٨٢٤	٣٩
٨	عبد الله بن محمد بن اسماعيل (احمد الوفي)	١٩٧	٨٢٤	٢١٢	٨٣٩	١٥
٩	احمد بن عبدالله بن محمد بن اسماعيل (محمد التقي)	٢١٢	٨٣٩	٢٢٥	٨٥٢	١٣
١٠	الحسين بن احمد بن عبد الله (عبد الله الرضي)	٢٢٥	٨٥٢	٢٦١	٨٨٨	٣٦
١١	عبيد الله بن الحسين (محمد المهدي)	٢٦١	٨٨٨	٣٢٢	٩٤٩	٦١
١٢	محمد بن عبيد الله المهدي (القائم بأمر الله)	٣٢٢	٩٣٤	٣٣٤	٩٤٥	١١
١٣	اسماعيل بن محمد القائم (المنصور بالله)	٣٣٤	٩٤٥	٣٤١	٩٥٢	٧
١٤	معد بن اسماعيل المنصور (المعز لدين الله)	٣٤١	٩٥٢	٣٦٥	٩٧٥	٢٣

١٥	نزار بن معد المعز (العزيز بالله)	٣٦٥	٩٧٥	٣٨٦	٩٩٦	٢١
١٦	ابوعلي منصور بن نزار (الحاكم بأمر الله)	٣٨٦	٩٩٦	٤١١	١٠٢٠	٢٤
١٧	ابو حسن علي بن منصور	٤١١	١٠٢٠	٤٢٧	١٠٣٥	١٥
	(الظاهر لاعزاز دين الله)					
١٨	معد ابو تميم (المستنصر بالله)	٤٢٧	١٠٣٥	٤٨٧	١٠٩٤	٦٠
١٩	نزار بن المستنصر بالله	٤٨٧	١٠٩٤	٤٩٠	١٠٩٧	٣
	(المصطفى بالله)					
٢٠	علي بن نزار بن المستنصر	٤٩٠	١٠٩٧	٥٣٠	١١٣٧	٤٠
	(الهادي)					
٢١	محمد بن علي بن نزار (المهتدي)	٥٣٠	١١٣٧	٥٥٢	١١٥٩	٢٢
٢٢	حسن بن محمد بن علي (القاهر)	٥٥٢	١١٥٩	٥٥٧	١١٦٤	٥
٢٣	حسن بن حسن بن محمد	٥٥٧	١١٦٤	٥٦١	١١٦٨	٤
	(على ذكره السلام)					
٢٤	محمد بن حسن بن حسن	٥٦١	١١٦٨	٦٠٧	١٢١٤	٤٦
	(أعلا محمد)					
٢٥	حسن بن محمد بن حسن	٦٠٧	١٢١٤	٦١٨	١٢٢٥	١١
	(جلال الدين حسن)					
٢٦	علاء الدين محمد بن جلال الدين	٦١٨	١٢٢٥	٦٥٣	١٢٦٠	٣٥
٢٧	ركن الدين خيروشاه بن علاء الدين محمد	٦٥٣	١٢٦٠	٦٥٤	١٢٦١	١
٢٨	شمس الدين محمد بن ركن الدين	٦٥٤	١٢٦١	٧١٠	١٣١٧	٥٦
	(خيرو شاه)					
٢٩	قاسم شاه بن شمس الدين محمد	٧١٠	١٣١٧	٧٧١	١٣٨٧	٦١
٣٠	اسلام شاه بن قاسم شاه	٧٧١	١٣٨٧	٨٢٧	١٤٣٤	٥٦
٣١	محمد بن اسلام شاه بن قاسم شاه	٨٢٧	١٤٣٤	٧٦٨	١٤٧٥	٤١
٣٢	المستنصر بالله الثاني بن محمد بن اسلام	٧٦٨	١٤٧٥	٨٨٠	١٤٨٧	١٢
٣٣	عبدالسلام شاه بن المستنصر بالله الثاني	٨٨٠	١٤٨٧	٨٩٩	١٥٠٦	١٩
٣٤	غريب ميرزا بن عبدالسلام شاه	٨٩٩	١٥٠٦	٩٠٢	١٥٠٩	٣

٣٥ ابو الذر علي بن غريب ميرزا	٩٠٢	١٥٠٩	٩١٥	١٥٢٢	١٣
٣٦ مراد ميرزا بن ابو الذر علي	٩١٥	١٥٢٢	٩٢٠	١٥٢٧	٥
٣٧ ذو الفقار علي بن مراد ميرزا	٩٢٠	١٥٢٧	٩٢٢	١٥٢٩	٢
٣٨ نور الدين علي بن ذو الفقار علي	٩٢٢	١٥٢٩	٩٥٧	١٥٦٤	٣٥
٣٩ خليل الله علي بن نور الدين علي	٩٥٧	١٥٦٤	٩٩٣	١٦٠٠	٣٦
٤٠ نزار الثاني بن خليل الله علي	٩٩٣	١٦٠٠	١٠٣٨	١٦٤٥	٤٥
٤١ سيد علي بن نزار الثاني	١٠٣٨	١٦٤٥	١٠٧١	١٦٧٨	٣٣
٤٢ حسن علي بن سيد علي	١٠٧١	١٦٧٨	١١٠٦	١٧١٣	٣٥
٤٣ قاسم علي بن حسن علي	١١٠٦	١٧١٣	١١٤٣	١٧٥٠	٣٥
٤٤ ابو الحسن علي بن قاسم علي	١١٤٣	١٧٥٠	١١٩٤	١٨٠١	٥٠
٤٥ خليل الله علي بن ابو الحسن علي	١١٩٤	١٨٠١	١٢٣٣	١٨٤٠	٣٧
٤٦ حسن علي شاه (آغا خان الاول)	١٢٣٣	١٨٤٠	١٢٩٨	١٨٨١	٦٤
٤٧ علي شاه بن حسن علي (آغا خان الثاني)	١٢٩٨	١٨٨١	١٣٠٢	١٨٨٥	٤
٤٨ سلطان محمد شاه علي (آغا خان الثالث)	١٣٠٢	١٨٨٥	١٣٧٤	١٩٥٧	٧٢
٤٩ كريم شاه علي(آغا خان الرابع)	١٣٧٤	١٩٥٧			



جدول رقم (٦)

الذين حملوا لقب (بير)

بالنسبة للاسماعيلية الآغاخانية

الرقم	اسم حامل اللقب	الرقم	اسم حامل اللقب
١	پير نبي محمد المصطفى	٢٣	صدر الدين
٢	پير امام حسن	٢٤	حسن كبير الدين
٣	پير قاسم شاه	٢٥	تاج الدين
٤	پير احمد علي	٢٦	پير بانديا ديجاو اماردي
٥	پير ستكور نور	٢٧	حيدر
٦	امام الدين	٢٨	علاء الدين
٧	محمد منصور	٢٩	قاسم شاه
٨	غالب الدين	٢٠	نصر محمد
٩	عبد العزيز	٣١	دادو
١٠	مستنصر بالله	٣٢	آغا حسن شاه
١١	احمد هادي	٣٣	محمد
١٢	قاسم شاه	٣٤	آغا عزيز
١٣	پير محمد	٣٥	مهراب بيغ
١٤	محمود	٣٦	آغا علي أكبر
١٥	محب الدين	٣٧	آغا علي أصغر
١٦	خليل الدين	٣٨	حسن علي
١٧	عبد المؤمنين	٣٩	عبد القاسم علي
١٨	اسلام الدين	٤٠	ابو الحسن علي
١٩	صلاح الدين	٤١	بيبي فاطمة
٢٠	شمس الدين	٤٢	آغا علي شاه
٢١	ناصر الدين	٤٣	آغا محمد سلطان
٢٢	صاحب الدين		

فهرست


دار الأندلس
للطباعة والنشر والتوزيع
١٥٠٠٠